اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مجلة
المؤرخ العربى

تصدر عن
اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

العدد الأول | المجلد الأول | مارس ٩٣

اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مجلة المؤرخ العربى

العدد الأول - المجلد الأول

هذه المجلة

- علمية تاريخية بحتة،تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، تستهدف الحقيقة التاريخية صافية نقية بعيدة عن أى تيارات سياسية أو عقائدية .
- البحوث التى تنشر فيها محكمة ، تعبر عن وجهة نظر أصحابها؛ وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد فيها من آراء علمية .
- تصدر مؤقتا سنوية فى شهر مارس من كل عام، على أن تصلها البحوث المقدمة للنشر فى كل عدد فى موعد غايته نهاية شهر نوفمبر من العام السابق.
- لا يزيد البحث المقدم للنشر عن أربعين صفحة منسوخة على الآلة الكاتبة ، ويكون البحث من نسختين: أصل وصورة .
- تأخذ الهوامش والإحالات رقما مسلسلا على أن تثبت فى نهاية البحث .
- تخصص أقسام فى المجلة لعرض الكتب والمراجعات العلمية وتقارير عن المؤتمرات التاريخية والندوات .
- يراعى فى البحوث التى تقدم للنشر أن تكون جديدة لم يسبق نشرها .
- الأعمال المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها فى حالة عدم إجازتها للنشر بالمجلة.
- يأتى ترتيب البحوث المنشورة وفق أسبقية ورودها وإجازتها للنشر ولا علاقة إطلاقا بين هذا الترتيب ومكانة الباحث أو درجته العلمية .
- جميع المراسلات تكون باسم الاستاذ الدكتور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالمقر المؤقت للاتحاد (كلية الآداب - جامعة القاهرة - أورمان - جيزة - مصر) .

المؤرخ العربى

مجلة تاريخية علمية محكمة تصدر عن

إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العددالأول - المجلد الأول - مارس ١٩٩٣

في هذا العدد

كلمة الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم.

إذا كان البعض يأخذ على علم التاريخ ارتباطه بالماضى، فإن البحث فى الماضى ليس غاية فى حد ذاته، وإنما هو أداة لشحذ الهمم وغرس الثقة فى النفوس من ناحية، والإفادة من تجارب ودروس الماضى فى مواجهة مشاكل الحاضر وبناء مستقبل أفضل من ناحية أخرى. ولذا صارت مهمة المؤرخ إلقاء الأضواء على خفايا الماضى بكل ما يحويه من حسنات وسيئات،ومزايا ومثالب، ملتزما بالصدق والأمانة، مستهدفا الوصول إلى الحقيقة التاريخية، واتخاذها محوراً لما يقول أو يكتب.

وبتتبع مسيرة التاريخ يتضح أن عجلته لا يمكن أن تعود إلى الوراء، وإنما تقضى سنة التطور التاريخى بالسير قدما إلى الأمام . حقيقة إن تاريخ أمة من الأمم أو بلداً من البلدان ربما يبدو فى بعض حلقاته وقد تعرض للجمود والتوقف، ولكن مثل هذه الظاهرة لا يصح تفسيرها مطلقا بأنها عودة إلى الماضى. فالماضى بأبعاده الحضارية، وأوضاعه ، وظروفه، ولت أيامه، ومن الصعب أن يعود بنفس الصورة والملامح .

إن حوادث التاريخ قد تتشابه ولكن من العسير أن تتطابق ؛ فلكل عصر أوضاعه وظروفه ونظرة الناس فيه إلى الحياة، وهذه كلها عوامل تكيف التاريخ تكييفا خاصا مميزا فى كل عصر من العصور .

ونحن عندما نتكلم عن حضارة - أو حضارات - العرب قبل الإسلام، فإننا لا نستهدف تمجيد الوثنية وتراثها - مثلما يتوهم البعض ، وإنما نستهدف تأكيد أصالة

هذه الأمة، وكشف النقاب عن جذورها الحضارية التى امتدت بعيدا فى أعماق التاريخ، والتدليل على أنه فى الوقت الذى كان جيران العرب - من فرس وروم وغيرهم - يمثلون قوى حضارية، لم يكن العرب فى جنوب شبه الجزيرة وشمالها وقلبها، بعيدين عن موكب الحضارة البشرية، وإنما أسهموا إسهاما جادا مفيدا فى بناء صرح الحضارة، بقدر ما سمحت به ظروف البيئة وإمكاناتها .

وعندما يعنى المؤرخ بالكشف عن جوانب التراث العربى فى ظل الإسلام، فإن هدفه البعيد ليس مجرد التغنى بأمجاد السلف والإشادة بما بلغه الأمويون وما حققه العباسيون، وإنما يستهدف ما هو أهم وأكبر، أعنى بيان قدرة السلف على الانفتاح الحضارى على العالم أجمع، وعدم الإنغلاق وإغماض العين عما حققه الغير من انجازات، ثم ابتكار الجديد النافع، ومواجهة مشاكل العصر بأسلوب يجمع بين الذكاء والمثابرة والشجاعة واتساع الأفق .

وإذا عالج المؤرخ العربى موضوع سقوط دولة المسلمين فى الأندلس وما حلّ بهم فى تلك المحنة من قتل وطرد وتعذيب وتشريد، فإن المفروض منه عدم الوقوف عند حد الرثاء والبكاء، وإنما عليه أن يوضح فى أمانة وشجاعة أسباب تلك الكارثة المؤلمة وما وقع فيه مسلمو الأندلس من أخطاء أدت إلى سوء العاقبة. وبذلك يتحقق الهدف الأساسى من دراسة التاريخ وهو أن يصبح المدرسة الكبرى التى يستفيد فيها الإنسان من دروس الماضى .

ولكن يبدو أن حكام إيران والعراق اليوم لا يدركون هذه الحقائق، وأنهم يعيشون فى خيال الماضى وليس فى واقع الحاضر؛ محاولين استخدام التاريخ فى تبرير أوهام يسعون لتحقيقها .

أما عن حكام إيران فإنهم يتباكون على مجد الأجداد، ولا يريدون أن ينسوا أو يتناسوا أن العراق بأكمله والخليج برمته كانا فى يوم من الأيام داخل إطار دولتهم الفارسية الكبرى ، حتى ظهر العرب على المسرح فى ظل الإسلام فهدموا دولة الفرس ودكوا عرش الأكاسرة وأدخلوا الجميع تحت سيادتهم . ويمتد الخيال بحكام إيران إلى محاولة العودة بالتاريخ إلى الوراء ومحاولة استعادة ما كان للفرس من أمجاد على حساب جيرانهم، متجاهلين ما حدث على مدى قرون طويلة من تغييرات جذرية سطرت على صفحة التاريخ، تبدلت فيها أوضاع العالم أجمع، وتم فيها تعريب الشاطئ الغربى للخليج بأكمله، فضلا عن تعريب بلاد الرافدين ، وصارت هذه البلاد كلها أعضاء لها كيانها فى جسد الأمة العربية .

وأما حكام العراق اليوم، فإنهم يعيشون أيضا تحت مظلة الأوهام، ويتطلعون إلى تحقيق مجد لأنفسهم على حساب التاريخ، ولكنهم يخطئون الحساب. إنهم يتوهمون أن بإمكانهم العودة بعجلة التاريخ إلى أيام بنى العباس، عندما كان والى البصرة يحكم اقليم الخليج لحساب خليفة بغداد، متناسين أن التاريخ قد دار دورته وأن المجوس لم يعودوا مجوسا، وأن بلاد الفرس لم تعد ولاية من ولايات بغداد، وأن الشاطئ الغربى للخليج قامت عليه إمارات عربية مستقلة فضلا عن سلطنة عمان ، وكلها وحدات سياسية ذات كيان وقوام، بحيث تمثل كل وحدة عضوا فى جامعة الدول العربية . بل فى هيئة الأمم المتحدة . ونقول حكام العراق لا أهل أو شعب العراق، لأن هؤلاء الأخيرين إخوة مغلوبون على أمرهم، نعتز جميعا بهم وبعروبتهم، وإسهامهم على مر القرون فى دعم الأمة العربية والحفاظ على حاضرها والإشفاق على مستقبلها .

وفى جو مشبع برائحة الدماء، تسوده روح الإرهاب، لا يعرف أسلوبا لتحقيق أغراضه إلا أسلوب القتل والإغتيال وسفك دماء الأبرياء، قدر لاتحاد المؤرخين العرب أن يعيش فى بغداد بضع سنين ، يعمل تحت رئاسة صبيانية فرضها حاكم العراق على هذا الاتحاد، فى محاولة منه لتسخير التاريخ والمؤرخين العرب لخدمة مخططاته العدوانية على حساب الحقيقة التاريخية، مستخدمين سلاح الارهاب والتهديد من جهة وسلاح الابتزاز وفرض الاتاوات على دول الخليج من جهة أخرى .

وكان أن وقع العدوان الفاشل على الكويت سنة ١٩٩٠، وعندئذ كشف اتحاد بغداد عن حقيقة وجهه القبيح، فأصدر بيانات باسم المؤرخين العرب - والمؤرخون العرب أبرياء منها - تؤيد العدوان ، واستغل الأموال التى كان قد ابتزها من دول الخليج لنشر دعاية واسعة لقطع الأيدى التى أحسنت إليه، معتمدا على أساليب رخيصة بعيدة عن واقع الحقيقة والتاريخ .

ولم يرتض المؤرخون العرب ذلك الوضع الذى اعتبروه إهانة فى حقهم وفى حق التاريخ، فعقدوا اجتماعا فى القاهرة بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٩٠ . وضم هذا الاجتماع لفيفا من المؤرخين ينتمون إلى شتى البلدان العربية. وكان أهم ما تمخض عنه هذا الاجتماع عزل الرئيس الذى فرضته حكومة العراق على الإتحاد، ونقل مقر الاتحاد إلى القاهرة ، والدعوة لعقد جمعية عمومية تضم المؤرخين العرب فى كافة انحاء الوطن العربى .

وفى الاجتماع الذى عقدته الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة (جمادى الآخر ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١م) والذى ضم أكثر من مائة وخمسين عضوا يمثلون كافة البلدان العربية باستثناء ثلاث دول فقط ، تم وضع القانون

الأساسى للاتحاد فى عهده الجديد، وعن طريق الانتخاب الحر المباشر تم اختيار رئيس للاتحاد ونائب للرئيس ومجلس أمناء وأمين صندوق. وهكذا بدأت المسيرة لتبدأ صفحة جديدة تستهدف كل ما يعود بالخير على العرب وأمة العرب وتاريخ العرب ، ومؤرخى العرب .

ولئن بدت هذه المسيرة فى نظر البعض بطيئة فى هذه المرحلة، فذلك لأنها مرحلة النشأة، ولا يمكن أن ننتظر من الوليد أن يجرى ويسرع الخطى حال ولادته. وحسب الاتحاد الجديد أن يتحرك داخل إطار واضح من القيم الخلقية ، ويلتزم بأخلاق العروبة فى أنقى صورها، بعيدا عن أسلوب الارهاب والابتزاز والتهديد، وهو الاسلوب الذى طالما أساء إلى التاريخ والمؤرخين فى العهد البائد. ثم إن اتحاد المؤرخين العرب فى عهده الجديد لا يعمل لحساب حاكم بعينه أو تحت سيطرة حكومة بذاتها، وإنما يعمل ليرى الله عمله ورسوله والمؤمنون، مستهدفا الحق والعلم والخير للعرب وللمؤرخين العرب . وكل ما نرجوه هو أن يحظى اتحاد المؤرخين العرب فى وضعه الجديد بثقة الحكومات والمؤسسات العربية فتتقدم له من العون ما يمكنه من النهوض بالأمانة الكبرى الملقاه على عاتقه فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها الأمة العربية .

✿ ✿ ✿

وإذا كنا باسم الله العلى القدير ، نقدم للباحثين فى حقل الدراسات التاريخية هذا العدد الأول من مجلة المؤرخ العربى التى يصدرها اتحاد المؤرخين العرب من مقره

الجديد بالقاهرة، فإننا نود أن نؤكد أن هذا العدد يمثل نقطة البدء . إنه يمثل النواة الأولى التى نرجو لها أن تنمو بفضل جهود الأخوة الزملاء لتصبح شجرة وارقة الظل تعود بالخير على المشتغلين بتراث الأمة العربية وحاضرها ومستقبلها ؛ بل تعود بالخير والبركة على مسيرة الحضارة الإنسانية فى كل زمان ومكان . فالعرب لم يعيشوا مطلقا منغلقين على أنفسهم وإنما انفتحوا على العالم أجمع مشرقه ومغربه . وليست العبرة بأن يبدأ الإنسان عملا ما ، وإنما العبرة بأن تكون البداية قائمة على أسس سليمة وبنوايا طيبة مستهدفة الخير والصلاح . وصدق الله العظيم إذ يقول (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) .

رئيس التحرير

النزاع العربى الايرانى حول جزر
أبو موسى والطنبين
الأصول التاريخية والتطورات المعاصرة

للأستاذ الدكتور

جمال زكريا قاسم

أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس

برزت على سطح الأحداث العربية فى الآونة الأخيرة قضية جزر الخليج الثلاث التى قامت إيران بالاستيلاء عليها من دولة الامارات العربية المتحدة ولم تلبث تلك القضية أن تحولت من نزاع بين ايران ودولة الامارات إلى بند أساسى فى الاجتماعات الخليجية والعربية نظرا لتأثيرها على الأمن الخليجى بصفة خاصة والأمن القومى العربى بصفة عامة .

ولعل ما اتجهت إليه ايران من فرض اجراءات إدارية وقانونية استهدفت بها ضم هذه الجزر إلى سيادتها الاقليمية قد أثبت بجلاء أن الاتجاهات التوسعية الايرانية لم تختلف بالتغير الذى حدث فى نظامها السياسى إذ لايزال التوسع الايرانى فى منطقة الخليج من الثوابت الرئيسية فى السياسة الخارجية الايرانية وأصبح واضحا أن ايران لاتزال أسيرة تقاليد سياسية مسيطرة على إدراك قياداتها المتعاقبة والتى يأتى فى مقدمتها عقدة التوسع فى اتجاه الخليج على حساب السيادة العربية فى محاولة لتحقيق الهدف التاريخى والاستراتيجى وهو جعل الخليج " بحيرة فارسية " وذلك على الرغم من اختلاف الشعارات من " الخليج الفارسى " على عهد النظام الامبراطورى الشاهنشاهى إلى الوحدة الاسلامية التى يرددها نظام الآيات الحالى بهدف إخفاء المطامع الايرانية التقليدية فى منطقة الخليج .

ومما تجدر الاشارة إليه أن النفوذ الايرانى ظهر فى منطقة الخليج منذ أواخر القرن الماضى مقترنا بنمو الحكم المركزى والنزعة العنصرية التى ترتب عليها القضاء على الوجود العربى فى الساحل الشرقى من الخليج وماتبع ذلك من سياسة تفريس قسرى لسكانه ثم التطلع إلى الجزر العربية المجاورة لذلك الساحل والساحل المقابل له عن طريق التغلغل البشرى والاقتصادى فضلا عن الادعاءات الاقليمية على

البحرين ومن ثم ظلت السياسة الايرانية التوسعية فى منطقة الخليج تؤثر سلبا على العلاقات العربية الايرانية .

وعلى الرغم من أن ايران قد تخلت عن إدعاءاتها التقليدية فى البحرين واعترفت باستقلالها فى عام ١٩٧١ فإنها لم تلبث فى الوقت نفسه أن قامت بتكثيف إدعاءاتها على جزيرة أبو موسى التابعة لامارة الشارقة وجزيرتى طنب الكبرى والصغرى التابعتين لامارة رأس الخيمة تمهيدا للسيطرة عليها حتى تحقق لها ذلك فى نوفمبر ١٩٧١ قبل يومين اثنين من الانسحاب البريطانى من الخليج مما أثار التوتر من جديد فى العلاقات العربية الايرانية .

إذ كان من الطبيعى أن ينظر العرب إلى خطورة تلك السيطرة لما تشكله المنطقة التى تقع فيها تلك الجزر من أهمية كبيرة لقربها من مضيق هرمز وهى بموقعها هذا بمثابة البوابة الرئيسية لذلك المضيق ومن ثم فإن استمرار سيطرة ايران عليها يعزز من هيمنتها على مدخل الخليج ويمكنها من التحكم فى مواصلاته البحرية مع العالم الخارجى[١].

ومن ناحية أخرى فإن فرض تلك الهيمنة يهدد أمن وسلامة الدول العربية فى الخليج ويظهر خطورة هذا التهديد بوجه خاص بالنسبة إلى دولة الامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين من حيث أن إيران قربت كثيرا بسيطرتها على تلك الجزر مواقعها الامامية من سواحل تلك الدول فضلا عن فقدان العرب لثرواتهم النفطية وموارد طبيعية لا يستهان بها سواء فى تلك الجزر أو فى مناطق البحر الاقليمى

---

(١) نادرة نعيم زكى : دراسة حول الخلاف بين دولة الامارات العربية المتحدة وايران ، إصدار الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ١٩٩٢ ص ص ٤ - ٧ .

والجروف القارية التى تحيط بها والاهم من ذلك كله فقدان العرب لسيادتهم على أجزاء من ترابهم الوطنى[1] .

وقد تمثلت السيطرة الايرانية على تلك الجزر فى مظهرين مختلفين :

الأول الاحتلال السافر لجزيرتى طنب الكبرى والصغرى التابعتين لامارة رأس الخيمة.

والثانى عقد اتفاق أو مذكرة تفاهم بين ايران وإمارة الشارقة عن طريق المساعى البريطانية انطوت على تجميد وضع السيادة على جزيرة أبو موسى واتاحة الفرصة لايران لاحتلال بعض المواقع الاستراتيجية التى تقع فى الجزء الأعلى من الجزيرة مع بقاء الجزء الأدنى تحت إدارة الشارقة (٢) .

وعلى الرغم من ردود الفعل العربية التى أثيرت ضد ايران فإن السياسة العربية كانت حريصة بوجه عام على عدم قطع جسور التقارب العربى الايرانى ومن ثم أصبح وضع تلك الجزر من القضايا المعلقة فى العلاقات العربية الايرانية لأكثر من عقدين من الزمان حتى عاودت إيران إثارة المشكلة من جديد بالنسبة إلى جزيرة أبو موسى فى ابريل ١٩٩٢ حين عمدت إلى انتهاك الاتفاقية الخاصة بها وفرض بعض الاجراءات الادارية والقانونية التى استهدفت من ورائها الانفراد بالسيادة على تلك الجزيرة مما دفع بدولة الامارات العربية المتحدة التى انضوت كل من إمارة رأس الخيمة والشارقة تحت لوائها ليس فقط بالاحتجاج على انتهاك ايران لاتفاقيتها

---

(١) عبد الحسين القطيفى : الجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى ، من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ ، بغداد مارس ١٩٧٣ ، ص ٦٤ .

(٢) حسين البحارنة : دول الخليج العربى الحديثة ، علاقتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٧ .

السابقة مع الشارقة وانما بالمطالبة بعودة الجزر الثلاث إلى سيادتها الاقليمية .

ويقيننا أنه ليس من صالح العرب أو ايران أن تتصاعد تلك الأزمة لما يعنيه ذلك من إتاحة الفرصة لبعض القوى الخارجية من استغلالها تحقيقا لمصالحها الخاصة ولذا فقد يكون الحل الأمثل هو أن يتم تسوية النزاع سلميا فى اطار علاقات الجوار وما يجمع الطرفين المتنازعين من روابط إسلامية أو اللجوء إلى التحكيم الدولى أو إلى المنظمات الدولية لاقرار الحقوق الشرعية إلى ذويها .

وسوف نحاول فى هذه الدراسة أن نتتبع الجذور التاريخية للنزاع العربى الايرانى حول تلك الجزر والذى يرجع فى تقديرنا إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حين بدأ ملوك آل قاجار فرض هيمنتهم على الساحل الجنوبى الشرقى للخليج مستغلين التفكك الذى بدأت تعانى منه الكيانات العربية الواقعة على ذلك الساحل وما هيأته بريطانيا لهم من التطلع إلى الجزر العربية المجاورة لذلك الساحل مما جعلها وكانت عربية دائما مجالا للنزاع بين العرب وايران .

وقد يكون من المناسب قبل الخوض فى تتبع الأصول التاريخية لتلك المشكلة أن نعرف بعض الشىء بتلك الجزر .

ونبدأ بجزيرة أبو موسى وهى أكبرها مساحة وتقع على بعد أربعة وتسعين ميلا من مدخل الخليج العربى عند مضيق هرمز وتبعد ما يقرب من خمسين ميلا من ساحل الامارات وعلى ما يقرب من ثلاثة وثلاثين ميلا من الساحل الايرانى .

ويبلغ عدد سكانها قرابة الالف نسمة معظمهم من العرب الذين ينتمون بأصولهم إلى قبائل الساحل العربى المواجه لهم وإن كانت إيران قد عمدت فى الوقت الراهن إلى تغيير تركيبتها الديموجرافية فضلا عن أوضاعها القانونية والادارية .

وتتميز جزيرة أبو موسى بثرائها من المعادن خاصة المغر الأحمر(أكسيد الحديد) بالاضافة إلى ما بها من ثروة نفطية ولاتزال تقوم فى الجزيرة بعض الحرف التقليدية بما فيها الصيد البحرى والرعى والزراعة حيث تتوافر بها المياه الصالحة للشرب .

وعلى الرغم من أن إمارة الشارقة ثم دولة الامارات العربية المتحدة فيما بعد قد أقامت بها بعض المرافق الصحية والتعليمية والأمنية إلا أنها لم تقم بانشاء ميناء بحرى فى الجزء الواقع تحت إدارتها مما سيعطى الفرصة لايران لكى تتحكم فى حركة المرور إلى الجزيرة عن طريق الميناء الذى أنشأته فى القسم الخاضع لها[١].

أما عن جزيرة طنب الكبرى فتقع بدورها عند مدخل خليج هرمز وتتميز بأهميتها للملاحة البحرية وتبعد ما يقرب من خمسين كيلو مترا عن جزيرة أبو موسى فى الاتجاه الشمالى الشرقى مقابل إمارة رأس الخيمة التى تتبعها تلك الجزيرة إضافة إلى جزيرة طنب الصغرى التى تقع إلى الجنوب منها وإلى الشمال الغربى من جزيرة أبو موسى وعلى مسافة تسعين كيلومترا من ساحل رأس الخيمة وهى غير مأهولة بالسكان ، وذلك على خلاف الجزيرة الكبرى التى كان يقطنها قبل الاحتلال الايرانى ما يقرب من سبعمائة نسمة معظمهم من العرب وإن كان الاحتلال الايرانى قد قلص عددهم بحيث أصبحوا لايتجاوزون فى الوقت الحاضر أكثر من مائة وخمسين نسمة وقد أقامت رأس الخيمة فى تلك الجزيرة قبل الاحتلال الايرانى لها مدرستين ابتدائيتين ومركزا صحيا ومخفرا للشرطة وغير ذلك من المرافق الاخرى التى تتناسب وعددسكانها .

---

(١) مركز الدراسات السياسية - جامعة القاهرة : ورقة عمل حول المشكلات الحدودية الراهنة فى منطقة الخليج ، اكتوبر ١٩٩٢ .

ويستدل من الوثائق التاريخية أن تلك الجزر الثلاث كانت من الممتلكات التابعة للقواسم منذ ظهورهم إلى القوة حول منتصف القرن الثامن عشر وقد ظل شيوخ القواسم فى كل من إمارة الشارقة ورأس الخيمة يتمتعون بحقوق الملكية على تلك الجزر والتى تمثلت فى رفع الاعلام الخاصة بهم وإدارة المرافق العامة واستيفاء الرسوم من الأفراد الذين يغوصون على اللؤلؤ أو يقومون بالرعى أو بمنح التراخيص والامتيازات للشركات العاملة فيها ، وخاصة جزيرة أبو موسى ، حيث منح حاكم الشارقة فى عام ١٩٥٢ لاحدى الشركات البريطانية ، وهى شركة الوادى الذهبى[١] ، امتياز الاستغلال الغاز واكسيد الحديد الأحمر[٢] .

كما منح حاكم رأس الخيمة فى عام ١٩٦٤ امتيازا لاحدى الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط فى الطنبين ، وصدقت الحكومة البريطانية على تلك الامتيازات بحكم العلاقات التعاهدية التى كانت تربطها بتلك الامارتين ودون الرجوع إلى الحكومة الايرانية مما كان يشكل فى حد ذاته اعترافا صريحا من قبل بريطانيا بملكية الشارقة ورأس الخيمة لتلك الجزر[٣] .

ولم تكن الجزر الثلاث هى وحدها التى امتلكتها القبائل والاسر العربية إذ لا نبالغ فى القول بأن جميع السواحل الشرقية للخليج بما فيها من موانى ومايجاورها من جزر كانت خاضعة بصورة أو بأخرى للسيطرة العربية .

ولذلك فقد يكون من المفيد أن نتعرف على وضعية العرب فى تلك

(١) Golden valley ochre and oxide ltd .

(٢) حسين القطيفى ، المرجع السابق ص ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) جابر إبراهيم الراوى : الحق العربى فى الجزر العربية الثلاث وموقف القانون الدولى من اكتساب الأقاليم عن طريق القوة ، من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٤٣٢ .

السـواحل من أجل القـاء بعض الأضـواء على الأصـول التـاريخـيـة للمشكلة التى نحن بصددها .

فمن الحقائق الثابتـة أن مـوقع الخليج بين العرب وايران جعله عـامل اتصال بين الجانبين ومن ثم شهـد الخليج فى مـختلف عـصوره التـاريخـيـة العـديد من مـوجـات الهجرة بين سواحله الشرقية والغربية وإن كانت الهجرات العربية هى الغالبة والاكثر تأثيرا وقد تدفقت الهجرات الايرانية على سواحل الخليج العربية بصفة خاصة خلال الفـترة التى أعـقـبت الحرب العـالميـة الثـانيـة بسـبب توافر فـرص العـمل المصـاحبـة لاكتشاف النفط غير أن كثيرا من تلك الهجرات كانت تتم بطرق غير مشروعة فضلا عما اصطبغ به بعضها من دوافع سياسية أو رغبة فى تنفيذ مخططات توسعية[1] .

أمـا عن موجـات الهـجرة العـربيـة التى تواجدت على سـواحل الخليج فـقد تمثلت فى موجتين رئيسيتين ترتبط الأولى منها بالهجرات التى رافقت الفتوحات الاسلامية فى فـارس وأتاحت للعرب فرص سيطرتهم على سواحل الخليج وانتزاع مـوانيـه من أيدى الفرس بينمـا ترتبط الموجة الثـانيـة بالهـجـرات التى تدفـقت من قلب الجزيرة العربيـة خلال السنوات الأولى من القرن الثـامن عشر وترجع فى أسبابهـا إلى العديد من العوامل السياسية والاجتماعية لعل من أبرزها انهيار النفوذ البرتغالى فى منطقة الخليج بما كان يتسم به من قيود احتكارية وسيطرة عسكرية إضافة إلى القحط

---

(١) تقرير بعثة الجامعة العربية عن زيارتها لامارات الخليج العربى فى ١٠ نوفمبر ١٩٦٤ ، انظر ملحق رقم (٢) من تقرير الأمين العام إلى مجلس جامعة الدول العربية فى دور انعقاده الثالث والأربعين، ١٥ مارس ١٩٦٥ ص ١٧٧ وما بعدها . وعن التسلل والهجرات الايرانية غير المشروعة يمكن الرجوع إلى كتاب ماذا يجرى فى خليجنا العربى اصدار الاتحاد الوطنى لطلبة الكويت ، مارس ١٩٦٧ ص ٥٣ وما بعدها .

الشديد الذى أصاب أواسط الجزيرة العربية مما دفع بالعديد من القبائل العربية للانطلاق إلى سواحل الخليج وكان لها أثرها فى تكوين الوحدات السياسية التى ظهرت على سواحل شرق الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر[1] .

ولما كان معروفا عن الفرس انزوائهم داخل الهضبة الايرانية فقد انفسح المجال أمام تلك الهجرات للانسياب إلى الساحل الشرقى من الخليج الذى تطل عليه ايران ذاتها ولم يمض وقت طويل حتى أصبح ذلك الساحل عربيا فى ثقافته وتكوينه البشرى[2] .

وقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية فضلا عن عدم وجود نفوذ مؤثر لفارس على سواحلها على عملية الاستقرار هذه خاصة بعد سقوط الدولة الصفوية فى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر وعودة الفوضى والتفكك إلى الأقاليم الفارسية وكان ذلك مما مهد لظهور العديد من المدن والامارات العربية التى انتمت بأصولها إلى هجرات يمنية أو نجدية كالعبادلة وبنى حماد والمرازيق وآل بشر وبنو مالك[3]أو تلك التى كانت تنتمى إلى الساحل العربى المقابل كبنى معين فى قسم والقواسم فى لنجة وآل مدكور فى بوشهر الذين يرجعون بأصولهم إلى قبيلة المطاريش العمانية . وقد أثرت تلك الانتماءات القبلية فى قوة العلاقات الاسرية

---

(١) عبد الأمير محمد أمين : المصالح البريطانية فى الخليج العربى ١٧٤٧ / ١٧٧٨ ، بغداد ١٩٧٧، ص ٤٧ .

(٢) محمد بهجت سنان : الشخصية العربية للخليج العربى والاحتلال الايرانى للجزر العربية الثلاث ، بغداد ١٩٧٢ ص ٣٨ وما بعدها ، انظر أيضا ر. ج . لاندن : عمان منذ عام ١٨٥٦ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨ .

(٣) للتعرف على هذه الامارات وشجرات أنساب حكامها انظر حسين بن على الخنجى · تاريخ لنجة حاضرة العرب على الساحل الشرقى للخليج ، دبى ١٩٨٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .

التى ربطت بين العرب على جانبى الخليج[1] .

ومما هو جدير بالذكر أن القبائل العربية التى استقرت على الساحل الجنوبى الشرقى من الخليج قد عاشت فى عزلة عن بقية سكان فارس ولم يكن هذا الانعزال لأسباب جغرافية مرتبطة بطبيعة الهضبة الايرانية العالية فحسب وإنما أيضا لأسباب عقائدية أومذهبية إذ تعتنق تلك القبائل المذهب السنى على خلاف الفرس الذين ينتمون بصفة عامة إلى المذهب الشيعى الاثنى عشرى[2] . ومما لاشك فيه أن الاستقرار العربى على السواحل الايرانية أدى إلى أن تصبح تلك السواحل عربية مما أضفى على الخليج سمته العربية من جانبيه .

وقد تحدث العديد من الرحالة الأوربيين عن المدن والامارات التى أقامها العرب على تلك السواحل ولعل الرحالة الدانمركى كارستن نيبور Niebuhr كان أول من أشار إلى المدن والموانى العربية التى صادفها خلال رحلته إلى سواحل الخليج فى عام ١٧٦٣ واكد أن العرب الذين استقروا فيها كانوا مستقلين تماما عن فارس وشبه المدن التى قاموا بتأسيسها بدول المدينة التى عرفت قديما لدى الاغريق أو تلك التى عرفتها المدن الايطالية فى العصور الوسطى خلال اشتغالها بالوساطه التجارية بين الشرق والغرب [3] .

ولم يكد يمضى أكثر من قرن واحد على رحلة نيبور حتى قام الرحالة الانجليزى وليام بالجراف Palgrave برحلته إلى أواسط الجزيرة العربية والخليج فى عام ١٨٦٢

---

(١) مصطفى عقيل : سياسة ايران فى الخليج العربى على عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨/ ١٨٩٦ الدوحة ١٩٨٧ ، ص ١٠٣ .

(٢)محمد مرسى عبد الله : دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ،الكويت ١٩٨١، ص ٣٠٧ .

(٣) Carsten Niebuhr, Travels Through Arabia and other Countries in the East, Edinburgh 1792, Vol. II, p. 137.

وأشاد بدوره بالازدهار الذى حققه العرب على الساحل الشرقى وذكر أن الموانى العربية فى ذلك الساحل استطاعت أن تجذب إليها الكثير من العناصر والأجناس بفضل سياسة التسامح والحرية الاقتصادية التى اتبعها الحكام العرب حيث انتعشت التجارة مع الهند وشرق إفريقيا وتدفقت البضائع إلى تلك الموانى باعتبارها موانى حرة (١) .

ومن المؤكد أن الوجود العربى على السواحل الشرقية للخليج لم يكن موضع خلاف بين الباحثين إذ يقرر المؤرخ البريطانى جون كيلى Kelly أن معظم تلك السواحل والجزر المجاورة لها كانت تخضع لسيطرة القبائل العربية وأنها نأت عن أية تبعية للفرس الذين كانوا كلما حاولوا اخضاعهم لنفوذهم انسحبوا فى مراكبهم إلى بعض الجزر القريبة منهم (٢) ولعل ذلك الوجود التاريخى الذى سجله العرب على سواحل الخليج هو الذى جعل الباحثين العرب يؤكدون على الصفة العربية للخليج من جانبيه وشايعهم فيما ذهبوا إليه بعض الباحثين الأجانب ومن بينهم رودريك أوين Owen فى كتابة " الفقاعة الذهبية " (٣) كما أكد الكاتب الفرنسى جان جاك بيريبى Berebey على عروبة الخليج وإن سمى كتابه الذى صدر فى عام ١٩٥٩ " بالخليج الفارسى " اتباعا للتسمية التى كانت سائدة عند صدور كتابه هذا (٤) .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن التكوينات السياسية التى أوجدها العرب على الساحل الشرقى من الخليج لم تكن منعزلة عن الكيانات والوحدات السياسية التى

---

(١) William Palgrave . Personal Narrative of a year' s Journey through Central and Eastern Arabia, london 1877, P 392.

(٢) John Kelly , Britain and the Persian Gulf , london 1968 . P . 4 0

(٣) Roderick owen , The Golden Buble , Arabian Gulf documentary London 1957,pp. 13 - 16.

(٤) Jean Jack Berebey, Le Golfe Persique , paris 1959

أوجدها العرب على كلا جانبى الخليج كانوا على اتصال دائم ببنى جلدتهم وفى حركة مستمرة من الهجرة إلى ذويهم (١) . ورغم تقلبات السلطة السياسية فى فارس ظلت الهجرات العربية تفد إلى سواحلها حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومن ثم استمرت تلك السواحل محتفظة بهويتها العربية وبصلات سكانها المستمرة مع أقرانهم فى السواحل المواجهة لهم .

وقد ارتبط الوجود العربى فى الساحل الشرقى للخليج بافتقاد فارس إلى حكومة مركزية قوية حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وقد يكون حقيقة أن بعض حكام الفرس الأقوياء من أمثال نادر شاه الافشيارى ١٧٢٧ / ١٧٤٧ أو كريم خان الزندى ١٧٥٦ / ١٧٧٩ قد بذلوا محاولات دائبة لتقوية قبضة يدهم على السواحل الفارسية إلا أن الأمور كانت تعود إلى ما كنت عليه بسبب عجز أولئك الحكام عن فرض سيطرتهم البحرية فمنذ المحاولة التى بذلها نادر شاه لبناء قوة بحرية أثبت الفرس أنهم بحارة عاجزون تعوزهم الخبرة فى شئون البحر أو إدارة الأسطول.ولعل خير تعليل لذلك ما ذكره السير برسى سيكسSykes فى أنه ليس هناك شئ يوضح تأثير العوامل الطبيعية على ميول الناس وسلوكهم أكثر من النفور الذى يظهره الفرس للبحر الذى تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة (٢) ومن ثم اضطر كثير من أولئك الحكام إلى استخدام الملاحين العرب ليكونوا بحارة لأساطيلهم بينما اسندوا قيادة تلك الأساطيل إلى قباطنة من الفرس تعوزهم الدراية البحرية ولعل

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج - القسم التاريخى الجزء السابع ،الدوحة ١٩٦٧ انظر الملاحق الخاصة بفروع الأسر العربية الحاكمة فى السواحل الشرقية من الخليج .

(٢) Percy Sykes ,History of Persia , Vol II, London 1951 P . 271

انظر أيضا عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر، بغداد١٩٦٦ ص ص ١٩ ، ٢٢ - ٢٣ .

ذلك يتجلى فى أمير البحر الفارسى الذى اختاره نادر شاه لقيادة أسطوله ولم يكن قد سبق له أن ركب البحر أو رأى سفينة من قبل ! ولذلك كان من الطبيعى أن يسيطر الملاحون العرب على القوة البحرية لفارس ولكى تؤول إليهم معظم سفن الأسطول الفارسى بعد اغتيال نادر شاه مما أعان القواسم فى الوصول إلى القوة والتفوق البحرى والامتداد بنفوذهم من الساحل العمانى إلى الساحل المواجه لهم(١).

وعلى الرغم من استقرار الحكم فى فارس على أثر ظهور الأسرة القاجارية منذ أواخر القرن الثامن عشر إلا أنه لم يكن لتلك الأسرة نفوذ ملموس على سواحلها ولم يتحقق لها ذلك إلا بداية من النصف الثانى من القرن التاسع عشر حين أخذ ملوكها يعملون على تقوية حكمهم المركزى والقضاء على النفوذ العربى من السواحل الشرقية للخليج فمنذ عام ١٨٥٤ بدأ ناصر الدين شاه ١٨٤٨ / ١٨٩٢ فى العمل على تقليص نفوذ سلطنة مسقط وعمان من الموانى التى كانت تديرها فى بندر عباس وقشم وهرمز مستغلا الصراع الأسرى والتفكك الداخلى الذى دب فى أوصال تلك السلطنة التى ترجع سيطرتها على تلك الموانى والبنادر التابعة لها فى شهبار وجوادور إلى عام ١٧٩٣ بموجب فرمان تحصلت عليه السلطنة من الحكومة الفارسية يمنحها حق إدارة تلك الموانى عن طريق الإيجار السنوى (٢) وكان من الطبيعى أن يترتب على الازدهار الاقتصادى الذى حققته السلطنة العربية فى تلك الموانى أن يعمل ملوك آل قاجار على استرجاع نفوذهم ومن أجل ذلك خاضت فارس

---

(١) G . N . Curzon,Persia and the Persian Question, Vol II,London 1892,P.239 see also Carsten Neibuhr,Description de l'Arabie,Copenhagen 1773,pp. 267-268

(٢) Percy Sykes , History of Persia,vol II, London 1951 pp. 252 - 253.
انظر أيضا أرنولد ويلسن : تاريخ الخليج ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٥

حرباً ضد سلطنة مسقط وعمان فى عام ١٨٥٤ (١) ونتيجة للقيود التى فرضها الانجليز على الملاحة العربية فى الخليج استطاعت فارس أن تصل إلى اتفاقية مع السيد سعيد بن سلطان فى عام ١٨٥٦ رفعت بمقتضاها قيمة الإيجار السنوى وحددت فترة الإدارة العمانية بعشرين عاما غير أنها لم تلبث أن أقدمت على إلغاء تلك الاتفاقية برمتها فى عام ١٨٦٨ على أثر تغير نظام الحكم فى سلطنة مسقط وعمان وانتقاله إلى فرع آخر من فروع الأسرة الحاكمة ومن ثم تحولت تلك الموانى من الإدارة العربية إلى الإدارة الفارسية المباشرة (٢). ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أن كثيرا من الرحالة الأوربيين قد نوهوا بالازدهار الاقتصادى الذى حققته الإدارة العربية على خلاف الإدارة الفارسية التى وصفوها بقدر كبير من الجور والتعسف .

وعلى أثر خضوع بندر عباس وتوابعها للإدارة الفارسية اتجهت فارس بعد ذلك إلى القضاء على نفوذ القواسم فى إمارة لنجة وتم لها ذلك فى عام ١٨٨٩ وليس من شك فى أن ما أقدم عليه ناصر الدين شاه من فرض سيطرته على السواحل الجنوبية سيمهد الطريق لرضا شاه بهلوى مؤسس الأسرة البهلوية فى استكمال سلطة الدولة المركزية على سواحلها الشمالية وقد تحقق له ذلك فى عام ١٩٢٥ حين نجح فى القضاء على إمارة المحمرة العربية التى كانت تشغل إقليم عربستان حيث تم إعلان دمج ذلك الاقليم فى الأقاليم الإيرانية بعد تغيير اسمه إلى الاسم الفارسى

---

(١) G . N . Curzon , History of Persia , Vol II , London 1892 P . 423

(٢) C . U . Aitchison , Acollection of Treaties , Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries , v o l XI Calcutta 1892 P . 100

انظر أيضا جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ / ١٩١٤ القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٩٠ .

خوزستان (١) . وهكذا أدى الحكم المركزى القومى إلى اصطدام الامارت العربية بطموحات حكام الفرس مما أسفر عنه تلك الصراعات التى وقعت بين الفريقين وترتب عليها الإطاحة بالوجود العربى من السواحل الشرقية للخليج (٢) ومع ذلك فإن الإطاحة بذلك الوجود لم يكن يرجع إلى الجهود التى بذلها ملوك آل قاجار أو رضا شاه بهلوى فحسب وإنما كان يرجع أيضاإلى الصراعات الأسرية التى عانت منها كثير من الإمارات العربية على تلك السواحل يضاف إلى ذلك أن السياسة البريطانية شكلت بدورها عاملا هاماً من عوامل نجاح الفرس فى القضاء على تلك الإمارات إذ ترتب على فرض بريطانيا المعاهدات البحرية على شيوخ الساحل العمانى حرمان سفنهم من الوصول إلى جزر وموانى السواحل الشرقية للخليج ومن ثم فقد العرب المقيمون هناك الدعم الذى كانوا يتلقونه دائما من أقرانهم (٣) وبالاضافة إلى ذلك فقد ترتب على تدهور النفوذ العربى وتصاعد النفوذ الفارسى واتجاه السياسة الإيرانية منذ العهد البهلوى إلى التفريس القسرى لسكان تلك السواحل أن أخذت الأجيال الجديدة تخضع للمؤثرات الثقافية الإيرانية وإن لم تنس بطبيعة الحال أصولها العربية (٤).ولعل الأمر الأكثر خطورة هو أنه ما كادت إيران تنتهى من تفريس سواحلها حتى أخذت تمتد بادعاءاتها الأقليمية إلى السواحل المقابلة لها رغم تطور كياناتها السياسية من مشيخات أو إمارات إلى دول حديثة

---

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ص ٥١ - ٥٢ وكذلك شفيق الرشيدات : عربستان الجزء العربى المغتصب ، من أعمال المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب ، القاهرة ، فبراير ١٩٦٧ ، ص ٩٠ .

(٢) N . J . whigham , The Persian Problem London 1903 . P . 18

(٣) مصطفى عقيل : مرجع سبق ذكره ص ص ١١٥ - ١١٦ .

بدءاً من آل صباح فى الكويت إلى آل أبى سعيد فى سلطنة مسقط وعمان ومن ثم ظلت السياسة الإيرانية تسير وفق ثوابت معينة استهدفت هيمنتها على الخليج واعتباره بحيرة فارسية تقع وسط أقاليم إيرانية .

وإذا كنا قد تعرضنا إلى نمو السلطة المركزية فى إيران فلا يعنينا من ذلك النمو فيما يتعلق بموضوع تلك الدراسة سوى تأثيره على إمارة القواسم فى لنجة وما كان يتبعها من موانى وجزر مجاورة وذلك نظرا لارتباط قواسم لنجة بقواسم الساحل العمانى بصلة النسب والقرابة فضلا عن كونهم امتداداً للاتحاد القاسمى الكبير الذى ظهر إلى القوة إثر انفصالهم عن الكتلة الغافرية فى عمان وعلى وجه التحديد عقب سقوط دولة اليعاربة وقيام دولة البوسعيد فى عام ١٧٤١ ولم يلبث أن تعاظم نفوذهم البحرى فى خلال الفوضى التى عمت فارس عقب اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧ وتمكنوا من الحصول على لنجة وتوابعها فى عام ١٧٥٢ وكان ذلك مكافأة لهم على تحالفهم مع الملا على شاه قائد منطقة بندر عباس حين آزروه فى الصراع الذى كان قائما بينه وبين ناصر خان قائد منطقة لارستان (١) .

وعلى الرغم من المحاولات التى بذلها كريم خان الزندى ١٧٥٦ / ١٧٧٩ للحد من نفوذ القواسم فى لنجة إلا أنهم نجحوا فى تثبيت أوضاعهم وخاصة بعد اغتياله فى عام ١٧٧٩ (٢) وبفضل من تدفق عليهم من القبائل المتحالفة معهم ونشاطهم البحرى استطاعوا أن يحققوا ازدهارا اقتصاديا كبيرا حتى غدت إمارتهم فى لنجة

---

(١) عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ص ص ٢٣ - ٢٤ وكذلك فالح حنظل : المفصل فى تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، الجزء الأول ، أبو ظبى ١٩٨٣، ص ١٩٦ ولوريمر : مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ٢١٦

(٢) Kelly , J , o p . cit . pp . 40 - 41 see also Donald Hawley , The Trucial States , Lonon 1970 , p . 93

بمثابة حاضرة للساحل الجنوبى الشرقى من الخليج وتميزت بمسحتها العربية وطبيعتها العقائدية كموطن لأهل السنة والجماعة (١) وتأكد وضعها المستقل نتيجة حالة الفوضى التى ترددت فيها المملكة الفارسية كما كانت مؤهلة بطبيعتها للحكم العربى حيث سبق القواسم فى حكمها العديد من الأسرات العربية التى هاجرت إليها من عمان أو غيرها من سواحل الجزيرة العربية (٢) .

وقد استمر حكم القواسم فى لنجة وما حولها من جزر على الساحل أو قرى على البر الفارسى منذ عام ١٧٥٢ حتى أطاحت الحكومة القاجارية بالشيخ محمد بن خليفة القاسمى وهو آخر شيخ عربى حكم لنجة فى عام ١٨٨٩ (٣) وليس من شك أن استقرار الحكم للقواسم فى لنجة كان يرجع فى الدرجة الأولى إلى القوة البحرية التى حققها تحالف القواسم فى معقلهم الرئيسى برأس الخيمة (٤) حيث أصبحوا يمتلكون حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر أسطولا كبيرا أجمعت العديد من المصادر أنه كان يتألف من ثلاثة وستين سفينة كبيرة وأكثر من ثمانمائة سفينة صغيرة كما بلغ عدد مقاتليهم أكثر من تسعة عشر ألف رجلا ومن ثم أصبح ذلك

---

١ - حسين بن على الوحيدى : تاريخ لنجة حاضرة العرب على الساحل الشرقى للخليج ، دبى الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٥ ، ص ص ١٥ -١٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٧ .

٣ - انظر لوحة نسب عائلة القواسم حكام لنجة فى المجلد السابع من القسم التاريخى للوريمر .

٤ - التفصيلات الكثيرة عن حلف القواسم يمكن الرجوع إليها فى وثائق حكومة بومباى :

Selection From The Records of Bombay Govt . Vol XXIV Bombay 1856 : Historicd Sketsh of the Joasmee Tribe of Arabs 1747 - 1853 , pp 299 - 359

انظر أيضا عبد القوى فهمى:القواسم ونشاطهم البحرى ،راس الخيمة ١٩٨٣ ، ص ٨٧ وما بعدها

التحالف القوة البحرية الأولى التى كانت تحسب حسابها القوى الإقليمية والأجنبية (١) .

ولقد كان من الطبيعى أن تلفت تلك القوة البحرية أنظار الإنجليز منذ أن أخذوا يتطلعون إلى منطقة الخليج فى أوائل القرن التاسع عشر وحتى يتمكنوا من القضاء على تلك القوة البحرية التى باتت تهدد مصالحهم البحرية والتجارية ارتكزت خطتهم على تفكيك ذلك التحالف وتدمير القواعد الرئيسية للقواسم فى الساحل العمانى . وليس من شك أن الإجراءات السياسية والعسكرية التى اتخذها الإنجليز كان لها أثر كبير فى إضعاف الروابط بين قواسم الساحل العمانى وأقرانهم فى الساحل الجنوبى الشرقى من الخليج (٢).

وكان مما ساعد الإنجليز على هزيمة القواسم تلك الصراعات المستمرة التى كانت قائمة بينهم وبين سلطنة مسقط وعمان (٣) بالاضافة إلى سقوط الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى فى عام ١٨١٨ على أيدى القوات المصرية التركية إذ كان القواسم من أشد المتحمسين للدعوة السلفية ومن ثم أدى فقدانهم للدعم السعودى إلى عدم قدرتهم على مواجهة الحملات البريطانية وخاصة حملة ١٨١٩ التى تمكن الإنجليز فى أثنائها من تدمير معظم قلاعهم وإحراق سفنهم رغم استبسالهم فى الدفاع (٤) . وكان من أهم النتائج التى ترتبت على تلك الحملة سقوط رأس الخيمة

---

(١) G . Fenelon:The united Arab Emirates , an Economic and Social Survey , london 1973 , p. 10

(٢) Kelly , J . , o p . cit , pp, 160 - 161

(٣) س . ت . مايلز : الخليج ، بلدانه وقبائله (مترجم) ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٤) للتفاصيل الخاصة بهذه الحملة انظر Charles low , History of The Indian Navy Vol 2 , London 1877 , P . 351 ff.

انظر أيضا : جمال زكريا قاسم : الخليج العربى : دراسة لتاريخ الإمارات العربية فى عصر التوسع الأوربى الأول ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٣٢١

التى كانت أهم وأبرز مشيخة شهدها الخليج العربى خلال تلك الفترة (٥) .

ومما هو جدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن الإنجليز تحاشوا التقدم إلى القواسم فى لنجة إلا أن ما تعرض له أقرانهم فى الساحل العمانى قد أثر بطبيعة الحال على قوتهم وإن ظلوا محتفظين بتماسكهم غير أن حرص الإنجليز على عدم اشراكهم فى التوقيع على المعاهدة العامة التى أبرمت مع شيوخ الساحل العمانى فى عام ١٨٢٠ وما تلاها من اتفاقيات ومعاهدات أخرى سيتيح الفرصة لفارس للقضاء على حكمهم نظرا لافتقادهم للحماية البريطانية .

ولعل من أهم الأسباب التى أدت إلى إضعاف الروابط بين قواسم الساحل العمانى وأقرانهم فى لنجة ما ترتب على توقيع معاهدات الهدنة البحرية من مراقبة سفن الأسطول البريطانى للنشاط البحرى العربى ومنع امتداده إلى الساحل الشرقى من الخليج . ومن أجل ذلك حدد الكولونيل هنل Hennell المقيم البريطانى فى الخليج فى عام ١٨٣٦ خطا مقيدا للملاحة Restrictive line لا يجوز للسفن العربية بصفة عامة وسفن القواسم بصفة خاصة اجتيازه وقد راعى هنل فى رسمه لذلك الخط الفاصل أن يكون بعيدا عن الساحل الشرقى للخليج . وعلى الرغم من أن الشيخ سلطان بن صقر القاسمى حاكم الشارقة ١٨٠٣ / ١٨٦٦ لم يوافق على ذلك الخط وأبدى اعتراضه فى أنه لابد له من الاتصال ببنى عمومته فى إمارة لنجة وتفقد ممتلكاته فى خورفكان على خليج عمان إلا أن هنل لم يأبه بهذا الاعتراض وأكثر من ذلك فإنه حينما خلف الكابتن موريسون Morrison الكولونيل هنل فى منصب المقيمية البريطانية فى الخليج فى عام ١٨٣٧لم يكتف بالخط الذى وضعه

---

(١) مايلز ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

هنل وإنما أراد حصر السفن العربية فى مساحة أضيق حتى يسهل مراقبتها ومن ثم حدد خطا آخر يبدأ من جزيرة قشم وينتهى إلى مسافة عشرة أميال جنوب جزيرة أبو موسى وحتى جزيرة صير بونعير (١) مما أدى إلى فصل جزر أبو موسى والطنبين عن الساحل العمانى وقطع الصلات التى كانت تربط سكانها بذلك الساحل ولعل صعوبة الاتصالات البحرية هى التى دفعت بقواسم الشارقة إلى الاتفاق مع أقربائهم قواسم لنجة على إدارة تلك الجزر دون اخلال بتبعيتها لهم .

ومن ناحية أخرى فقد ترتب على اقتراب الخطوط الملاحية المانعة من الساحل العربى وابتعادها عن السواحل الشرقية من الخليج إلى إتاحة الفرصة لفارس للقضاء على الوجود العربى فى تلك السواحل ولم يستطع عرب الساحل العمانى نظرا لانهيار قوتهم البحرية من ناحية ولوجود الخطوط الملاحية الفاصلة من ناحية أخرى أن يبادروا بتقديم العون لهم .

أتاحت إذن الرقابة البريطانية على الملاحة العربية الفرصة لفارس لكى تفرض سيطرتها على القواسم فى لنجة ولما كان هؤلاء يعتمدون فى مصدر قوتهم على التجارة والملاحة فقد اتجهت السلطات الفارسية إلى فرض نفوذها الاقتصادى على السواحل الشرقية للخليج ومن أجل ذلك اعتمد الشاه ناصر الدين ١٨٤٨-١٨٩٦على ألمانيا فى بناء سفينتين حربيتين تجاريتين لاستخدامهما فى مياه الخليج كانت أكبرهما السفينة برسوبوليسPersopolis التى وصلت فى عام١٨٨٥إلى ميناء

---

(١) عن الخطوط المقيدة للملاحة بين السواحل الشرقية والغربية للخليج العربى انظر : عبد العزيز عبد الغنى : بريطانيا والساحل العمانى ، دراسة فى العلاقات التعاهدية ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٨ ، انظر أيضا مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ص ص ٤٤١ - ٤٤٢ وكذلك :
Kelly , OP, cit . , p. 359.

بوشهر واختصت بتنظيم الأوضاع الادارية والاقتصادية على موانى الساحل الجنوبى الشرقى بينما عملت السفينة الثانية سوزا Sousa فى رقابة الملاحة النهرية فى نهر كارون على رأس الخليج العربى (١) .

وقد اعتمدت السلطات الفارسية فى بوشهر على السفينة برسوبوليس فى مواصلة قضائها على الكيانات العربية خاصة إمارة لنجة وتوابعها غير أن العامل الهام الذى ساعد الحكومة المركزية فى طهران فى بسط سيطرتها على تلك الإمارة لم يكن يرتبط باستخدام القوة البحرية بقدر ما كان يرتبط إلى حد كبير بالمنازعات الأسرية التى نشبت داخل فرع القواسم فى لنجة خاصة بعد أن عمدت السلطات الفارسية فى الخليج إلى تعميق شقة الخلاف بين المتنافسين على الحكم حتى تتمكن من تحقيق أهدافها ، فعلى أثر وفاة الشيخ خليفة أقوى شيوخ لنجة فى عام ١٨٧٤ خلفه ابنه على ولما كان صبيا صغيرا لم يبلغ سن الرشد فقد خضع لوصاية أحد أقربائه وهو الشيخ يوسف بن محمد الذى لم يلبث أن انفرد بالسلطة بعد اغتياله للشيخ على حين شب إلى رشده فى عام ١٨٨٧ وبدأت لنجة تتعرض منذ ذلك الحين لسلسة من المنافسات والاغتيالات الأسرية كان أبرزها فى عام ١٨٨٥ حين قفز إلى حكم لنجة الشيخ قضيب بن راشد بعد قتله للشيخ يوسف بن محمد . (٢)

تواكب عدم استقرار الحكم فى لنجة مع مرحلة هامة فى تاريخ فارس حين اتجهت إلى التخلص من الكيانات المستقلة والتحول من حكم الشيوخ العرب أو حتى الخانات الفرس إلى سيطرة الحكومة المركزية ومن ثم قضى هذا التحول الذى طرأ على السياسة الفارسية على تلك المحاولة التى بذلها الشيخ قضيب بن راشد

(١) ويلسن ، مصدر سبق ذكره ص ١٨٦ .

(٢) مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

للانفصال عن السلطة المركزية عن طريق توثيق علاقاته بأقربائه شيوخ القواسم فى الساحل العمانى (١) هذا بالإضافة إلى أن الانجليز كانوا سببا فى إفشال محاولته حين أصدر المقيم البريطانى تحذيرا لأولئك الشيوخ بعدم التدخل فى الصراعات الدائرة بين قواسم لنجة والسلطات الفارسية فى الخليج (٢) ومن ثم كان من الطبيعى ألا يستقر الشيخ قضيب فى حكمه طويلا وخاصة بعد أن كلفت الحكومة المركزية فى طهران الدريابيكى حاجى أحمد خان بإدارة موانى الساحل الجنوبى الشرقى من الخليج وما كاد يصل إلى مركز عمله فى بوشهر فى سبتمبر١٨٨٧حتى أخذ يعمل على توحيد الموانى التى صارت تابعة لادارته ومن أجل ذلك أرسل حملة بحرية ألحقت الهزيمة بالشيخ قضيب حيث اقتيد أسيرا إلى طهران وبقى فيها سجينا حتي وفاته (٣)

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من الهزيمة التى أحاقت بالشيخ قضيب فإن السلطات الفارسية لم تستطع أن تتجاهل الأسرة القاسمية فى لنجة حيث بادر الدريابيكى بتنصيب أحد شيوخ القواسم حاكما عليها تحت التبعية الفارسية ولم تكد تنقضى أكثر من سنتين على ذلك الوضع حتى قام الشيخ محمد بن خليفة الشقيق الأصغر للشيخ على بمحاولة لطرد الحامية الفارسية من لنجة واستعادة القواسم لنفوذهم وعلى الرغم من أنه قد تمكن من اسقاط قلعة لنجة بالفعل وأجبر الحامية الفارسية على التسليم إلا أن السلطات الفارسية فى بوشهر لم تلبث أن استردت

---

(١) Government of India , Precis of the affairs of the Persian Coast and Islands 1854 - 1905 Calcutta , 1906

(٢) مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ص ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٣) فالح حنظل ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص ٦٧٩ .

أن استردت سيطرتها وكانت الهزيمة التى منى بها القواسم فى عام ١٨٨٩ سببا فى سقوط إمارتهم فى لنجة (١) .

ويمكننا أن نحدد بسقوط إمارة لنجة بداية لمشكلة الجزر ويرجع السبب فى ظهور تلك المشكلة إلى أن الحكومة المركزية فى طهران لم تكتف بفرض سيطرتها على إمارة لنجة وإنما تجاوزت ذلك بإصدار تعليماتها إلى السلطات التابعة لها فى الخليج بفرض سيطرتها على الجزر العربية التى تواجه تلك الإمارة وهى جزيرة صيرى وأبو موسى وطنب الكبرى والصغرى وبنى فرارو وغيرها .وتنفيذاً لتلك التعليمات بادرت السلطات الفارسية بإرسال بعض القطع البحرية التى تمكنت بواسطتها من احتلال جزيرة صيرى ورفع العلم الفارسى عليها وكان ذلك تمهيدا للسيطرة على ما يجاورها من جزر غير أنها لم تلبث أن أوقفت عملياتها على أثر احتجاج الحكومة البريطانية بعد أن أثار حكام القواسم فى الشارقة ورأس الخيمة مسألة تبعية تلك الجزر لهم وحملوا الحكومة البريطانية مسئولية المحافظة على ممتلكاتهم بحكم التزاماتها بحمايتهم (٢) وبينما تقاعست السلطات البريطانية عن الاحتلال الفارسى لجزيرة صيرى إلا أن جزرأبو موسى والطنبين ظلت موضع نزاع بين بريطانيا باعتبارها ممثلة لمصالح رأس الخيمة والشارقة وبين الحكومة الإيرانية حتى الاحتلال الإيرانى لتلك الجزر فى نوفمبر من عام ١٩٧١ وتحوله منذ ذلك الحين إلى نزاع بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة .

وقبل أن نستعرض المراحل المختلفة لذلك النزاع الذى استغرق أكثر من مائة عام تجدر الإشارة إلى أن الخلاف حول ملكية الجزر قد ظهر فى بداية الأمر بين حكام

(١) مصطفى عقيل ، مرجع سبق ذكره ص ٤٤٠ .

(٢) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص ص ٦٧٩ - ٦٨١ .

القواسم فى لنجة وقواسم الساحل العمانى فى الشارقة ورأس الخيمة ولم يلبث أن تعقد بصورة أكبر حين طالبت إمارات عربية أخرى بملكية تلك الجزر بينما لم تكن الحكومة الفارسية حتى سقوط إمارة لنجة فى عام ١٨٨٩ طرفا فى ذلك النزاع وفيما يبدو أن الجزرفى تلك الفترة المبكرة لم تكن تثير اهتمام الحكومة الفارسية بل لعلها لم تكن تعرف شيئا عنها لعدم وضوح أهميتها الاقتصادية فضلا عن عدم توافر الاحتياجات الضرورية للمعيشة وندرة مياه الشرب بها ومن ثم لم يكن يتردد عليها سوى جماعة من الصيادين أو الرعاة وانحصرت أهميتها فى لجوء بعض السفن إليها وقت الضرورة كما كانت ملجأ للعرب المقيمين على السواحل المجاورة لها عندما يتعرضون للضغوط من قبل السلطات الفارسية فى الخليج .

ولعل ما يؤكد أن الحكومة الفارسية لم تكن تبدى اهتماما بتلك الجزر عدم ورود شئ يذكر عنها فى المصادر الفارسية الخاصة بتاريخ الخليج ويركز على تلك الحقيقة أحد الباحثين العرب فى دراسته عن السياسة الإيرانية فى الخليج بعد رجوعه إلى العديد من المصادر الفارسية التى كتبت فى القرن التاسع عشر [١] وحتى فى المصادر الإيرانية الأكثر حداثة التى رجعنا إليها ومن بينها تاريخ الخليج السياسى "لصادق نشأت" و" مطالعاتى درباب بحرين وسواحل وجزاير خليج فارس " لعباس إقبال لا نجد إشارات واضحة عن تلك الجزر . غير أن الروايات المتناقلة والمكاتبات المحلية بين قواسم الشارقة والمقيمية البريطانية فى الخليج أو بينهم وبين القواسم فى لنجة تشير إلى تبعية تلك الجزر لقواسم الساحل العمانى كما يبدو ذلك واضحا فى رسالة بعث بها الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة ١٨٠٣ - ١٨٦٦ إلى

١ - مصطفى عقيل : السياسة الإيرانية فى الخليج على عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨- ١٨٩٦ ، الدوحة ، ١٩٨٧ ، ص ٤٤٤ .

الكولونيل لويس بلى Pelly المقيم البريطانى فى الخليج فى ديسمبر ١٨٦٤ بأن جزر أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى هى من ممتلكات الشارقة بينما تخص جزيرة صيرى فرع القواسم فى لنجة (١) ومن المعروف أن إمارة رأس الخيمة كانت تابعة للشارقة آنذاك ولذلك لم تنص الرسالة على تبعية الطنبين لها .

ويمكننا استخلاصاً من المصادر البريطانية ومن المكاتبات المحلية أن نؤكد بأن إيران لم يسبق لها أن فرضت سيطرتها على تلك الجزر أو مارست أى نفوذ عليها كما أن الادعاءات الإيرانية التى تركز على تبعية الجزر لإمارة لنجة تبدو واهية لأن حكام القواسم فى لنجة كانوا مستقلين تماما عن السلطات الفارسية وإن كنا نستثنى مع ذلك بعض الفترات القصيرة التى أعلن فيها بعض الشيوخ المغتصبين للحكم تبعيتهم لفارس وأيدوا تبعية تلك الجزر للسلطات الفارسية ونعنى بذلك الشيخ يوسف بن محمد السابق إشارتنا إليه والذى لم يستغرق حكمه فى لنجة أكثر من سبع سنوات ومن الطبيعى أن يضعف قيمة الإدعاء الإيرانى إذا ما عرفنا أن الشيخ يوسف كان مغتصبا للحكم ومن ثم كان فى حاجة إلى تدعيم مركزه أمام معارضيه بالاعتماد على التأييد الفارسى وبالإضافة إلى ذلك حاولت إيران تدعيم مطالبها على تلك الجزر بادعائها بأنها كانت تتلقى رسوما من القواسم فى لنجة وحتى إذا افترضنا أن بعض شيوخ لنجة كانوا يدفعون رسوما للسلطات الفارسية فإنه من الصعب التدليل على أن هذه الرسوم كانت تنسحب على تلك الجزر وخاصة أن الحكومة الإيرانية قد عجزت عن إظهار الوثائق الخاصة بايصالات تلك الرسوم (٢)

---

(١) محمد مرسى عبد الله : دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها،الكويت ١٩٨١ ، ص ٣٢٥.

(٢) مصطفى عقيل : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٣ .

ومن ناحية أخرى فإن سقوط حكم القواسم فى لنجة فى عام ١٨٨٩ لا يعطى لإيران حق السيطرة على تلك الجزر بدعوى تبعيتها لإمارة لنجة إذ أن تلك التبعية مع افتراض حدوثها لا تنفى الصفة العربية عنها .

إذا كانت السلطات الفارسية قد توقفت عن مواصلة زحفها على جزر أبوموسى والطنبين بعد احتلالها لجزيرة صيرى فى عام ١٨٨٩ فلم يكد يمضى أقل من أربعة عشر عاما حتى عادت الحكومة الفارسية إلى إثارة تلك المشكلة فى السنوات الأولى من القرن الحالى ويرجع ذلك إلى ما ترتب على خضوع لنجة للسلطات الفارسية من هجرة تجارها الأثرياء إلى جزيرة أبو موسى خاصة حين أخذت تلك السلطات فى تطبيق القوانين الجمركية التى صدرت فى عام ١٩٠١ على الموانى التابعة لها . ولما كانت جزيرة أبو موسى قد نأت عن التبعية الفارسية فقد أدى ذلك إلى انتعاشها الاقتصادى وخاصة بعد أن اتخذتها كثير من شركات الملاحة الأجنبية بمثابة مركز توزيع لتجارتها بدلا من ميناء لنجة وليس من شك فى أن الازدهار الاقتصادى الذى حققته جزيرة أبو موسى كان من وراء تجدد مطالبة الحكومة الفارسية بها فضلا عن الجزر المجاورة لها . وخوفا من أن تقدم السلطات الفارسية على احتلالها طلب المقيم البريطانى في الخليج من حاكم الشارقة فى إبريل ١٩٠٣ أن يبادر برفع علم ساحل الصلح البحرى على جزيرة أبو موسى والطنبين وقد ظل ذلك العلم مرفوعا لأكثر من عام حتى أصدر وزير الخارجية الفارسية خير الدولة تعليماته إلى السلطات الفارسية فى بوشهر بالتحرك إلى تلك الجزر وبادرت تلك السلطات بإرسال قوة مسلحة على ظهر سفينة العوائد " مظفرى " وتمكن المسيو دامبرين Damprain وهو من الخبراء البلجيكيين الذين استعانت بهم الحكومة

الفارسية لتنظيم جماركها مع بعض مساعديه من إنزال علم الشارقة ورفع العلم الفارسي بدلا منه [١] .

وقد أثارت تلك الحادثة التى وقعت فى مارس عام ١٩٠٤ ردود فعل شديدة لدى الدوائر البريطانية فى حكومة الهند التى كانت تخشى فى أن تكون البعثة الروسية فى طهران من وراء تلك التحركات الفارسية خاصة وأن روسيا كانت من القوى الأوربية المناوئة للإنجليز وكانت تعمل على عدم تمكينهم من إنشاء قواعد لهم عند مدخل الخليج معتمدة فى ذلك على توثق العلاقات بينها وبين الحكومة الفارسية وخاصة بعد أن تم عقد معاهدة سرية بين الدولتين فى مارس١٩٠٣ وعلى الرغم من أن بنود تلك المعاهدة التى أفصح عنها فيما بعد كانت تستثنى الأقاليم الجنوبية لفارس من أى نشاط روسى [٢] إلا أن اللورد كيرزون Curzon نائب الملك فى الهند كان يبدى تخوفا ملحوظا من خطورة المنافسة الروسية لبريطانيا فى الخليج فضلا عن استيائه الشديد من عدم استقبال السلطات الفارسية له الاستقبال اللائق به كنائب للملك أثناء الزيارة التى قام بها إلى سواحل الخليج فى نوفمبر ١٩٠٣ ولذلك طلب من وزارة الخارجية البريطانية الموافقة على أن تقوم حكومة الهند بإرسال بعض القطع البحرية وبرفقتها مندوب عن حاكم الشارقة لكى تزيل الأعلام الفارسية وإخلاء الجزر من أى وجود فارسى فيها ولكن وزارة الخارجية البريطانية التى كانت أكثر مرونة فى علاقاتها الدولية من حكومة الهند قررت الاكتفاء بتوجيه احتجاج شديد اللهجة وترك المجال مفتوحا للحكومة الفارسية لكى تخفض أعلامها بنفسها ولعدم إراقة

(١) ج . ج . لوريمر : مصدر سبق ذكره ، القسم التاريخى جـ ٢ ص ص ١١٣٢ - ١١٣٣ .

(٢) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ، ترجمة أحمد كمال حلمى وتحقيق بدر الدين الخصوصى ، الكويت ١٩٧٢ ، ص ٢٢٠.

ماء الوجه أنكرت وزارة الخارجية الفارسية ، خلافا للواقع ، فى ردها على الاحتجاج البريطانى علمها بالحادث وأصدرت تعليماتها على الفور بانسحاب حامياتها العسكرية التى استقرت فى أبو موسى وطنب الكبرى وإزالة الأعلام الفارسية وإن كانت قد أكدت فى ردها على الاحتجاج البريطانى أحقيتها فى السيادة على تلك الجزر وطالبت بعدم رفع أعلام أى من الأطراف المتنازعة حتى الانتهاء من إيجاد حل لتلك المشكلة إلا أن الحكومة البريطانية تجاهلت تلك المطالب [١] وبادرت برفع علم عمان المتصالحة فى ١٤ يونيه ١٩٠٤، وظل ذلك العلم مرفوعا فوق جزيرتى طنب الكبرى والصغرى حتى وقع الاحتلال الإيرانى للجزيرتين فى نوفمبر ١٩٧١ بينما ظل علم الشارقة مرفوعاً على جزيرة أبو موسى ثم استبدل بعلم دولة الإمارات العربية المتحدة فى ٢ ديسمبر ١٩٧١ حتى أعلنت إيران مؤخرا انفرادها بالسيادة على تلك الجزيرة فى سبتمبر من عام ١٩٩٢ .

وليس من شك فى أن رفع الأعلام العربية على الجزر موضع النزاع وعدم توقف رفعها إلا لفترات قصيرة لم تتجاوز عدة أسابيع وعلى وجه التحديد من نهاية إبريل ١٩٠٣ إلى ١٤ يونيه ١٩٠٤ إنما يقدم فى حد ذاته دليلا قويا على ممارسة السيادة العربية على تلك الجزر وفضلا عن ذلك كان حكام الشارقة ورأس الخيمة يستوفون الرسوم من المشتغلين فى مهنة الصيد ومن غواصى اللؤلؤ ومن رعاة الإبل والماشية من جراء استخدامهم لتلك الجزر ومن البديهى أن فرض الرسوم يعد تأكيدا لأعمال السيادة التى ظل الحكام فى رأس الخيمة والشارقة يمارسونها دون انقطاع ، وإلى جانب فرض تلك الرسوم كان لحكام الشارقة ورأس الخيمة حق منح الامتيازات

١ - روز مارى زحلان : النزاع حول الجزر العربية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت إبريل ١٩٧٦ ص ٢٤ وما بعدها .

الخاصة باستغلال الموارد الطبيعية فى تلك الجزر أو إصدار التراخيص بإقامة بعض المنشآت الحيوية بها وليس من شك فى أن تمتعهم بتلك الحقوق يؤكد تبعية تلك الجزر لهم ويمكن الإشارة بصدد ذلك أنه فى عام ١٩٠٦ منح حاكم الشارقة شركة الونكهاوس wonkhaus الألمانية امتيازا لاستغلال أكسيد الحديد فى جزيرة أبو موسى وعلى الرغم من أن ذلك الامتياز قد ألغى فى العام التالى فإن ذلك لم يكن بسبب اعتراض الحكومة الفارسية وإنما كان بسبب معارضة الحكومة البريطانية التى اعتبرت منح حاكم الشارقة لذلك الامتياز اخلالا بمعاهدة ١٨٩٢ التى كانت تلزمه بعدم منح أى امتياز فى أراضيه إلا لمن توافق عليه الحكومة البريطانية خاصة وأن التنافس الألمانى البريطانى كان قائما على أشده فى منطقة الخليج ومن ثم اضطر حاكم الشارقة إلى الغائه فى أكتوبر ١٩٠٧ وذلك بعد أن أدخلت السلطات البريطانية فى روعه بأنه إذا تم اكتشاف الأكسيد وأصبحت الجزيرة تتمتع بأهمية اقتصادية فإن ذلك سيثير الأطماع الفارسية فيها . ومع ذلك فإن صلاحية حاكم الشارقة فى منح أو الغاء الامتياز إنما تؤكد تبعية الجزيرة له .

وكان لحاكم الشارقة صلاحيات أيضا فى جزيرتى طنب الكبرى والصغرى بحكم تبعية إمارة رأس الخيمة للشارقة [1] وظهر ذلك وضحا فى عام١٩١٢حين استطاع المقيم البريطانى فى الخليج برسى كوكسCox أن يحصل من الشيخ صقر بن خالد القاسمى على ترخيص بإقامة فنار لإرشاد السفن عند مدخل الخليج وبهذه المناسبة تم تبادل المراسلات بين الجانبين وفيهاأكد المقيم البريطانى لحاكم الشارقة على أهمية اقامة فنار فى الجزيرة التابعة له وهى طنب الكبرى لإرشاد السفن نظرا للموقع الذى تتمتع به الجزيرة عند مدخل الخليج وفى الرد الذى تلقاه المقيم البريطانى من حاكم الشارقة فى ٢٢أكتوبر١٩١٢ أكد الأخير موافقته على منح الترخيص مع التشديد

---

(١) تم انفصال رأس الخيمة عن إمارة الشارقة فى عام ١٩٢١ .

على ملكيته للجزيرة وبشرط أن يبقى علمه مرفوعا عليها وقد أجابه المقيم البريطانى بأنه من المرغوب فيه دائما أن يستمر علمه قائما كما أن إنشاء فنار فى الجزيرة يؤكد ملكيته لها وأن حقوقه لن تضار بإنشاء ذلك الفنار ، [1] وليس من شك فى أن اتصال برسى كوكس المباشر بحاكم الشارقة ودون رجوعه إلى السلطات الفارسية فى الخليج إنما يؤكد ملكية الشارقة لتلك الجزيرة وفضلا عن ذلك فإنه حين أثارت الحكومة الفارسية اعتراضها على حصول السلطات البريطانية فى الخليج على ذلك الترخيص أجاب الوزير البريطانى المفوض فى طهران بناء على المشاورات التى تمت بينه وبين السير برسى كوكس بأن ملكية الجزيرة لحاكم الشارقة ليست موضع شك وأنه من الأفضل ألا تثير الحكومة الفارسية تلك المشكلة من جديد لأن اثارتها قد تؤدى إلى إثارة مشكلة جزيرة صيرى التى سبق واحتلتها السلطات الفارسية وتغاضت السلطات البريطانية عن ذلك الاحتلال فى عام ١٨٨٩. وعلى الرغم من توقف الادعاءات الفارسية لعدة سنوات إلا أن السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى شهدت تجدد تلك الادعاءات فقد ترتب على انفصال رأس الخيمة عن الشارقة واعتراف الحكومة البريطانية بتبعية الطنبين لها مع التأكيد على تبعية جزيرة أبو موسى للشارقة أن احتجت الحكومة الفارسية على استقرار وضعية الجزر على ذلك النحو وأخذت فى إثارة العديد من الأزمات ففى عام ١٩٢٣ أوعزت لسلطاتها فى بوشهر بإرسال بعض القطع البحرية إلى جزيرة أبو موسى بهدف تفقد مناطق الأكسيد الأحمر بها حيث كانت الحكومة الفارسية تعمل على أن يمتد نطاق الامتياز الذى منحته لاحدى الشركات العاملة فى أراضيها إلى جزيرة أبو موسى وعلى أثر ذلك بادر السير برسى لورين Loraine الوزير البريطانى المفوض فى طهران

---

(١) Percy cox to sheikh Saggar Bin Khahid and from chief of Shargah to Percy Cox no 8 - 9 - 10 , October 1912 in treaties and engagements in force between the British Government and the Trucial Chiefs of Arab Coast,Calcutta,1913- see also Aitchison ,C.U. op . cit., vol.XI,P. 258 ff.

بالكتابة إلى حكومته لابلاغها بحقيقة الوضع وردت وزارة الخارجية البريطانية بإصدار تعليماتها إلى ممثلها فى طهران بأن يلفت نظر الحكومة الفارسية إلى ما حدث فى عام ١٩٠٤ حين امتثلت السلطات الفارسية للإرادة البريطانية وبادرت بإزالة الأعلام الفارسية من الجزر ومن ثم فإن تجديد الادعاءات الإيرانية سوف يدفع بالحكومة البريطانية إلى اتخاذ اجراءات أكثر تشدداً .

وعقب انتهاء تلك الأزمة ظل الموقف متسما بالهدوء النسبى حتى يوليو من عام ١٩٢٨ حين أقدمت السلطات الإيرانية فى الخليج بالتعرض لاحدى السفن الشراعية التابعة لامارة دبى كانت فى طريقها من طنب الكبرى إلى خصب حيث اقتيدت إلى ميناء لنجة وصودرت حمولتها من المواد التموينية وتم اعتقال ركابها بعد أن اتهمتهم السلطات الإيرانية بالاشتغال فى عمليات التهريب وقد أدى هذا الحادث إلى إثارة حكام الساحل العمانى وكاد الموقف يتطور إلى حدوث مواجهة بين السلطات البريطانية والسلطات الإيرانية فى الخليج(١)،غير أن وزارة الخارجية البريطانية اكتفت بطلب اعتذار من الحكومة الإيرانية عن تسببها فى وقوع ذلك الحادث كما طلبت تعويضا عن الأضرار التى لحقت بالسفينة وركابها وأكدت فى مذكرة بعثت بها إلى الحكومة الإيرانية بأنها لن تتحمل من الآن فصاعداً أية ادعاءات جديدة على أبوموسى والطنبين،(٢)بينما ردت الحكومة الإيرانية على المذكرة البريطانية بتأكيد حقوقها على تلك الجزر وأبدت دهشتها فى عدم اعتراف السلطات البريطانية

---

(١) F . O . 371 / 13010 incident arising out of seizure of Dhow at Dubai by persian officials , July , 1928

(٢) F . O . 371 / 13721 Status of Islands of Tamb , Abu Musa and Sirri , Documents Showing rights of Trucial Coast Arabs , 1929

بصلاحيتها فى ممارسة الاجراءات اللازمة على سفن تشتغل بتجارة التهريب [1]، وذهبت إلى أبعد من ذلك فى إدعائها بحقوق السيادة على جميع الساحل العربى من الخليج بدءاً من إمارة الكويت شمالا إلى سلطنة مسقط وعمان جنوبا مؤكدة أن جميع سكان ذلك الساحل رعايا تابعين لها وأنها بصدد إصدار جوازات سفر إيرانية لهم[2].وكان من الطبيعى أن تتصدى الحكومة البريطانية لتلك الادعاءات بالتركيز على معاهدات الحماية التى عقدتها مع حكام الامارات العربية والتى من شأنها عدم اعترافها بوجود ثمة علاقات بين إيران أو غيرها من الدول وبين أولئك الحكام [3] .

ومما هو جدير بالذكر أن الادعاءات الإيرانية على الخليج بدأت تأخذ طابعاً قوميا فى أعقاب سقوط الأسرة القاجارية وقيام الأسرة البهلوية بزعامة رضا شاه بهلوى ومن ثم تميزت سنوات حكمه ١٩٢٥ - ١٩٤١ بالمنازعات المستمرة التى قامت بينه وبين الحكومة البريطانية وخاصة حين أخذ يوجه ضرباته المتتالية ضد الامتيازات الأجنبية فى إيران ولم يلبث أن طلب من الحكومة البريطانية أن تبادر بسحب قواعدها العسكرية التى أقامتها فى باسيدو وهنجام متعللا بحاجة إيران إلى تلك المواقع لرسو سفن أسطولها الجديد ، ولما كانت الدوائر البريطانية فى الخليج لا يزال يحدوها الأمل فى استمرارية الابقاء على قواعدها البحرية فى السواحل الإيرانية فقد اقترحت الحكومة البريطانية على الحكومة الإيرانية الدخول فى مباحثات لتسوية الخلافات القائمة بينهما وقد استغرقت تلك المباحثات ما يقرب من ستة أعوام وعلى

---

(١) India office,Confidential B.297 , 1928

(٢) I . O . B . 403 The Trucial chiefs 1908 - 1928

(٣) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ / ١٩٤٥ القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧

وجه التحديد بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٤ نوقشت فى خلالها بنوداً لمشروع معاهدة بريطانية إيرانية لم يقدر لها أن تخرج إلى حيز التنفيذ .

ولا يهمنا من تلك المباحثات سوى مايتعلق منها بجزرأبوموسى والطنبين إذا كانت المشكلات المتعلقة بتلك الجزر واصرار الحكومة البريطانية على أن تعترف الحكومة الإيرانية بالمعاهدات التى عقدتها مع الحكام العرب فى الخليج من أهم العقبات الرئيسية التى اعترضت سير تلك المباحثات وأدت إلى توقفها فى نهاية الأمر (١).

ويتضح من العروض التى قدمتها إيران خلال مفاوضتها مع بريطانيا ضعف الأسانيد التى كانت تعتمد عليها فيما يتعلق بادعاءاتها على تلك الجزر . وعلى الرغم من أن المفاوض البريطانى كان يحاول فى كثير من الأحيان ترضية إيران على أمل أن تظل بريطانيا محتفظة بقواعدها البحرية على بعض الجزر والسواحل الإيرانية إلا أن الحكومة البريطانية لم تستطع التسليم بالادعاءات الإيرانية على جزر أبو موسى والطنبين ولعل ذلك مما دفع بالمفاوضين الإيرانيين إلى تقديم عروض تقضى بشراء الحكومة الإيرانية لجزيرة طنب مقابل موافقتها على تأجير قاعدة هنجام للبحرية البريطانية غير أن الحكومة البريطانية كانت عاجزة عن إتمام تلك الصفقة خاصة وأن حاكم رأس الخيمة التى كانت تتبعه تلك الجزيرة كان من أكثر الحكام العرب فى الخليج شدة وعناداً حيث أعلن رفضه القاطع بيع جزيرته مهما كان الثمن الذى سوف تقدمه له إيران (٢) .

---

(١) Memorandum of Certain Aspects of the Situation in the Persian Gulf between His Majesty's Government in the United Kingdom and the Persian Government , 1931 See also Memorandum of Persian claim to Tamb and Abu Musa , 1934 F . O . 371 /18901.

(٢) Question of persian Purchasing Tamb From Sheikh of Sharjah 1929.

ولعل مما يثير الانتباه أن الحكومة الإيرانية كانت تركز فى ذلك الوقت على جزيرة طنب الكبرى أكثر من تركيزها على جزيرة أبو موسى ويرجع ذلك إلى أن الجزيرة الأولى أقرب إلى سواحلها هذا بالإضافة إلى أن السلطات الجمركية الإيرانية كانت تعتبر تلك الجزيرة المركز الرئيسى لعمليات تهريب المئون والأسلحة وما قد تؤدى إليه تلك العمليات من إضرار باقتصاد إيران أو إخلال بأمنها القومى وكان اهتمام الحكومة الإيرانية بجزيرة طنب دافعا لكى توالى تقديم عروض أخرى ومن بين تلك العروض التنازل عن إدعاءاتها فى جزيرة أبو موسى مقابل اعتراف الحكومة البريطانية بملكيتها لجزيرة طنب ولم يجد هذا العرض بدوره تجاوبا من بريطانيا التى أوضحت عدم قدرتها على التنازل عن أراضى مملوكة لحكام مشمولين بحمايتها ضد رغباتهم. ثم كان هناك عرض آخر قدمه المفاوضون الإيرانيون ويقضى بتأجير الحكومة الإيرانية جزيرة طنب الكبرى لمدة خمسين عاما وقد بذل المفاوضون الإيرانيون جهداً كبيرا لحث المفوضين البريطانيين للموافقة على ذلك العرض خاصة وأن ذلك سيدفع بالحكومة الإيرانية إلى الموافقة على تأجير جزيرة هنجام لبريطانيا لاستمرار اتخاذها قاعدة للأسطول البريطانى فى الخليج كما أن حصول الحكومة الإيرانية على عقد إيجار جزيرة طنب قد يكون فيه تعويضا وارضاءاً للرأى العام الإيرانى عندما يعرض مشروع المعاهدة البريطانية الإيرانية على المجلس النيابى للموافقة عليه رغم ما أشارت إليه بعض بنود تلك المعاهدة من تخلى إيران عن إدعاءاتها الإقليمية فى كل من البحرين وجزيرة أبو موسى [1] .

واستجابة لذلك العرض الأخير طلبت الحكومة البريطانية من مقيمها السياسى

---

١ - محمد مرسى عبد الله ، مرجع سبق ذكره ص ٣٦٢ .

فى الخليج مناقشة الأمر مع حاكم رأس الخيمة وتحت المساعى البريطانية أبدى الأخير موافقته على تأجير جزيرته فى مايو ١٩٣١ بعد أن وضع شروطا صعبة لم تكن قابلة للتنفيذ إذا أصر على احتفاظه بحقوق السيادة على الجزيرة وأن يبقى ممثله فيها ويستمر رفع العلم الخاص به وألا يتدخل أحد فى شئون رعاياه وأن يتمتع باعفاءات جمركية كما اشترط أيضا أن تقوم الحكومة الإيرانية بدفع الإيجار السنوى مقدما وأن تضمن الحكومة البريطانية تنفيذ تلك الشروط [١]،وفيما يبدو أن الحكومة البريطانية رأت أنه لا جدوى من تبليغ تلك الشروط إلى الحكومة الإيرانية خاصة بعد أن أخذت العلاقات البريطانية الإيرانية طريقها إلى التوتر وبعد أن استقر رأى حكومة الهند البريطانية على التحول بقاعدتها البحرية من هنجام إلى البحرين[٢].

ومع ذلك فقد تكررت المحاولات الإيرانية للاتصال مباشرة بحاكم رأس الخيمة متخطية بذلك السلطات البريطانية غير أن تلك المحاولات لم تحقق نجاحا يذكر ازاء الموقف المتصلب للشيخ تجاه العروض الإيرانية التى وجد فيها مساسا بسيادته الاقليمية [٣] .

وعلى أثر توقف المفاوضات البريطانية الإيرانية فى عام ١٩٣٤ وضح تشدد الحكومة البريطانية ازاء المحاولات التى كانت تبذلها إيران للوصول إلى منطقة النفوذ البريطانى فى الخليج والتى وضحت فى الزيارات المتكررة التى كانت تقوم بها بعض القطع البحرية الإيرانية إلى الجزر الثلاث واستمرار جهودها الرامية لإيجاد

(١) F . O . 371 / 15278 Islands of Tamb - Posistion in regard to Anglo - Persian Treaty Negotiations , Proposed Lease of Tamb to Persian Govern ment , May , 1931.

(٢) Fenelon , G . B . , op . cit . P., 15.

(٣) F. O. 371 / 16852 Alleged Persian attempt to obtain lease of Tamb.

اتصالات مباشرة مع حاكم رأس الخيمة مستغلة الضائقة المالية الناجمة عن كساد مواسم الغوص على اللؤلؤ خلال حقبة الثلاثينيات وإن كان من الملاحظ في نفس الوقت أن الحكومة البريطانية لم تعد تبدى اهتماماً بالادعاءات الإيرانية سواء على الجزر أو غيرها من مناطق الخليج الأخرى ولعلها قد أدركت ضعف تلك الادعاءات وحتى إذا ما اتجهت الحكومة الإيرانية لاثارتها لدى عصبة الأمم فإنها ستواجه بردود فعل معاكسة وقد يصل الأمر إلى تدعيم الوجود البريطاني في الخليج باعتباره ضروريا لحماية " الشعوب الصغيرة " .

ومع أن جزيرة طنب الكبرى كانت موضع اهتمام الحكومة الإيرانية فقد أخذت جزيرة أبو موسى تجذب الانتباه إليها منذ عام ١٩٣٤ حين منح حاكم الشارقة ترخيصا للكوماندور بايلدون R . Bayldon لفحص الأكسيد الأحمر في الجزيرة لحساب شركة الوادي الذهبي وحين قام بعض مهندسي الشركة بزيارة الجزيرة وجاءت نتائج الفحص مشجعة بادرت الشركة بالحصول على امتياز للاستغلال في نوفمبر ١٩٣٤ وليس من شك في أن حاكم الشارقة وجد في منحه لذلك الامتياز علاجاً للأزمة المالية الحادة التي كان يعاني منها [١] ، وعلى أثر ذلك قدمت الحكومة الإيرانية احتجاجاً ضد منح حاكم الشارقة لذلك الامتياز واعتبرته لاغيا وكأنه لم يكن Null & Void [٢] .

ولعل مما يسترعي الانتباه أن المواقف المتشددة لبريطانيا ضد الإدعاءات الإيرانية لم تكن تهدف بها إلى حماية الحقوق المشروعة للحكام العرب وإنما كانت ترتبط إلى حد

---

(١) Fenelon , G . B . , op . cit . P., 15.

(٢) F . O . 371 / 18911 - Bahrein Intelligence Report No 3 , 1935
انظر أيضا : لؤى بحرى : الأطماع الإيرانية في جزيرة أبو موسى ، بغداد ١٩٧٢ .

كبير بتوتر العلاقات بينها وبين إيران خاصة فى خلال السنوات الأخيرة من عهد رضا شاه بهلوى ولعل ما يؤكد ذلك أنه بعد تنحيته عن الحكم فى عام ١٩٤١ وتولية ابنه محمد رضا بهلوى فترت المواجهة البريطانية لإيران وخاصة بعد أن أصبح الشاه الجديد حليفا لها فى الحرب العالمية الثانية ومن ناحية أخرى أدت ظروف الحرب إلى توقف الادعاءات الإيرانية على جزر الخليج حتى عادت إيران تجدد مطالبها على تلك الجزر فى عام ١٩٤٨.وقد حاولت إيران أن تستغل انضمامها إلى حلف بغداد فى عام ١٩٥٥ وللحلف المركزى فى عام ١٩٥٩ لكى تحصل على تنازلات من بريطانيا عن تلك الجزر بيد أنها فشلت فى تحقيق أهدافها ولا يعزى ذلك إلى الموقف البريطانى الذى لم يعد متشدداً مع إيران كما كان عليه الحال من قبل وإنما يرجع إلى مواجهة إيران بالمد العربى الذى أخذ تياره ينساب إلى إمارات الخليج العربى عقب الحرب العالمية الثانية وازداد انسيابا نتيجة الأحداث المتتالية التى شهدها العالم العربى بدءا من الحرب العربية الإسرائيلية فى عام ١٩٤٨ونشوب ثورة يوليه ١٩٥٢ والعدوان الثلاثى على مصر فى عام١٩٥٦ وقيام الجمهورية العربية المتحدة ونشوب ثورة تموز فى العراق فى عام ١٩٥٨[1].ومن ثم أخذت إيران تتصدى لتلك الاتجاهات القومية باعتمادها على بريطانيا وعلى غطاء دولى يضمن لها التحرك فى منطقة الخليج فبالاضافة إلى تكثيف إدعاءاتها الاقليمية على البحرين أقدمت على احتلال جزيرة أبوموسى خلال المناورات المشتركة التى أجرتها البحرية الإيرانية مع الأسطول الأمريكى فى مارس١٩٦٤فى نطاق عضوية إيران للحلف المركزى غير أنها سارعت بالجلاء عن الجزيرة بعد عشرين يوما من انزال

(١) جمال زكريا قاسم:الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥-١٩٧١ القاهرة ١٩٧٤،ص٣٣ .

(٢) سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى الكتاب الثانى - إمارات الساحل العمانى، طـ ٢ ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٩٤ .

قواتها إثر الاحتجاجات العربية العنيفة واضطر وزير الخارجية الايرانية إلى التصريح بأن الانزال الايرانى كان مناورة عسكرية طارئة وبادرت السلطات البريطانية فى الخليج بإرسال سفينة حربية عليها بعض الجنود ومندوبين من حاكم الشارقة لانتزاع العلامات البحرية التى كان من شأنها إدخال جزيرة أبو موسى فى المياه الاقليمية الايرانية .

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت ملتزمة بالمحافظة على حقوق السيادة الاقليمية للحكام العرب المشمولين بحمايتها فى منطقة الخليج إلا أنه كان واضحا التغير الذى بدأ يظهر فى السياسة البريطانية من حيث التنسيق مع إيران بهدف مواجهة التحديات التى كانت تتعرض لها المصالح الغربية فى منطقة الخليج ومن ثم أصبح ذلك التنسيق يمثل حجر الزاوية لأمن الخليج وضمان الملاحة الدولية فى مضيق هرمز . وقد وضح التنسيق البريطانى الإيرانى خلال فترة الانتقال التى حددتها الحكومة البريطانية منذ اعلان سياستها الخاصة بالانسحاب فى يناير ١٩٦٨ حتى تصفية وجودها العسكرى قبل نهاية عام ١٩٧١ وفى خلال تلك السنوات الثلاث قامت الحكومة البريطانية بمساعى مكثفة لضمان استقرار الأمن وتسوية بعض المطالب الاقليمية (١) فى الوقت الذى لعبت فيه السياسة الأمريكية دورا كبيرا فى استغلال نزعة الشاه التوسعية واعداده ليقوم بدور الشرطى أو الوكيل الذى يحافظ على المصالح الغربية وفى مقدمتها النفط وظهر ذلك واضحا فى زيادة حجم التسليح الإيرانى والوقوف إلى جانبه فى فرض هيمنته السياسية على الخليج .

---

(١) Hussain Sirriyeh , Security and Stability in the Gulf , Background to United States Policy , Center For Contemporary Arab Studies Georgetown University , London 1984 , pp . 44 - 46

ولعل ذلك مما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد استيلائه على جزر الخليج الثلاث [1] خاصة بعد أن أخذ يركز على الأهمية الاستراتيجية لتلك الجزرمبديا قلقه من احتمال سيطرة عناصر يسارية عليها على أثر تصاعد الثورة فى إقليم ظفار وتحول جبهة تحرير عمان إلى جبهة يسارية أعلنت الاطاحة بالمصالح الغربية والأنظمة السياسية الحاكمة وطالبت بتحرير عمان والخليج العربى بكامله .

وبينما أعلن الشاه تخلى إيران عن إدعاءتها التقليدية فى البحرين إلا أنه طالب العرب أن يتخلوا فى المقابل عن تشددهم بالنسبة لجزر الخليج الثلاث وأكد فى العديد من التصريحات التى أدلى بها بأن تلك الجزر تابعة لإيران ولا يسع إيران سوى استردادها سلميا أو باستخدام القوة إذا ما لزم الأمر، [2] وإلى جانب تصريحات الشاه صدرت تصريحات أخرى من رئيس حكومته أمير عباس هويدا أكد فيها حاجة إيرن لتلك الجزر لحماية مصالحها وثرواتها وأنها ستدافع عن مجراها المائى بكل ما لديها من قوة بحرية وبرية وجوية [3]

ومما يسترعى الانتباه أن التصريحات الإيرانية التى كان يدلى بها الشاه أو المسئولون فى حكومته كانت تختلف فى لهجتها بين أساليب التهديد أو الترغيب كتقديم المساعدات الاقتصادية والاجتماعية لامارتى الشارقة ورأس الخيمة لقاء تنازلهما عن تلك الجزر ،غير أنه مع اقتراب انتهاء الوجود العسكرى البريطانى من الخليج بدأت تتصاعد حدة الادعاءات الإيرانية ففى مايو ١٩٧٠ هددت الحكومة الإيرانية باستخدام القوة ضد شركة أوكسيتندال Occidental البريطانية التى تقوم

(١) عبد الله الأشعل :الاطار القانونى والسياسى لمجلس التعاون الخليجى،الرياض ١٩٨٣ ،ص٦٩

(٢) جابر الراوى : المرجع السابق ص ٤٢٩ .

(٣) نفسه ، ص ٤٢٩ وما بعدها .

باستغلال النفط فى إمارة الشارقة إذا لم توقف عملياتها التنقيبية فى جزيرة أبو موسى مما اضطر الحكومة البريطانية إلى إصدار تعليماتها إلى تلك الشركة بوقف عملياتها فى الجزيرة . وفى أكتوبر من نفس العام أكدت الحكومة الإيرانية معارضتها التامة لقيام اتحاد بين الامارات العربية ما لم يتم التوصل إلى حل لمشكلة الجزر وبصدد ذلك صرح أردشيرزاهدى وزير الخارجية الإيرانية بأن بلاده لن تعترف بالاتحاد بل وستقاومه [1] .

وعلى أثر تسليم إيران باستقلال البحرين فى أغسطس عام ١٩٧١ أخذ الشاه يعمل على تثبيت صورته فى المنطقة بتكثيف مطالبته بالجزر الثلاث وأشار إلى أنه إذا كانت المحاولات السابقة التى بذلها والده من أجل استرداد تلك الجزر قد أحبطتها بريطانيا فإن الأمور قد تغيرت الآن إذ أصبح لديه أسطولا من السفن والطائرات التى يمكنه بواسطتها أن يتحدى بريطانيا ويعيد الجزر إلى السيادة الإيرانية . [2] ويظهر من ذلك التصريح محاولة الشاه أن يعطى انطباعاً بأنه يعمل على استرجاع سيادة سابقة لإيران على تلك الجزر حال الانجليز دون ممارستها لها ومثل ذلك الادعاء لا يستند على أى أساس من الصحة التاريخية ويؤكد ذلك ما صرح به السير ويليام لوس Luce الذى كان يشغل من قبل منصب المقيم البريطانى فى الخليج ، ثم عهدت إليه حكومة المحافظين القيام بزيارات استطلاعية إلى دول وإمارات الخليج قبيل تنفيذ سياسة الانسحاب من أن الحكومة البريطانية لم تستول على تلك الجزر من إيران وتسلمها للحكام العرب وقت دخولها منطقة الخليج إذ أن

(١) جابر الراوى : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢٩ أنظر أيضا محمد مرسى عبد الله ، مرجع سابق ص ٣٨٢ .

(٢) محمد عزيز شكرى: مسألة الجزر فى الخليج العربى وموقف القانون الدولى ، دمشق ١٩٧٢، ص ص٤٢٩- ٤٣٠

الجزر عربية طبقا لوثائق الخارجية البريطانية وحكومة الهند وتقارير المقيمية البريطانية فى الخليج [1] .

وليس من شك فى أنه كان بوسع الحكومة البريطانية لولا تساهلها مع إيران أن تحتفظ بوضعيه تلك الجزر لأصحابها الأصليين ولعل ما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أن حاكم الشارقة بادر على أثر التهديدات الإيرانية بتكليف أحد الخبراء القانونيين باعداد تقرير مدعم بالأسانيد التاريخية والقانونية حول جزيرة أبو موسى وقد ثبت من هذا التقرير الذى أرسل حاكم الشارقة نسخا منه إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية وإلى المسئولين فى الدول العربية فى يوليو من عام ١٩٧١ أن جزيرة أبوموسى كانت منذ أقدم تاريخ سجل فى الوثائق البريطانية ملكا للشارقة وأكد الخبير القانونى أن قضية امتلاك الشارقة للجزيرة ستكون غير قابلة للنقاش إذا ما قدمت للتحكيم الدولى وأنه بغض النظر عن إثبات الملكية ،فإن التهديد الإيرانى باستخدام القوة العسكرية للسيطرة على جزر الخليج هو انتهاك صريح لميثاق الأمم المتحدة الذى يحظر تغيير حالات إقليمية مثبتة بواسطة القوة أو التهديد باستخدامها [2] .

وفيما يبدو أن بريطانيا التى ظلت تدافع عن حقوق الشارقة ورأس الخيمة فى تبعية تلك الجزرلهما طوال فترة وجودها فى منطقة الخليج قد أدركت أن انسحابها من الخليج سيؤدى حتما إلى احتلال إيران لتلك الجزر ويظهر ذلك فيما رددته الصحف

---

(١) جابر الراوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) انظر بصدد ذلك تقرير كوارد تشانس فى ٢٣ يوليو ١٩٧١ إلى المستر نورث كات أيلى مستشار حاكم الشارقة حول ملكية الشارقة لجزيرة أبو موسى ، نجيب رياض الريس : صراع الواحات والنفط - هموم الخليج العربى ١٩٦٨ - ١٩٧١ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

البريطانية من أنه من الأفضل أن تقوم بريطانيا بتسليم تلك الجزر لإيران قبل أن تنهى وجودها العسكرى وبذلك يمكن حصر مشكلة الجزر بينها وبين إيران لأن الاحتلال الإيرانى للجزر بعد انسحابها سيؤدى إلى إثارة المشكلات بين العرب وإيران وما سيترتب على ذلك من إشاعة حالة من التوتر وعدم الاستقرار فى المنطقة (١)

وانطلاقا من تلك المفاهيم حاولت الحكومة البريطانية التوصل إلى حلول سلمية لتلك المشكلة وظهر ذلك واضحا فى الدور الذى قام به السير ويليام لوس والذى تميز بالوساطة وليس بالدفاع عن السيادة الإقليمية للشارقة ورأس الخيمة . وعلى الرغم من أن المبعوث البريطانى ومعاونوه كانوا يكنون اعجابا لموقف الشاه تجاه البحرين ويرون أنه ينبغى أن يأخذ العرب موقفا معتدلا فى مسأله الجزر والوصول إلى حلول سلمية مع إيران فإن الدول العربية فى الخليج خاصة السعودية والكويت كانت تنظر إلى قضية استقلال البحرين على أنها حق مقرر وليست صفقة تجاريه وأنه لا توجد ثمة رابطة بين المسألتين .

وعلى أى الأحوال فقد تميزت الأسابيع القليلة التى سبقت الاحتلال الإيرانى للجزر بمباحثات مكثفة بين إيران وكل من حاكم الشارقة ورأس الخيمة بوساطة ويليام لوس وفى خلال تلك المباحثات أصر الحاكمان على إصدار بيان تؤكد فيه الحكومة الإيرانية احترامها لسيادتهما على الجزر الثلاث مما أدى إلى انهيار تلك المباحثات ومع ذلك فقد كان للمساعى البريطانية أثرها فيما يتعلق بما صار إليه الوضع بالنسبة لجزيرة أبو موسى فعلى حين رفض حاكم رأس الخيمة أية حلول تمس سيادته

---

(١) A . G . Duke.The Union of The Arab Amirates, Middle East Journal, Summer , 1972 , P. 27

الإقليمية على الطنبين أبدى حاكم الشارقة استعداده للتوصل إلى حل سلمى حرصا على إقامة علاقات طيبة مع إيران ، [1] واقترح بصدد ذلك إحالة موضوع النزاع إلى التحكيم الدولى أو هيئة الأمم المتحدة غير أنه لم يجد استجابة من الحكومة الإيرانية وحينما أدرك أن الدول العربية ليست على استعداد لمواجهة إيران عسكريا أو حتى دبلوماسيا لأن قضية الأراضى العربية الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلى كانت هى القضية الملحة آنذاك فقد قبل الاتفاق مع إيران فيما يتعلق بجزيرة أبو موسى خاصة بعد أن كثفت إيران تصريحاتها باستخدام القوة العسكرية . وفى ١٨ نوفمبر ١٩٧١ وجه خطابا إلى وزير الخارجية البريطانية أكد فيه قبوله للترتيبات المبينة فى مذكرة التفاهم التى تم الاتفاق عليها مع الجانب الإيرانى وجاء الرد الإيرانى فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧١ بقبول الترتيبات المتفق عليها والخاصة بجزيرة أبو موسى [2] والتى وقع عليها كل من الشيخ خالد حاكم الشارقة وعباس على حلقبرى وزير الخارجية الإيرانية والسير دوجلاس هيوم وزير الخارجية البريطانية .

وتشتمل مذكرة التفاهم على مقدمة وستة بنود تم الاتفاق عليها بضمان الحكومة البريطانية وفيها أكدت إيران والشارقة بأنهما لن يتخليا عن المطالبة بأبو موسى ولن تعترف أى منهما بمطالب الأخرى وقد نصت الترتيبات المتفق عليها على وصول قوات إيرانية واحتلال مناطق ضمن الحدود المبينة فى خريطة أرفقت بالمذكرة ، وعلى أن يكون لإيران صلاحيات كاملة فى المناطق المحتلة بقواتها كما نصت الترتيبات من ناحية ثانية على أن تمارس الشارقة صلاحياتها الكاملة على بقية أنحاء الجزيرة وعلى أن يتمتع مواطنو إيران والشارقة بحقوق متساوية للصيد فى المياه الاقليمية

(١) جابر الراوى : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٤٣ .

(٢) محمد عزيز شكرى : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦ .

للجزيرة والتى حددت باثنتى عشر ميلا بحريا [1] .

وعلى أثر موافقة الشارقة على تلك الترتيبات وجه الشيخ خالد بن محمد أمير الشارقة بيانا إلى مواطنيه من إذاعة صوت الساحل أعلن فيه تسوية الأوضاع مع إيران فيما يتعلق بجزيرة أبو موسى كما صدر بيان من ديوان الحاكم فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ حرص على التأكيد بأن الترتيبات التى تم الاتفاق عليها لن تمس نظرة الشارقة فى سيادتها على الجزيرة إذ سيبقى علمها مرفوعاً على مركز الشرطة وعلى الدوائر الحكومية كما سيظل المواطنون المقيمون فى الجزيرة تحت سلطة واختصاص حكومة الشارقة وتستمر شركة بيوتزجاز آند أويل بالكشف والتنقيب عن النفط والمصادر الطبيعية فى الجزيرة ومياهها الإقليمية وأنه سيجرى تقسيم دخل تلك المصادر مناصفة بين الشارقة وإيران . وتضمن البيان النص على توقيع اتفاقية للمساعدات المالية سوف تحصل الشارقة بمقتضاها على مبلغ مليون ونصف مليون من الجنيهات الاسترلينية سنويا ولمدة تسع سنوات على التوالى فى صورة إعانة يجرى انفاقها فى مصالحها العامة على أن تتوقف إيران عن دفع تلك الأعانة السنوية حين يبلغ دخل الشارقة من النفط ثلاثة ملايين من الجنيهات وعند ذلك يتم تقسيم الدخل بالتساوى بين الجانبين [2] .

وعلى الرغم من العبارات الهادئة التى وردت فى ذلك البيان إلا أنه كان من الواضح أن الاتفاق الذى تم التوصل إليه قد أبرم تحت التهديد الإيرانى باستخدام القوة العسكرية ومن ثم يمكن القول أن الشارقة قد أجبرت على قبول ذلك الاتفاق

---

١ - انظر بيان الاتفاق بين الشارقة وإيران حول جزيرة أبو موسى الصادر عن ديوان حاكم الشارقة وملحقاتها - جريدة الاتحاد أبو ظبى ١٩٧١/١١/٣٠ ، محمد مرسى عبد الله ، دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

٢ - محمد عزيز شكرى : المرجع السابق ص ٤١ - ٤٢ .

نتيجة ظروف قسرية . ولعل مما تجدر الإشارة إليه أيضا أنه على الرغم من أن الاتفاق نص على نزول قوات إيرانية فى الجزء الأعلى من الجزيرة مما كان يعنى أنه قد أصبح هناك سيادة مشتركة إلا أن الاتفاق لم يشر بصراحة إلى الأمور المتعلقة بالسيادة . ومن ناحية أخرى كان الشيخ خالد بن محمد حاكم الشارقة حريصا على التركيز على مجموعة من الأسباب التى برر بها موقفه ففى حديث أدلى به لإحدى الصحف العربية ذكر أن الدول العربية لم تتخذ أية اجراءات ايجابية تجاه النوايا الإيرانية وأكد أن إيران لم تكن لتسلم بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة قبل أن تصل إلى حل لانهاء مشكلة الجزر وأن بريطانيا كانت حريصة على انهاء تلك المشكلة قبل تنفيذ انسحابها النهائى من الخليج فضلا عن أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت مساندة لإيران ونتيجة لتلك الظروف جميعها لم يكن أمامه من سبيل سوى التفاهم مع إيران أو على حد قوله " ماذا أستطيع أن أفعل فأنا حريص على قيام الاتحاد وعلى عروبة الجزر وعلى حقن دماء أبناء شعبى " [1] .

وعلى العكس مما ذهب إليه حاكم الشارقة فإن الشيخ صقر حاكم رأس الخيمة قد رفض التوصل إلى اتفاق مع إيران رغم التحذيرات المتكررة التى وجهها إليه السير ويليام لوس بأن إيران سوف تحتل جزيرتى طنب الكبرى والصغرى ما لم يصل إلى تسوية بشأنهما وأن الحكومة البريطانية لن تعتبر نفسها مسئولة عن ذلك وهى بصدد انهاء علاقاتها التعاهدية مع رأس الخيمة وغيرها من الإمارات العربية فى الخليج [2]ولعل مما تجدر الاشارة إليه أن الشيخ صقر لم يستجب للعروض الإيرانية

(١) جريدةالأنوار ، بيروت ١٩٧١/١٢/٨ ، سجل الآراء حول الوقائع السياسية فى البلاد العربية، بيروت ١٩٧١ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ ،ص ٢١٧ .

التى أبدت فيها إيران استعدادها لشراء الجزيرتين مقابل خمسة عشر مليونا من الجنيهات الاسترلينية تدفع على مدى تسع سنوات إلى جانب منح رأس الخيمة ٤٩٪ من أية ثروة نفطية أو موارد طبيعية أخرى يتم اكتشافها فى هاتين الجزيرتين وقد رد الشيخ صقر على تلك العروض التى حملها إليه السير ويليام لوس " بأننا لن نتخلى أبدا عن أرضنا ولسنا مستعدين للدخول فى صفقات لبيع أراضينا " [١] .

اختلفت السياسة الإيرانية بشأن جزر الخليج الثلاث عن سياستها ازاء البحرين فبينما أعلنت بأنها لن تلجأ إلى استخدام القوة فى ضم البحرين إلى أقاليمها اتبعت سياسة الاحتلال القسرى بالنسبة لجزيرتى طنب الكبرى والصغرى والاحتلال السلمى المستند إلى اتفاق مع إمارة الشارقة بالنسبة لجزيرة أبو موسى [٢] .

بدأت إيران عملياتها العسكرية باحتلال جزيرة طنب الكبرى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ حين حلقت بعض الطائرات من طراز الهليوكوبتر التابعة لسلاحها الجوى على الجزيرة فى نفس الوقت الذى أحاطت بها بعض القطع البحرية وعلى أثر الانزال الإيرانى حدثت بعض المناوشات بين أفراد الشرطة المحلية البالغ عددهم ستة أشخاص وبين بعض الجنود الإيرانيين مما أسفر عن مقتل أربعة أفراد من العرب بينما قتل ثلاثة آخرون من القوات الإيرانية وفر كثير من السكان أو طردوا من الجزيرة بينما بقى الآخرون تحت سيطرة السلطات الإيرانية . أما فيما يتعلق بجزيرة طنب الصغرى فقد تم احتلالها دون وقوع اشتباكات مسلحة نظرا لخلوها من السكان

---

(١) محمد عزيز شكرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥ .

(٢) حسين البحارنه ، دول الخليج العربى الحديثة ، علاقاتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٧ - ٧٨.

وفى نفس الوقت أيضا نزلت بعض القوات الإيرانية فى جزيرة أبو موسى واحتلت الجزء الأعلى منها [1] .

وبينما أعلنت حكومة الشارقة أنه قد سبق لها أن تفاهمت مع إيران على وضعية جزيرة أبو موسى أعلنت رأس الخيمة استنكارها الشديد لوقوع العدوان على أراضيها وأشار البيان الذى صدر عن ديوان الحاكم أن قوة الشرطة التابعة للامارة تصدت بشجاعة للهجوم الإيرانى المباغت وبادر الشيخ صقر القاسمى حاكم رأس الخيمة بتقديم احتجاج شديد اللهجة إلى الحكومة البريطانية محملا إياها مسئولية ذلك العدوان وعدم التزامها بحماية ممتلكاته الإقليمية بحكم ما يربط الامارة من معاهدات مع بريطانيا لم يكن قد تم الغاؤها بعد ، فى الوقت الذى سارع فيه العراق باعلان وقوفه إلى جانب رأس الخيمة ، وعن طريقه تم إبلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة ومجلس الأمن ورؤساء الدول العربية بالاحتلال الإيرانى كما أرسل حاكم رأس الخيمة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية مجموعة من الوثائق والأسانيد التاريخية التى تؤكد حقوقه على الجزيرتين المحتلتين ولم يلبث أن أعلن بأنه على استعداد لاستقبال أية قوة عربية للدفاع عن الجزر التى احتلتها إيران سواء كانت من دولة عربية واحدة أو من عدة دول عربية وذهب إلى أبعد من ذلك فى الدعوة إلى القيام بحملات انتقامية ضد المصالح الاقتصادية البريطانية والإيرانية فى العالم العربى مؤكدا أن الواجب القومى الأول لدولة الامارات العربية المتحدة هو تخليص تلك الجزر من الاحتلال الإيرانى ومشيرا إلى أن الشرط الرئيسى لانضمام إمارته إلى الدولة الاتحادية الجديدة هو تبنيها موقفا متشددا من العدوان الإيرانى وعدم

---

١ - تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية ، دور الانعقاد السابع والخمسين ،١١ مارس ١٩٧٢ ، ص ٢٦ .

إقامة علاقات مع إيران وترحيل جميع الإيرانيين من الإمارات التابعة لها .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الاحتلال الإيراني للجزر حدث قبل يوم واحد من إلغاء المعاهدات التى كانت تربط الامارات العربية ببريطانيا وقبل يومين اثنين من إعلان قيام دولة الامارات العربية المتحدة ومن الواضح أن توقيت الاحتلال على ذلك النحو كان ينبئ بحدوث اتفاق بين بريطانيا وإيران كان الهدف منه عدم احراج الدولة الناشئة وتحمل الحكومة البريطانية عنها نقمة الرأى العام العربى .

وكان مما يخفف الإحراج أيضا عن تلك الدولة أن إمارة رأس الخيمة التى وقع العدوان الإيرانى على أراضيها لم تكن قد انضمت إليها بعد . أما الاحتلال الإيرانى لبعض المواقع فى جزيرة أبو موسى فقد بدا وكأنه أمر مشروع بحكم الاتفاقية المبرمة بين إمارة الشارقة وإيران [١] .

وعلى الرغم من تلك المبررات النظرية فإن المجلس الأعلى للاتحاد وهو السلطة العليا فى دولة الإمارات العربية المتحدة لم يتردد فى الاجتماع الذى عقده فى الرابع من ديسمبر ١٩٧١ عن إصدار بيان استنكر فيه العدوان الإيرانى وعبر عن غضب حكام الإمارات تجاه أسلوب القوة الذى استخدمته إيران ،وفضلا عن ذلك فقد اتسمت ردود الفعل المحلية لمواطنى الدولة بالاستياء البالغ الذى ظهر فى تعرض المصالح الإيرانية لبعض الأضرار التى نجمت عن مظاهرات الاحتجاج التى قامت فى بعض الإمارات سيما فى الشارقة ورأس الخيمة ودبى وغيرها .

وعلى أثر وقوع الاحتلال حاولت الحكومة البريطانية تبرير موقفها بابداء أسفها الشديد لعدم توصل حاكم رأس الخيمة إلى اتفاق مع إيران على غرار الاتفاق الذى أبرم مع الشارقة رغم العروض السخية التى قدمتها الحكومة الإيرانية له وأملت بألا

---

(١) Duke , A . J . , op .cit . pp ,. 286 - 287

يعلق العرب أهمية كبيرة على احتلال إيران لجزيرتين صغيرتين بالقياس إلى النجاح الذى أحرزته السياسة البريطانية فى معالجة قضايا الخليج الأخرى كاستقلال قطر والبحرين وإعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة وطالبتهم بتكثيف جهودهم لتوثيق العلاقات بينهم وبين إيران [1] .

أما عن الجامعة العربية فعلى الرغم مما أولته من اهتمام كبير بمسألة الاحتلال الإيرانى للجزر وهو الأمر الذى بدا واضحا فى المناقشات التى أثيرت خلال الجلسات التى عقدت فى السادس والسابع من ديسمبر ١٩٧١ إلا أن مجلس الجامعة لم يستطع مع ذلك التوصل إلى قرارات حاسمة تدين العدوان إذ لم تسفر القرارات التى صدرت عن مجلس الجامعة عن أمور إيجابية سوى التأكيد نظريا على عروبة الجزر باعتبارها جزء من الوطن العربى استنادا إلى التاريخ والواقع والقانون وينبغى أن تؤول السيادة عليها إلى أصحابها الشرعيين . وبصدد ذلك كلفت الجامعة العربية أمينها العام المساعد بزيارة منطقة الخليج بهدف تقصى الحقائق ووضع تقرير عن حقيقة الموقف فى الوقت الذى تولت فيه اللجنتان السياسية والقانونية للجامعة إعداد دراستين عنيتا فيهما بابراز المقومات الجغرافية والتاريخية وحقوق السيادة العربية على الجزر الثلاث ، [2] وإن كان مما يثير الانتباه عدم توصل وزراء خارجية الدول العربية إلى قرار جماعى ضد إيران ويرجع ذلك إلى تغلب الاتجاهات العربية الداعية إلى التقارب العربى الإيرانى ومن ثم فقد اكتفى مجلس

---

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، ص ٢١٨ .

(٢) تقرير الأمين العام إلى مجلس جامعة الدول العربية فى دور الانعقاد العادى السابع والخمسين، ١١ مارس ١٩٧٢ ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .

الجامعة العربية فى القرارات التى أصدرها بالتأكيد على أن الاحتلال الإيرانى للجزر إنما يعرض الصداقة العربية الإيرانية للخطر (١) ، فى الوقت الذى أعلنت فيه إيران تمسكها بموقفها وطالبت الجامعة العربية بتكثيف جهودها لمنع العراق من إثارة المشاكل ضدها .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن العراق كان من أكثر الدول العربية تحديا لإيران ويعزى ذلك إلى صراعه التقليدى معها وحتى قبل وقوع العدوان الإيرانى على الجزر كان قد طالب فى ١٣ نوفمبر ١٩٧١ بتكوين تحالف عربى لمواجهة الأطماع الإيرانية فى الخليج (٢) ، وعلى أثر وقوع الاحتلال بادرت الحكومة العراقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران (٣) ، وطالبت جميع الدول العربية أن تحذو حذوها وتقطع علاقاتها مع إيران وبريطانيا فى الوقت الذى أصدرت فيه الأحزاب والمنظمات وبعض المؤسسات العراقية العديد من البيانات التى شجبت فيها العدوان باعتباره يستهدف عروبة الخليج ويمهد للمخططات الإمبريالية فى المنطقة ويؤدى إلى وجود مرتكزات وثوب استعمارية ضد حركات التحرر الوطنى فضلا عن الاستحواذ على الموارد الطبيعية التى تحتويها أراضى الجزر الثلاث (٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٢) Fred Halliday : The Iranian Revolution in international affairs programme and Practice center for Contemporay Arab Studies Georgetown University , Washington D . C . Croom - Helm , london &Canberra ,1984 , P . 21.

(٣) لؤى بحرى ، مرجع سبق ذكره ص ص ٥ - ٦ .

(٤) انظر بصدد ذلك البيانات الصادرة عن الأحزاب والمنظمات الوطنية فى العراق عن العدوان الإيرانى للجزر الثلاث وكذلك المنشورات التى أصدرتها جمعية الدفاع عن عروبة الخليج والمذكرات التى رفعتها إلى الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة وكذلك التقرير الصادرعن مشاريع مصلحة الموانى العراقية والذى يؤكدان أن جميع جزر الخليج تسكنها قبائل عربية.

وكانت الجمهورية الليبية من أوائل الدول العربية التى حذت حذو العراق حين أعلنت شجبها للعدوان وبادرت بتأميم شركة البترول البريطانية العاملة فى أراضيها وأطلقت عليها شركة الخليج العربى كما سحبت أرصدتها الاسترلينية من بريطانيا ردا على ما اعتبرته مؤامرة وتواطئا بينها وبين إيران [1] .

وظهرت ردود الفعل قوية فى الكويت حين طالب مجلس الأمة الكويتى باتخاذ اجراءات مشددة ضد الأطماع الإيرانية فى الخليج ووافق المجلس على التجنيد الإجبارى لأول مرة فى تاريخ الكويت كما طالب وزير الدولة الكويتى وزراء الخارجية العرب باتخاذ استراتيجية عربية موحدة وفاعلة لمواجهة العدوان الإيرانى[2]، وفى دولة الإمارات العربية المتحدة كاد الاحتلال الإيرانى للجزر أن يؤثر على الوضع الاتحادى للدولة وحدث ذلك حين دبر الشيخ صقر بن سلطان القاسمى الحاكم السابق لإمارة الشارقة فى ٢٥ يناير ١٩٧٢ مؤامرة لاغتيال الشيخ خالد بن محمد حاكم الشارقة الذى عقد اتفاقا مع إيران بشأن جزيرة أبو موسي ومندوبه الذى استقبل القوات الإيرانية التى نزلت فى الجزيرة ، ورغم عدم استبعادنا الدوافع الشخصية من وراء هذه المؤامرة فإنه مما لا شك فيه كانت بمثابة رد فعل للاحتلال الإيرانى للجزر[3] ، وقد كشفت التحقيقات التى أجرتها السلطات الاتحادية فى دولة الامارات إثر اغتيال حاكم الشارقة على أنه كان هناك مخططا يستهدف إلغاء الشارقة لاتفاقيتها مع إيران والانسحاب من دولة الامارات حيث تؤسس اتحاداً

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الإيرانية فى الخليج العربى ، من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ بغداد ، مارس ١٩٧٣ .

(٢) سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره ، الكتاب الثانى ، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) جمال زكريا قاسم: الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥/١٩٧١، ص ص.٢٢٠- ٢٢١.

بينها وبين رأس الخيمة التى لم تكن قد انضمت بعد إلى الدولة الاتحادية [1] .

وقد أثيرت مشكلة الجزر على المستوى الدولى حين تقدمت كل من العراق وليبيا والجزائر وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بطلب عرضها على مجلس الأمن وقد بدأ المجلس مناقشته لتلك المشكلة فى الثامن من ديسمبر ١٩٧١ حيث طالب مندوبو الدول العربية باتخاذ اجراءات تأديبية ضد بريطانيا لعدم الوفاء بالتزامات الحماية بموجب معاهداتها مع الإمارات العربية ووصف المندوبون العرب ما قامت به إيران باعتباره خرقا صريحا لميثاق الأمم المتحدة وأن الاحتلال الإيرانى للجزر كان تواطئا بينها وبين بريطانيا وبتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية [2] .

وبينما ارتكزت وجهة النظر العربية خلال مناقشة تلك المشكلة على حقوق السيادة العربية وانتهاك إيران لمبدأ تصفية الاستعمار وعدم التزامها بالطرق السلمية لتسوية المنازعات الدولية ارتكزت وجهة النظر الإيرانية إلى أن الجزر تشكل جزءاً من الأقاليم الإيرانية . [3] ونتيجه لاختلاف وجهتى النظر العربية والإيرانية لم يستطع مجلس الأمن أن يصل إلى قرار بشأنها ومن ثم قرر تأجيل النظر فى تلك المشكلة مع السماح لطرف ثالث بالتوسط بغية الوصول عن طريق الدبلوماسية الهادئة إلى تسوية يرضى بها الجانبان المتنازعان [4] . وعلى الرغم من أن إيران قد اعترفت رسميا بدولة الامارات العربية المتحدة وتبادلت التمثيل الدبلوماسى معها إلا أن ذلك

---

(١) Duke, A J., Op. cit., pp. 286-287

(٢) جريدة الأنوار ، بيروت ١٩٧١/١٢/٩ ، سجل الوقائع والأراء السياسية فى العالم العربى ، بيروت ١٩٧١ .

(٣) جريدة الأنوار ، بيروت ١٩٧١/١٢/٩ انظر أيضاً حسين القطيفى ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٤) United Nations Official Records, Security Council Provisional Records qth December , 1971

الاعتراف لم يثن الدولة عن موقفها الرافض للاحتلال واستمرار مطالبتها بعودة الجزر إلى سيادتها الإقليمية .

وقد يكون من المناسب أن نعرض لأهم الادعاءات التى بررت بها إيران سيطرتها على تلك الجزر والتى ورد ذكرها سواء فى التصريحات التى كان يدلى بها الشاه أو المسئولين فى حكومته أو عند مناقشة المشكلة فى مجلس الأمن الدولى . وتبدو المبررات الأمنية والاستراتيجية من أهم الادعاءات التى اعتمدت عليها إيران لتبرير سيطرتها على تلك المشكلة غير أن تلك الادعاءات تفقد فاعليتها لعدم استنادها إلى أسس من الشرعية الدولية فموقع الجزر قرب مضيق هرمز لا يعطى لإيران مبررا للانفراد بحماية ذلك المضيق الحيوى إذ أنه ليس ممرا إيرانيا خاصاً بها وإنما هو مضيق دولى حيث تشارك سلطنة عمان إيران فى الاشراف عليه هذا فضلا عن أن أمن الخليج ليس قاصرا على إيران وحدها وإنما يهم دول المنطقة جميعها[1] .

ومن الادعاءات الأخرى التى استندت عليها إيران هى ما ورد فى بعض الخرائط التى ترجع إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر من اعتبار تلك الجزر تابعة لإيران حيث ظهرت ملونة بنفس اللون الذى لونت به السواحل الإيرانية غير أن تلك الادعاءات لا تنهض دليلا كافيا لصحة الادعاءات الإيرانية إذا أن الخرائط التاريخية أو الجغرافية لا يعتد بها فى التسليم بصحة المطالب الاقليمية حيث تتحفظ هيئات التحكيم الدولية عن التسليم بما جاء بها لعدم معرفة مصدر المعلومات التى اعتمد عليها رساموها إلا إذا كانت ملحقة بوثائق تؤكد مصدر تلك المعلومات[2] ، وفضلا عن ذلك فإنه لما كانت الخرائط التى تعللت بها الحكومة

(١) جابر الراوى ، مرجع سابق ص ٤٤٠ .

(٢) محمد عزيز شكرى ، مرجع سابق ص ص ٣٤ - ٣٥ .

الإيرانية خرائط بريطانية فإن مما يضعف من أهميتها التأكيدات التى صدرت عن السلطات البريطانية نفسها خلال فترة الوجود البريطانى فى الخليج والتى كانت تنفى بشكل قاطع تبعية تلك الجزر لإيران وتؤكد تبعيتها للشارقة ورأس الخيمة ومن المسلم به قانونا أن الاعتراف الصريح يسمو على الاعتراف الضمنى أو المفترض .

أما ما استندت عليه إيران فى تبرير احتلالها بأنها قد استردت سيادة سابقة بعد ثمانين عاما من انتزاع بريطانيا للجزر الثلاث وتسليمها إلى رأس الخيمة والشارقة كما نص على ذلك البيان الذى أصدره رئيس الوزراء الإيرانى عند اعلان نبأ احتلال القوات الشاهنشاهية المسلحة لتلك الجزر فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ فهى بدورها مبررات واهية لأنها تفترض خضوع الجزر لإمارة القواسم فى لنجة ومن ثم أصبحت تابعة تلقائيا لإيران منذ سقوط هذه الإمارة فى أيدى الفرس فى عام ١٨٨٩ . ومن الواضح أن تلك المبررات تتناقض تاريخيا مع ما سبقت الإشارة إليه من تبعية الجزر الثلاث لقواسم الشارقة ورأس الخيمة . وحتى إذا أخذنا بصحة الادعاءات الإيرانية من حيث التأكيد على أن تلك الجزركانت تابعة لإمارة لنجة فإن ذلك لا يعطى لإيران حق المطالبة بها لأن قواسم لنجة كانوا يمارسون حكما عربيا مستقلا عن سلطة الحكومة الفارسية . وفضلا عن ذلك فإن تصريح رئيس الوزراء الإيرانى كان ينضوى فى حقيقته على اعتراف ضمنى بأن إيران لم تمارس سيادة فعلية على الجزر الثلاث خلال الثمانين عاما التى ورد ذكرها ،وحتى إذا ما اقتصرنا على تلك السنوات فهى تعد فى حد ذاتها كافية لتأكيد الحيازة العربية الفاعلة . وعلى الرغم مما أثارته إيران من أن سيطرة العرب على تلك الجزر لا تعطى لهم الحق فى المطالبة بالتقادم حيث أنها لم تتوان عن تقديم احتجاجاتها المستمرة ضد السيطرة العربية على الجزر

فإن تلك الاحتجاجات لا يعتد بها قانونا لعدم اقترانها بالبحث فى أصول النزاع ومن ثم فهى لاتعدو كونها نوعا من"الاحتجاجات الورقية "التى لا قيمة لها [1] .

ولعل المبرر الهام الذى استندت عليه إيران فى التأكيد على مشروعية احتلالها لبعض المواقع فى جزيرة أبو موسى هى الاتفاقية التى تمت بينها وبين إمارة الشارقة وإن كانت النظرة المتأنية فى الظروف التى سبقت توقيع تلك الاتفاقية تؤكد أن إيران قد فرضتها قسرا بتهديداتها المتواصلة لإمارة الشارقة باستخدام القوة العسكرية مما يضع الاتفاقية تحت دائرة الاكراه ويجعلها تتنافى وقواعد القانون الدولى العام من حيث امكانية الاعتداد بها كوثيقة ملزمة للطرف المضار ناهيك عن إن إيران وليست الشارقة هى التى قامت بانتهاكها أخيراً [2] .

لم تسفر ردود الفعل العربية والخليجية الناجمة عن رفض الاحتلال الإيرانى لجزر الخليج الثلاث عن نتائج إيجابية إذ لم تلبث أن طغت الاحداث العربية والاقليمية والعالمية على تلك المشكلة بما فى ذلك حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأزمة الطاقة العالمية وتعاظم الدور الذى كانت تقوم به إيران لفرض هيمنتها وسعيها لكى تكون أكبر قوة ضاربة فى منطقة الخليج . ومن ثم كان من الطبيعى بعد أن أطيح بالنظام الامبراطورى ابان قيام الثورة الإسلامية فى فبراير ١٩٧٩ أن يبدأ النظام الجديد صفحة جديدة فى العلاقات العربية الإيرانية خاصة منذ أن ظهر من التصريحات الأولى التى صدرت عقب قيام الثورة اتجاه قادتها إلى اسقاط نظرية التوسع الاقليمى التى كان ينتهجها الشاه مما كان يبشر بالأمل والتفاؤل [3]. غير أنه لم تكد

(١) حسين القطيفى ، مرجع سابق ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) محمد مرسى عبد الله ، مرجع سابق ، ص ٣٨٥ .

تمضى بضعة شهور حتى ظهرت النزعة التوسعية من جديد فى السياسة الإيرانية حتى وصل الأمر إلى تجديدها الادعاءت السابقة على البحرين والمطالبة باعادة النظر فى شأنها لأن موافقة المجلس الإيرانى على استقلالها على عهد الشاه من الأمور التى لا تقرها الثورة الأسلامية [١] .

وقد أدت تلك التصريحات إلى إثارة قلق كبير لدى دول الخليج العربية التى أدركت أن النظام الثورى فى إيران لا يختلف فى توجهاته التوسعية عن النظام البهلوى السابق يضاف إلى ذلك ما روجه القادة الإيرانيون الجدد عن اتجاههم إلى تصدير الثورة إلى الدول المجاورة لهم مما جعل أهدافهم أكثر خطورة من أهداف الشاه الخاصة باحياء الامبراطورية الفارسية القديمة [٢] .وكان لتلك التوجهات أثرها فى القلاقل التى نشبت فى بعض دول الخليج خاصة الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية ناهيك عن التهديدات الإيرانية باغلاق مضيق هرمز خلال الحرب العراقية الإيرانية بما يحتله هذا المضيق من حيوية بالغة [٣] ولم تجد محاولات الحكام العرب فى الخليج للحوار مع النظام الإيرانى أى تشجيع نتيجة التصريحات الإيرانية التى بدأت تأخذ شكلا متشددا وأكثر عنفا [٤] .

---

(١) Halliday . F, op . cit., p.24 see also John Bulloch, Aportrait of Kuwait ,Qatr, Bahrein and the United Arab Emirates,london 1984, p . 52

(٢) محمد حسنين هيكل ، مدافع آية الله ، قصة إيران والثورة ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٢٥١ .

(٣) نفسه ، ص ٢٥١ .

(٤) عن الأضرار التى ألحقتها إيران بكل من الكويت والمملكة العربية السعودية انظر ، خطاب وزير خارجية الكويت فى الأمم المتحدة سبتمبر ١٩٨٧ ، والمذكرة السعودية الخاصة بقطع العلاقات مع حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٩٨٩ ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٥٥ ص ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

غير أن التطورات السريعة التى حدثت على الساحة الخليجية بدءا من نشوب حرب الخليج الأولى والاحتلال العراقى للكويت ونشوب حرب الخليج الثانية كان لها تأثيرها على قضية الجزر التى لم تعد فى ظل توالى تلك الاحداث تشغل الرأى العام العربى أو الخليجى ومن ثم ظلت كامنة حتى تفجرت مرة أخرى بعد أن هدأت أحداث الخليج وبعد تراجع دور العراق السياسى والعسكرى وذلك حين أقدمت إيران على تطبيق سلسلة من الاجراءات الادارية بداية من مارس عام ١٩٩٢ استهدفت بها الانفراد بسيادتها على جزيرة أبو موسى حيث أصرت السلطات الإيرانية فى الجزيرة على مراجعة الهويات التى يحملها المواطنون والوافدون وقامت باغلاق المؤسسات التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة ونشر قواتها العسكرية فى القسم الخاص بالدولة مما أدى إلى مغادرة كثير من السكان للجزيرة فى الوقت الذى منعت فيه أيضا دخول الوافدين العاملين لدى دولة الامارات العربية من خلال الميناء الذى أقامته فى القسم التابع لها ما لم يكن لديهم سمة دخول إيرانية كما ربطت بقاءهم فى الجزيرة بحصولهم على تأشيرات تحدد فترات إقامتهم ومن الواضح أن السلطات الإيرانية قد استغلت فرصة عدم وجود ميناء عربى لكى تنفرد باتخاذ تلك الاجراءات المقيدة لحركة المرور والاقامة فى الجزيرة [1] .

وعلى أثر تعنت السلطات الإيرانية فى تطبيق تلك الاجراءات دارت اتصالات بين دولة الامارات العربية وإيران انتهت باستثناء المدرسين من الحصول على تلك التأشيرات وعلى الرغم من ذلك فلم تكد تنقضى أربعة أشهر وعلى وجه التحديد فى ٢٤ أغسطس ١٩٩٢ حتى عادت الأمور إلى التوتر مرة أخرى حين أقدمت السلطات الإيرانية على منع إحدى السفن التابعة لدولة الامارات من الوصول إلى

(١) مركز الدراسات السياسية - جامعة القاهرة ، ورقة عمل حول المشكلات الحدودية الراهنة فى منطقة الخليج أكتوبر ١٩٩٢ .

الجزيرة بعد ثلاثة أيام من احتجازها فى عرض البحر وتبع ذلك أن أعلنت إيران صراحة بأن الجزيرة بكاملها قد أصبحت تابعة لها وقامت بعد ذلك باصدار التنظيمات الادارية التى جعلت من الجزر الثلاث محافظة إيرانية جديدة عاصمتها أبو موسى منتهكة بذلك الاتفاقية التى سبق أن عقدتها مع إمارة الشارقة فى نوفمبر ١٩٧١ بشأن تجميد وضع السيادة على تلك الجزيرة .

وقد ترتب على تصاعد حدة الموقف الإيرانى أن أفصحت دولة الإمارات العربية المتحدة عن نزاعها مع إيران لما عدته من مساس بسيادتها الاقليمية خاصة وأن الوضع لم يعد قاصرا على مشكلة الجزر الثلاث وإنما أصبح يتعلق بالسلطة الاتحادية ذاتها إذ أن التغاضى عن الاجراءات الإيرانية سيجعل إمارتى الشارقة ورأس الخيمة على وجه خاص تشعران بضعف السلطة المركزية للدولة كما أن المجال سيصبح مفتوحا لكى تسيطر إيران على جزر عربية أخرى خصوصا تلك الجزر التى تحيط بها الحقول النفطية ولاسيما جزيرة داس التابعة لإمارة أبو ظبي . ومن ثم بادرت دولة الإمارات بطرح نزاعها مع إيران على المستويات الاقليمية والعربية والدولية بعد فشل المساعى التى قام بها وزير خارجيتها لاحتواء تلك الأزمة ولم يعد النزاع قاصراً على جزيرة أبو موسى فحسب وإنما امتد نطاقه بحيث شمل جزيرتى طنب الكبرى والصغرى السابق احتلالهما من قبل إيران فى الوقت الذى حاولت فيه إيران التعتيم على الأزمة باثارة موضوعات لاتمت إليها بصلة كاتهامها لدولة الإمارات بزيادة سقف انتاجها النفطى وخسارة إيران تبعا لذلك لملايين من الدولارات ومطالبة دولة الإمارات أن تدفع لها تعويضات عن الخسائر التى منيت بها فى حربها مع العراق مما أعاد إلى الأذهان نفس الدعاوى التى كان يرددها النظام

العراقى ضد الكويت إبان عدوانه عليها فى أغسطس ١٩٩٠ .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن دولة الامارات العربية تعاملت مع مشكلة الجزر باعتبارها قضية اتحادية وليست مشكلة خاصة بإمارة الشارقة أو رأس الخيمة ويبدو ذلك واضحا فى الرسالة التى بعث بها الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة إلى الرئيس الإيرانى فى ١١ مايو ١٩٩٢ والتى أكد فيها على اعتبار الاتفاقيات المعقودة بين أية إمارة من الامارات التابعة للدولة قبل الاتحاد وبين الدول المجاورة لها تعد اتفاقيات بين تلك الدول ودولة الامارات العربية المتحدة وكان ذلك ردا على محاولة إيران حصر الخلاف بينها وبين إمارة الشارقة حول جزيرة أبو موسى ورفضها التعامل مع دولة الامارات على اعتبار أن الاتفاق الخاص بتلك الجزيرة قد أبرم أساسا بينها وبين الشارقة وكانت إيران تهدف بذلك إلى عزل الشارقة عن السلطة الاتحادية للدولة والتعامل معها ضمن علاقات خاصة وغير متكافئة .

وقد وجدت دولة الامارات دعما لموقفها السياسى وحقوق سيادتها من كثير من المنظمات العربية والخليجية كما يظهر ذلك واضحا فى العديد من البيانات والقرارات التى صدرت خلال النصف الأول من سبتمبر ١٩٩٢ ومن بينها بيان جده الصادر عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية وبيان الدوحة الصادر عن المجلس الوزارى لدول ميثاق دمشق وبيان القاهرة الصادر عن المجلس الوزارى لجامعة الدول العربية وقد استنكرت تلك البيانات جميعها الاجراءات التى اتخذتها إيران مؤخرا فى جزيرة أبو موسى لما تمثله من انتهاك لوحدة أراضى دولة الامارات وطالبت إيران باحترام مذكرة التفاهم مع الشارقة مع التأكيد بأن جزيرة أبو موسى أصبحت من مسئولية الحكومة الاتحادية والرفض التام لاستمرار الاحتلال الإيرانى لجزيرتى طنب الكبرى والصغرى .

ونتيجة للدعم الذى تلقته الإمارات العربية من الدول العربية والخليجية حاولت إيران احتواء الموقف باعلانها بأنها سوف تصرح لمواطنى الشارقة بالاستمرار فى الاقامة داخل الجزيرة وأن الاجراءات التى اتخذتها لا تخرج عن كونها اجراءات أمنية مما يعنى أنها منحت لنفسها مسئولية الحفاظ على الأمن دون مشاركة دولة الإمارات وأكدت أن جزيرة أبو موسى جزيرة صغيرة لاتبرر تلك الضجة الكبيرة المفتعلة حولها متجاهلة أن الأمور المتعلقة بالسيادة الوطنية لا تقاس بالمساحة الجغرافية ، غير أنه إزاء تصاعد حدة الخلاف أخذت إيران توجه تحذيراتها للدول العربية بصفة عامة زاعمة أنه لو تم الأخذ بمنطق التاريخ فإن العرب سيكونون هم الخاسرين دون غيرهم وإنه إذا كان لابد من التمسك بمطالب تاريخية فإن من حق طهران العودة بمطالبها على البحرين بل وعلى أجزاء من العراق ، وطلبت من دولة الامارات والدول العربية المساندة لها بألا تقع ضحية لمخططات أجنبية مؤكدة أن تصعيد تلك الأزمة ليست سوى مؤامرة دبرتها بعض القوى الأجنبية لتبرير وجود قواتها العسكرية فى المنطقة فى إشارة واضحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بينما علل كثير من المراقبين أن اتجاه إيران للانفراد بالسيادة على جزيرة أبو موسى يرتبط ببنائها لقاعدة بحرية عميقة من أجل الغواصات التى قامت بشرائها مؤخرا من روسيا ومن ثم أصبحت إيران هى التى تخلق المبرر والذريعة لاستمرار الوجود الأجنبى فى الخليج خاصة بعد أن أخذت فى تعزيز قواتها العسكرية فى الجزيرة وأقامت فيها بعض القواعد الصاروخية .

ومع تأزم الموقف بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة حاول العراق رغم تردى أوضاعه السياسية والاقتصادية والعسكرية إحياء تقاليده الموروثة فى الصراع مع

إيران ومحاولا فى الوقت نفسه التقارب مع دولة الإمارات العربية وذلك بتوجيه اتهاماته العديدة إلى إيران بأنها أصبحت تشكل خطرا على دول الخليج العربية .
أما مصر وسوريا وهما الدولتان المشاركتان فى التوقيع على ميثاق دمشق فقد أعلنت كل منهما دعمها السياسى لدولة الإمارات وقام وزير خارجية سوريا بمحاولة للوساطة بين الجانبين أسفرت عن اجراء مباحثات فيما بينهما غير أن تلك المباحثات كان مقدرا لها ألا تصل إلى نتائج إيجابية حيث أخذت إيران تؤكد حتى قبل بدايتها بأن سيادتها على الجزر الثلاث بات أمرا مفروغا منه مما أوضح التناقض فى الموقف الإيرانى بين رغبتها فى تسوية النزاع وبين استمرارها فى فرض سيطرتها .

وعلى الرغم من أن المباحثات بين إيران ودولة الإمارات قد أجريت بالفعل إلا أنها لم تلبث أن توقفت قبل اتفاق الطرفين على جدول للأعمال بينما حمل كل طرف الطرف الآخر مسئولية فشل تلك المباحثات إذا أوضح البيان الذى صدر عن دولة الامارات العربية المتحدة فى ٢٨ سبتمبر١٩٩٢ إصرار الجانب الإيرانى على رفض مناقشة مسألة احتلال جزيرتى طنب الكبرى والصغرى أو إحالة المشكلة إلى التحكيم الدولى مما ترتب على ذلك تعذرالاستمرار فى مناقشة المسائل المتعلقة بجزيرة أبو موسى ومن بينها التزام إيران بمذكرة التفاهم الخاصة بها وعدم التدخل فى ممارسة دولة الامارات لولايتها الكاملة على الجزء المخصص لها والغاء كافة التدابير

والاجراءات التى وضعتها إيران على أجهزة الدولة فى أبوموسى وعلى مواطنيها والمقيمين فيها وحرص البيان على التأكيد بأن السيادة على الطنبين كانت منذ أقدم العصور ولا تزال لدولة الإمارات العربية المتحدة إذ أن الاحتلال الناجم عن استخدام

القوة العسكرية لايكسب الدولة المحتلة سيادة على الاقليم المحتل مهما طال الزمن [1] .

أما البيان الذى صدر عن وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى ٢٩ سبتمبر ١٩٩٢ فقد حمل وفد الإمارات مسئولية توقف المباحثات لاصراره على طرح مسائل ليست لها علاقة بالمسائل المطروحة حول جزيرة أبو موسى وقد حرص البيان على التأكيد على أن طرح إدعاء السيادة على أية أرض فى المنطقة بمقدوره أن يدخلها فى سلسلة جديدة من الادعاءات والخلافات مما سيكون له مضاعفات خطيرة تضر بأمنها وتخدم الأطماع الأجنبية فيها [2] .

وعلى أثر وضوح الخلاف بين الجانبين وتعذر التقريب بين وجهات النظر مضت دولة الامارات العربية فى تحركاتها السياسية غير أنها كانت حريصة فى الوقت نفسه على عدم الوصول بالمشكلة إلى حد القطيعة بينها وبين إيران ، وحاولت إقناعها بأن استمرار احتلالها للجزر بدعوى منع التدخل الأجنبى تبرير واهى ولا أساس له من الصحة لأن دولة الأمارات ترفض التدخل الأجنبى فى أراضيها وقد حرصت دولة الامارات على التأكيد أيضا بأن الاحتلال الإيرانى للجزر لا يعطى للدولة المحتلة سندا لممارسة سيادتها لأنه تم بالقوة العسكرية كما أن سنوات ذلك الاحتلال لا يمكن مقارنتها بالفترة الطويلة لممارسة السيادة العربية على تلك الجزر فضلا عن أن دولة الامارات لم تسكت عن هذا الاحتلال ولم تتنازل عن حقوقها

---

(١) انظر البيان الصادر عن دولة الإمارات العربية المتحدة فى ١٩٩٢/٩/٢٨ بشأن توقف المباحثات مع الجمهورية الاسلامية الإيرانية . ملحق (د) من الدراسة التى أعدتها هيئة الاستعلامات المصرية عن الخلاف بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) انظر البيان الصادر عن وزارة خارجية الجمهورية الاسلامية الإيرانية حول جزيرة أبو موسى فى ٢٩ سبتمبر ١٩٩٢ ، المرجع السابق ، ص ص ٦٤ - ٦٥ .

ضمنا أو صراحة فضلا عن أن موقف الوطنيين فى تلك الجزر لم يشر علنا إلى قبولهم بالسيادة الإيرانية [1] .

وقد يكون من المناسب فى ختامنا لتلك الدراسة أن نصل إلى تقرير الحقائق التالية :

أولا : ليس من شك فى أن السلوك الإيرانى الأخير ضد السيادة الاقليمية لدولة الامارات العربية المتحدة قد أضاع جهدا طويلا تم فيه بناء جسور من الصداقة بين إيران والدول العربية وقد قويت تلك الجسور نتيجة معارضة إيران للاحتلال العراقى للكويت حين أعلنت رفضها التوسع والاستيلاء على الأرض بالقوة وهو أمر أخذت فى ممارسته على الجزر العربية مما يتناقض مع ما ذهبت إليه .

ثانيا : انه لا ينبغى النظر إلى النزاع القائم حاليا بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران على أنه مشكلة خاصة بدولة الإمارات وحدها وإنما يتعين النظر إلى ذلك النزاع باعتباره مشكلة تهدد الأمن الخليجى بصفة خاصة والأمن القومى العربى بصفة عامة .

ثالثا : انه على الرغم من أنه لا يوجد ثمة خلاف على أن الطرق المشروعة لاستعادة دولة الإمارات سيادتها ورد العدوان على أراضيها قد تصل إلى حد استخدام القوة للدفاع عن حقها الشرعى وهذا الحق يعود للدولة المعتدى على أراضيها كما يعود للدول الأخرى لاسيما الدول العربية التى قد تتطوع فى الدفاع الجماعى إلا أن استخدام هذا الحق المقرر قانونا قد يؤدى إلى الاخلال بالأمن فى المنطقة وقد يستغل من بعض القوى الأجنبية لتكثيف وجودها العسكرى فيها .

رابعا : ان استخدام بديل آخر للبديل السابق وهو أسلوب المقاطعة الدبلوماسية

---

(١) مذكرة من أبناء طنب الكبرى إلى الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ يعلنون فيها موقفهم برفض الاحتلال الإيرانى .

والاقتصادية لن يقدر له النجاح خاصة وأن هناك من الدول العربية والخليجية ومن بعض إمارات دولة الإمارات العربية ذاتها من له علاقات وثيقة مع إيران وحريصة على الحفاظ على علاقات حسن الجوار ، ومن ثم فليس هناك من سبيل سوى سلوك الطرق السلمية التى تمكن الدولة صاحبة الحق من ضمان سيادتها الاقليمية .

خامسا : إن ما أقدمت عليه إيران من انتهاك السيادة الاقليمية لاحدى الدول العربية فى الخليج يرجع إلى غياب قوة إقليمية فى المنطقة يمكنها أن توقف الأطماع التوسعية ومن ثم فإن الضمان الفعلى لمنع تكرار تلك الأزمات هو تطوير مجلس التعاون لدول الخليج العربية وزيادة فاعلية مؤسسات العمل العربى الجماعى حتى تكون قادرة على تأمين ردود فعل قوية ضد أى انتهاك للسيادة العربية .

وأخيرا فإنه مع التسليم بأن دولة الإمارات العربية المتحدة تمتلك القانون والشرعية إلا أنها لا تمتلك القوة القادرة على حماية سيادتها ومن ثم تبرز من جديد تلك القضية الشائكة وهى هل تأتى الحماية من الخارج كما حدث فى الأزمة العراقية الكويتية أم أن المنطقة قادرة على حماية سيادتها وثرواتها ... وإلى أن يتم حسم تلك المشكلة فليس هناك من مخرج سوى اللجوء إلى الشرعية الدولية والالحاح على رفض الاحتلال وهو ما لجأت إليه دولة الإمارات العربية المتحدة أخيرا حين أحالت النزاع بينها وبين إيران إلى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى وذلك للحيلولة دون اكتساب العدوان الإيرانى على أراضيها صفة الحيازة الفاعلة أو الهادئة كما حدث ذلك فى العديد من الأراضى العربية السليبة .

ولعل التجارب التاريخية السابقة كفيلة بتوعية العرب بخطورة التفريط فى حقوقهم المشروعة حتى لا تقع فى زوايا النسيان ....

المصادر والمراجع

أولا : الوثائق - العربية

- بيان الأحزاب والمنظمات الوطنية فى العراق عن العدوان الإيرانى على جزر الخليج الثلاث ، ديسمبر ١٩٧١ .
- البيانات الرسمية الصادرة عن دولة الإمارات العربية المتحدة والجمهورية الاسلامية الإيرانية عن توقف المباحثات بشأن مشكلة أبو موسى والطنبين سبتمبر ١٩٩٢ .
- تقارير الأمين العام لجامعة الدول العربية فى أدوار الانعقاد العادى لمجلس الجامعة والخاصة بمسألة الجزر .
-تقرير بعثة الجامعة العربية إلى إمارات الخليج العربى نوفمبر١٩٦٤.
- مذكرة من أبناء طنب الكبرى إلى رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر ١٩٧٢ .

- الأجنبية :

Aitchison . C. U

A Collection of Treaties , Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries vols x - xi Calcutta 1892

- Bombay government.

Selections From The Records of Bombay Government , vol xxiv . Bombay 1856

- Foreign office (united Kingdom)

- The Trucial chiefs B , 403 1908 - 1928

- Incident Arising out of Seizure of Dhow at Dubai by Persian officials , July 1928

- Status of Islands of Tamb, Abu Musa and Sirri - - Documents Showing rights of Trucial Coastof Arabs, 1929

- Question of Persian Purchasing Tamb from The Sheikn of Shargah,1929

- Island of Tamb - Posistion in regard to Anglo - Persian Treaty negotiations , Proposed lease of Tamb to Persian government, 1931

- Memorandum of Certain aspects of the Situation - in the Persian Gulf between His Majestys 'Govern ment in the United Kingdom and The Persian Government , 1931

- Island of Tamb - alleged Persian attempts to obtain lease of Tamb and unsatisfactory behaviour of The Sheikh . 1932
- Memorandum of Persian Claim to Tamb and Abu Musa 1934
- Bahrein Intelligence report No 3 , 1935
- Government of India (Department of state)- Treaties and Engagments in force between the British Government and the Trucial Sheikhs of the Arab Coast , Calcutta , 1913
- India office
- Annual Report of Trucial Oman, 1935
- Precis of the affairs of the Persian Coast and Islands , 1854 -1905 , Calcutta , 1912
- United Nations official Records
- SecurityCouncil Provisional Records , ath December , 1971

ثانيا : المصادر والدراسات

أ - العربية :

- جابر إبراهيم الراوى :

الحق العربى فى الجزر العربية الثلاث وموقف القانون الدولى من اكتساب الأقاليم عن طريق القوة . من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ ، بغداد ، مارس ١٩٧٣ .

- جمال زكريا قاسم :

- الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية فى عصر التوسع الأوربى الأول ١٥٠٧ - ١٨٤٠ ، القاهرة ١٩٨٥ .
- الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٦٦
- الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٣
- الخليج العربى ، دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ .
- مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى المحفوظة فى دور السجلات البريطانية ، جامعة الكويت ، ١٩٧٢ .
- الادعاءات الإيرانية فى الخليج العربى ، مجلة الجمعية المصرية للدارسات التاريخية ، العدد العشرون .

- حسين بن على الوحيدى الخنجى
تاريخ لنجة حاضرة العرب على الساحل الشرقى للخليج ، دبى ، دولة الإمارات العربية المتحدة . ١٩٨٥ .

- روز مارى زحلان
النزاع حول الجزر ، مجلة دراسات الخليج العربى والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، إبريل ١٩٧٦ .

- سليم طه التكريتى
الصراع على الخليج العربى ، بغداد ١٩٦٦ .

- سيد نوفل
الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى - الكتاب الثانى، إمارات الساحل العمانى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٢.

- شفيق الرشيدات
عربستان ، الجزء العربى المغتصب ، من أعمال المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب ، القاهرة ، فبراير ١٩٦٧ .

- صادق نشأت (ميرد آماد)
تاريخ الخليج السياسى ، مترجم عن الفارسية وتحقيق بدر الدين عباس الخصوصى ، طبعة أولية ، الكويت ١٩٧٢ .

- عبد الله الأشعل
الاطار القانونى والسياسى لمجلس التعاون الخليجى،الرياض١٩٨٣.

- **عبد الأمير محمد أمين**

القوى البحرية العربية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ، بغداد ١٩٦٦ .

- المصالح البريطانية فى الخليج العربى ، مترجم ، مركز دراسات الخليج العربى ، جامعة البصرة ، بغداد ١٩٧٧ .

- **عبد الحسين القطيفى :**

الجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى ، من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ ،بغداد ، مارس ١٩٧٣ .

- **عبد السلام عبد العزيز فهمى**

تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين ، القاهرة ١٩٧٣.

- **عبد العزيز عبد الغنى :**

علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية فى العلاقات التعاهدية ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٨٢ .

- **عبد القوى فيهمى**

القواسم ونشاطهم البحرى ١٧٤٧ - ١٨٥٣ ، رأس الخيمة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٣ .

- **فالح حنظل :**

المفصل فى تاريخ الإمارات العربية المتحدة ، جزءان ، نشر لجنة التراث والتاريخ - أبو ظبى ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٣ .

- **لؤى بحرى**

الأطماع الإيرانية فى جزيرة أبو موسى ، بغداد ١٩٧٢.

- **لوريمر (ج . ج)**

دليل الخليج - القسم التاريخى ، مترجم ،سبعة مجلدات الدوحة قطر ، ١٩٦٧.

- **لاندن(ر . ج)**

عمان منذ ١٨٥٦ ، مترجم ، القاهرة ١٩٧٠ .

- **مايلز (س . ب)**

الخليج ، بلدانه وقبائله . مترجم ، وزارة التراث القومى والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٦.

- **محمد بهجت سنان**

الشخصية العربية للخليج العربى والاحتلال الإيرانى للجزر العربية الثلاثة ، بغداد ١٩٧٢.

- **محمد حسنين هيكل**

مدافع آية الله ، قصة إيران والثورة ، القاهرة ، ١٩٨٥.

- **محمد عزيز شكرى**

مسألة الجزر فى الخليج العربى وموقف القانون الدولى،دمشق ١٩٧٢

- **محمد مرسى عبد الله**

دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها ، الكويت ١٩٨١ .

- مركز الدراسات السياسية (جامعة القاهرة)

ورقة عمل حول المشكلات الحدودية الراهنة فى منطقة الخليج أكتوبر ١٩٩٢

- مصطفى عقيل

سياسة إيران فى الخليج العربى على عهد ناصر الدين شاه ، ١٨٤٨ - ١٨٩٦ الدوحة ، قطر ، ١٩٨٧ .

- نادرة نعيم زكى

دراسة حول الخلاف بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران ، الهيئة العامة للاستعلامات،القاهرة ١٩٩٢.

- نجيب رياض الريس

صراع الواحات والنفط (هموم الخليج العربى ١٩٦٨ - ١٩٧١) بيروت ١٩٧٣ .

- ويلسن (أرنولد)

تاريخ الخليج - مترجم - وزارة التراث القومى والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨١

الأجنبية :

- Bulloch , John.
The Gulf , Aportrait of Kuwait . Qatr , Bahrein and The U . A . E , london 1984
- Curzon , George N.
Persia & The Persian Question 2 vols , london 1892
- Duke , Anthony John.
The Union of The Arab Amirates , prospects and problems , Middle East Journal , Summer , 1972
- Fenelon , K , G.
The United Arab Emirates , an Economic and Social Survey, London , 1973
- Halliday , Fred.
The Iranian Revolution in International Affairs, Programme and Practice, Center for Contemporary Arab Studies , Georgetown , washington D . C
Croom - Helm , london 1984
- Hawley , Donald.
The Trucial States , london , 1970
- Kelly , J .B
nBritain and The Persian Gulf 1795 - 1880 London , 1968
- Low , Charles

History of the Indian Navy 1613 - 1863 , 2 vols
London 1877
- Niebuhr , Carsten.
-Travels Through Arabia and other Countries imthe East,Edinburgh 1792
- Description de l, Arabie , Copenhagen, 1772
-Owen , Roderick
The Golden Buble , Arabian Gulf Documentary
London 1957
- Palgrave, William Gifford .
- Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia 1862 - 1863 , 2 vols, London 1865
- Personal Narrative of a Journey through Central & Eastern Arabia , London 1877
- Sirriyeh , Hussain
Security and Stability in the Gulf , Background to United StatesPolicy , Center for Contemporary Arab Studies , Croom - Helm , London , 1984
- Sykes ,Sir Percy .
A History Of Persia , 2 vols , London , 1951
- Whigham , N . J.
The Persian Problem , london , 1903

ثالثا : الدوريات العربية والأجنبية :

- سجل الآراء حول الوقائع السياسية فى البلاد العربية ، دار الابحاث والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .

- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ع٤٢ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٩٨٩ .

- المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، ع ٢٠ .

- Middle East Journal , Summer , 1972

" امارة أبو ظبى
فى عهد زايد بن خليفة "

١٨٥٥ - ١٩٠٩

الدكتور / محمد حسن العيدروس

كلية الاداب - جامعة الإمارات

امارة أبو ظبى فى عهد زايد بن خليفة

مقدمه :- نبذة عن التاريخ السياسى لامارة أبو ظبى

أولا : أختيار زايد بن خليفة لتولى السلطة فى امارة ابو ظبى

(أ) - حكم سعيد بن طحنون وخلعه .

(ب) - اختيار زايد بن خليفة لحكم عام ١٨٥٥

(جـ) - محاولة سعيد بن طحنون استعادة الحكم عام ١٨٥٦

(د) تمرد ابن عرار فى العين عام ١٨٥٨ .

ثانيا : تطور امارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفه

(١) - الاقتصاد :

(أ) - الغوص على اللؤلؤ

١) جزيرة دلما

٢) جزيرة ابو ظبى

(ب) - اقتصاد اللؤلؤ

١) دور القطاع الخاص فى اقتصاد اللؤلؤ

٢) دور القطاع العام فى اقتصاد اللؤلؤ

(جـ) الزراعة

(د) التجارة

(٢) – بناء قلعة الجاهلى

(٣) – التنظيم الادارى والسياسى

ثالثا : عوامل نجاح زايد بن خليفه فى حكمه واستقرار امارته

(١) – عدم وجود اسباب للمواجهة مع بريطانيا

(٢) – الصداقة التقليدية بين ابو ظبى وعمان

(٣) – خبرة زايد بن خليفه بشؤون الامارات العربية

رابعا : بعض ماقيل عن شخصية زايد بن خليفه

خامسا : وفاة زايد بن خليفة عام ١٩٠٩

امارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفه

مقدمة : نبذة عن التاريخ السياسى لامارة ابو ظبى :-

ان التاريخ السياسى لامارة ابو ظبى بدأ فى عام ١٧٦٠ حين استوطنتها قبيلة البوفلاج تحت زعامة رئيسها دياب بن عيسى وقد تمركز حكم البوفلاج من بنى ياس فى امارة ابو ظبى على مر السنين [١] ، ويعتبر شخبوط بن دياب هو المؤسس الاول لامارة ابو ظبى وقد حكم الامارة فى الفترة مابين ١٧٩٣ الى عام ١٨١٦ اذ يقترن عهده بنقل مركز حكمه من واحة " ليوا " الى جزيرة أبو ظبى ويرجع نزوح بنى ياس الى أبو ظبى فى صيف عام ١٧٩٧ وتم اتخاذ هذه الجزيرة عاصمة لهم وبها اصبحوا يشكلون قوة بحرية يمارسون نشاطهم الملاحى فى الخليج العربى ، بينما بقى موطنهم الأصلى فى " ليوا " فى أطراف الربع الخالى [٢] ، وكان ذلك الاستقرار على ساحل الخليج العربى خطوة هامة لها تأثيرها الكبير على وضع الامارة السياسى والاقتصادى وفى عام ١٨١٦ تنازل الشيخ شخبوط بن دياب عن الحكم لابنه محمد الذى ظل يحكم الامارة مدة عامين ثم خلفه أخوه طحنون الذى حكم حتى وفاته عام ١٨٣٣ [٣] وتبعه أخوه الشيخ خليفه بن شخبوط ١٨٣٣ - ١٨٤٥ ، وخلفه سعيد بن طحنون ثم حكم ابن عمه زايد بن خليفه بن شخبوط جد حاكم ابو ظبى ورئيس دولة الامارات العربية المتحدة حاليا الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفه .

أولا : اختيار زايد بن خليفة لتولى السلطة فى مارة ابو ظبى

(أ) حكم سعيد بن طحنون وخلعه :

بعد نهاية حكم الشيخ خليفة بن شخبوط تولى سعيد بن طحنون حكم امارة ابو ظبى خلال الفترة مابين ١٨٤٥ الى ١٨٥٥ ، وطيلة هذه الأعوام تواترت على امارة ابو ظبى سنوات قاسية فى مواجهة الأخطار الخارجية وكان سعيد صلبا وقويا فى مواجهتها وفى الدفاع عن حدود امارته من الاعتداءات الخارجية (٤) .

واستطاع بحكمته ان يستميل الى جانبه قبائل النعيم والعوامر والظواهر وغيرها من قبائل المنطقة وقد اشتهر عنه انه كان قاضيا قديرا يفصل فى المنازعات بين مواطنيه طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية وحفظ اصول الدين (٥) .

وتبدو قضية خلع سعيد بن طحنون مثيرة للجدل والنقاش ولكنه ليس مجال بحثنا ولكن سوف نورد روايتين عنها ، أحدهما للاستاذ فالح حنظل ويقول فيها : -

بأن أخوين من رعاياه اقتتلا فقتل احدهما الآخر وعندما جىء بالجانى الى سعيد ابن طحنون اصدر حكمه عليه بالاعدام وفقا للشريعة الاسلامية ، وتوسل اليه والده وابدى استعداده لدفع الدية او الجزاء القضائى المادى الا ان سعيد أصر على تنفيذ حكم الاعدام وذهب ابواه يتوسلا بأعيان ووجهاء " بنى ياس ": للعفو عن القاتل ولكن جهود هؤلاء لم تنجح واصر سعيد على الاعدام وفى المدينة تجمهرت الناس وصاروا يتناقلون القضية ، ويبدو ان الأمر أخذ صورة تحد بين سكان ابو ظبى وبين الحاكم وفى ساعة من ساعات الغضب اصدر الشيخ سعيد امره بتنفيذ حكم الاعدام فى القاتل فأعدم ، مماأحدث هرجا ومرجا فى المدينة واستاء الناس من هذا الحاكم ولجأوا للسلاح وهاجموا قصر الحصن وتبادلوا اطلاق النار مع حاميته ممانتج عنه

هروب سعيد بن طحنون . [٦]

اما الرواية الثانية " للوريمر " والذى يقول فيها : -

انه عندما سأل " كامبل " المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ، سعيد ابن طحنون عن سبب هربه فأجاب بأن جماعة من رعاياه كانوا قد ارتكبوا بعض العمليات الاجرامية وانه اصر على القصاص والعقاب من مرتكبيها ، وحدد هذه الجريمة بأنها وقعت لسفينة تابعة لتاجر بحريني يدعى عبدالكريم وقد جنحت فى مياه خور العديد وان بعض افراد بني ياس هاجموا السفينة وقتلوا عبدالكريم وربانها ونهبوها ثم تبين انها من فعل احد الأخوين ولذا فانه عزم على قتل الجانى الشقيق الاكبر ، وبناء على وعد من سعيد بن طحنون بالايمسه بأى ضرر جاء اخوه لمقابلته لكن سعيدا لم يتخلى عمانوى عليه ونفذ حكم الاعدام وقام الناس الى السلاح وبعد ان احتمى سعيد بن طحنون فى قلعته زمنا بادر الى الفرار واستقر بجزيرة " قيس " على الساحل الشرقى من الخليج العربى ومعه معظم مايملكه من ماشية ومتاع[٧] .

ويقال بأن سعيد قد قرر اتخاذ قرار مفاجىء وأمر عددا من حراسه ان يجهزوا له سفينته الخاصة وان يحملوهاباحتياجاته الخاصة وان يملاء مخازنها بالطعام والزاد ، وفى نفس الليلة ترك مدينة ابو ظبى ومعه اخوه حمدان متجها الى جزيرة " قيس " وسكانها من القبائل العربية واوصى أخوه صقر بأن يتولى السلطة ومهام الحكم وقد يرجع ذلك الى شعوره بأنه اصبح غير مرغوب من شعبه اما سكان ابو ظبى فيبدو انه لم يشعر احد منهم بخروج سعيد حتى اقرب المقربين اليه ، وعندما توجه بعض رعاياه الى مجلسه كعادتهم كل يوم وجدوا اخاه صقرا يجلس مكان اخيه فى صدر المجلس واجاب بأن سعيد مصاب بمرض وحمى لاتمكنه من الحضور واستمرت

الامـور كـمـاهى دون ان يعـرف احـد الى أن وصلت سـفـينة احـد تجـار المواشى من الساحل الشـرقى للخليـج العربى الى مدينة ابو ظبى فاذا بأحد ركابها يخبرهم بأن سعيـد مـوجـود فى جزيرة " قـيس " وهنا ثار كبـار اعيـان البلاد ودخلوا الى مـجلس صقر واجبروه على ان يعترف لهم بالحقيقة فلما اعترف لهم بما حدث فقرر زعماء بنى ياس اسقاط حكم سعيد بن طحنون [٨] وطلبوا من صقر ان يغادر مدينة ابو ظبى .

اما بريطانيا فكانت قد اعطت لنفسها الحق فى التدخل بالنزاعات المحلية حسب تفسيـرها لمعاهدة الهدنة البـحرية الدائمة لعام ١٨٥٣ ورغم ان هذه المعـاهدة تتـعلق بالمنازعات البـحرية فـيـما بين الامـارات الا ان دورها لم ينحـصر فى هذا المجـال بل راحت تتـدخل فى الشـؤون الداخليـة للامـارات من تنصـيب حـاكم او عـزله بطريقـة مبـاشرة او غـير مبـاشرة حسب مصلحتها فقد نجد فى قضية الشيخ سعيد عندما تعـرض لمشـاكل داخلية تتعلق بامـور السلطة وثار بعض افـراد عشيـرته المناوئين له ووقف رعـاياه ضده . ولـم تكن بريطانيـا راغـبـة فى دعم سلطة سـعـيـد الذى اصبح مـهزوزا امـام رعاياه وخشيـة من ان التدخل بجـانبه قد يؤدى الى مـزيد من التعـقيد لوضعـهـا فـقد غضت النظر عـمـا يجرى فى أبو ظبى ، حتى تم طرد سعيد وتولى زايد بن خليـفـه الحكم ولو ان بريطانيـا تريد بقـاء سعيـد فى الحكم لعززت موقفه ولما تزعزع عن سدة الحكم [٩] .

(ب) : اختيار زايد بن خليفه للحكم عام ١٨٥٥ :-

وبعد ان هرب سعيد ثم اخوه صقر ، اجتمع كبار اعيان البلاد وقرروا اختيار زايد ابن خليـفـه ابن عم الحاكم المخلوع لتنصيبه حاكما على ابو ظبى وكان زايد وقتذاك لدى اخواله فى بلدة " اللية " فى الشـارقة [١٠] واخواله من قـبيلة " السودان " التى

كانت تحت زعامه خاله الشيخ عبدالله ابو الهول السويدى ، وذهب وفد رفيع المستوى من بنى ياس وقابل زايد واخبروه بقرارهم كمايد وبارك هذا القرار حاكم دبى سعيد بن بطى وهو اول من اعترف بحكمه ، وعاد زايد الى ابوظبى وبرفقته اخوه ذياب والدته فتلقاه الشعب بالفرحة وفتحوا له ابواب قلعة الحصن واطلقت المدافع نيرانها بقدوم زايد ابتهاجا بالحاكم الجديد (١١) .

وبذلك تكون قبيلة بنى ياس قد اختارت زايد بن خليفه لحكم الامارة عام ١٨٥٥ ، وقدر لهذا الحاكم الجديد ان يدير شؤون الامارة لفترة طويلة كماقدر له ان يقوم بدور كبير فى تاريخ ابو ظبى والامارات العربية (١٢) ، على أن عصر زايد لم يخل من احداث جسام اثرت فى تاريخ ابو ظبى فعندما تم اختياره خلفا لسعيد بن طحنون لم يجد الطريق ممهدا ولكنه استطاع بسياسته ودرايته ان يذلل العقبات التى اعترضته ويتخطى الصعاب (١٣) .

ويقول الكاتب البريطانى " كلودموريس " بأنه فى عام ١٨٥٥ برز فجأة رجل كتب له ان يصبح شخصية أسطورية حيث أعتبر بطل الامارات العربية فى أيامه هو زايد بن خليفه المعروف بزايد الكبير الذى تولى الحكم من عام ١٨٥٥ الى عام ١٩٠٩ لقد كان محظوظا خلال فترة حكمه بشكل ملحوظ وبرغم مواجهته كل العوامل المثبطة التى تواجه عادة الزعماء فى هذه البرية المجدبة الحارقة شق زايد الكبير طريقة بنجاح بعدما اصر على ان يكون حاكما وحالفه الحظ فى ذلك دوما (١٤) .

اما حمدى تمام فيقول : بأن زايد كان لايزال شابا فى العشرين من عمره عندما استلم مقاليد الحكم خلفا لابن عمه سعيد بن طحنون اذا اجتمعت لزايد وهو فى هذا

السن المبكر الشجاعة والرأى وحسن التصرف وقد حالفه توفيق كبير من الاستقرار والهدوء والتلاحم بين القبائل [١٥] . ويعتبر زايد من الحكام الذين حكموا اطول فترة فى تاريخ امارة ابو ظبى الى يومنا هذا [١٦] .

وبدأ زايد بن خليفه بن شخبوط بن دياب بن عيسى بن نهيان بن فلاح مهام الحكم فى امارة ابوظبى فى عام ١٨٥٥ وقضى ايامه الاولى فى ترسيخ قواعد الحكم وتوزيع المناصب فعين اخاه ذياب نائبا عنه فى شؤون الحكم كماسلم خاله عبدالله بالهول السويدى منصبا مهما ولم يعارض زايد فى حكمه الا ولدان من ابناء عمه وهما ذياب وسلطان اولاد هلال بن شخبوط اما اخوهما الثالث خليفه بن هلال فكان احد اعوانه المخلصين ووقف مع زايد بكل قواه [١٧] .

(جـ) : محاولة سعيد بن طحنون استعادة الحكم عام ١٨٥٦ :

كان سعيد بن طحنون يعيش فى جزيرة " قيس " وفجأة قرر استعادة حكمه ولكن لماذا ؟ علما بأنه كان على اطلاع بمجريات الامور فى ابو ظبى بعد تولية ابن عمه الحكم ولذا فانه ادرك حقيقة فقدانه للسلطة والامارة ممادفعته الى استعادة الحكم مهما كان الثمن ولهذا فلابد من ان يجد حليف قوى يساعده ويسنده فى العودة الى حكمه ، وتوجه سعيد بن طحنون الى الشارقة وبصحبته اخويه صقر وحمدان وبعض السفن ونزل فى بلدة " اللية " وكان فى استقباله احد اصدقائه من شيوخ البومهير ويدعى مانع بن بطى المهيرى واخذ الاثنان فى العمل لاعداد الخطط اللازمة للهجوم على أبوظبى والاستيلاء عليها وكان التخطيط دقيق ومحكم [١٨]

وعندما وردت انباء عن وفاة سلطان عمان سعيد بن سلطان البوسعيدى وهو على ظهر المدمرة البريطانية " كوين فكتوريا " فى طريقة متوجها الى زنجبار من مسقط

وكان بالقرب من سواحل جزر " سيشل " لفظ انفاسه الاخيرة ونقل جثمانه الى زنجبار ودفن هناك وكانت ابو ظبى ترتبط بعلاقات تقليدية خاصة مع عمان فمجرد ورود هذا الخبر قرر زايد الذهاب الى مسقط لتقديم تعازيه الى ابنه الذى تولى الحكم هناك السلطان توينى الذى كان يحكم عمان اثناء حياة والده وحتى وفاته ثم اصبح سلطان عمان [١٩] .

وتوقف زايد بن خليفه ليلة واحدة فى دبى ضيفا على الشيخ حشر بن مكتوم ثم غادرها الى مسقط . وكان سعيد بن طحنون يترقب الفرصة المواتية له فعندما علم بغياب زايد الى عمان قام بتجهيز سفنه بمقاتلين من آل بومهير بقيادة مانع بن بطى المهيرى متوجها نحو جزيرة ابو ظبى التى لم يشعر سكانها الا والسفن ترسو امام الجزيرة وينزل منها اعداد كثيفة من المهاجمين الذين باشروا باطلاق النيران على المارة الذين هربوا الى منازلهم [٢٠] .

وهكذا حدث الهجوم المفاجىء على مدينة ابو ظبى والتى لم يتوقع سكانها هذا الهجوم من قبل سعيد بن طحنون والذى قد اتخذ من الشارقة قاعدة له ، وكان اسطوله يضم ثلاث سفن صغيرة يملك منها واحدة والثانية كانت تابعة لاحد المالكين من جزيرة " قيس " والثالثة حصل عليها وجلبها من " ابو حيل " فى الشارقة واستطاع سعيد ان يمتلك المدينة التى قام اتباعه بنهبها وحرقها [٢١] .

وتوجه سعيد بن طحنون على رأس مفرزة نحو قصر الحصن الذى كان فيه ذياب ابن خليفه نائب الحاكم وشقيق زايد بن خليفه مع والدته وحرسه الخاص ، الذين قاموا باغلاق ابواب الحصن ووضع المتاريس وصعدوا الى الابراج وباشروا باطلاق النار على المهاجمين وبرغم شدة الهجوم الذى شنه اتباع سعيد بن طحنون الاانهم لم

يتمكنوا من اقتحامه نظرا للبسالة التى ابداها افراد حرس الشيخ ذياب بن خليفه ، مماجعل المهاجمين يكتفون بحصارها ، ونادى المنادى فى اسواق مدينة ابو ظبى بأن الحكم قد عاد لسعيد بن طحنون ، وفى صباح اليوم التالى تمكنت بعض السفن التابعة لزايد بن خليفه من الهرب الى دبى وتم ابلاغ حاكمها الشيخ سعيد بن بطى عن المعارك التى جرت وبعودة سعيد بن طحنون الى ابو ظبى وكان سعيد بن بطى طريح الفراش لمرضه فطلب من ابن اخيه حشر بن مكتوم استلام قيادة الجيش والقيام بدوره لابلاغ زايد والتشاور معه حول هذه القضيه وعلى الفور ارسل حشر مفارز ودوريات للعثور على زايد بن خليفه واستطاعوا ان يجدوه وهو فى طريق عودته من مسقط قرب بئر ماء يسمى " غفر " وكان برفقته عشرة رجال من حاشيته وحرسه الخاص وابلغ رجال حشر لزايد عن مجريات الامور فى ابو ظبى وطلبوا منه الانتظار فى موقعه لحين وصول النجدات من دبى وابو ظبى وفى مساء اليوم التالى وصل حشر بن مكتوم على رأس جيش كامل الى موقع زايد ووضع الاثنان خطة للقيام بهجوم معاكس لاسترجاع ابو ظبى وعندما وصلت تلك القوات الى مقربة من منطقة " المقطع " التى لم يكن هناك جسر للعبور يربط البر والجزيرة امر زايد قواته بالاختباء وعدم القيام بأية حركة حتى لايكتشف امرهم من قبل دوريات وحرس سعيد بن طحنون والذين يقيمون فى البرج المقام فى " المقطع " ويفقد معه عنصر المفاجئة وهنا ذكرت روايتان عن كيفية عبور زايد بن خليفه وقواته من البر الى ساحل الجزيره (٢٢) :-

(ا) : الرواية الاولى تقول :

بأن الحرس وضابط منطقة " المقطع " كانوا من أنصار زايد بن خليفه فلما رأوه

أفسحوا له المجال فقامت قواته بعبور الحاجز المائى بين البر والجزيره .

(٢) : اما الرواية الثانية فتقول :

بأن زايد استعمل حيلة بارعة عندما اوعز الى بعض افراد من رجاله الاقوياء بأن يعبروا الماء سباحة الى جزيرة ابو ظبى ويشعلوا النيران فى أماكن متفرقة خلف نقاط المراقبة التى توجد فيها ابراج " المقطع " باتجاه العاصمة ولما تقدم زايد الى نقطة البرج اوقفته القوة الموجودة هناك فطلب مقابلة ضابط النقطة والذى فوجىء بوجود زايد ومعه قوات كبيرة من الجنود فنصحه زايد بعدم المقاومة وطلب منه ان ينظر خلفه وان يرى أبو ظبى قد امتلأت بالنيران فأخبره زايد بأن القسم الاكبر من افراد قواته قد عبروا ودخلوا المعركة وهاهى النيران وان مايراه من قوة ليس الا جزء قليل من تلك القوة فقدم الضابط خضوعه مع حرسه لزايد وعبرت قوات زايد ومعه الشيخ راشد بن مكتوم الى داخل جزيرة ابو ظبى .

وفى صباح اليوم التالى بعد صلاة الفجر اطلق زايد اشارة بدء الهجوم ودارت المعارك العنيفة فى المدينة وحول قصر الحصن قتل فيه مانع بن بطى المهيرى من اتباع سعيد بن طحنون فى حين تمكنت قوات راشد بن مكتوم من كسر طوق الحصار الذى فرضه سعيد بن طحنون على ذياب بن خليفه وافراد عائلته وحرسه فى الحصن كمادارت معارك عنيفة فى أزقة المدينة وشوارعها انهزمت فيه قوات سعيد بن طحنون ، وهرب البعض فى حين حاول سعيد الهرب تجاه البحر للوصول الى سفينته ولكن افراد زايد تمكنوا من سعيد واحاطوه ولم يعرفوا ماذا يفعلوا به فارسلوا احدهم ليخبر زايد وعندما علم زايد الذى كان يقاتل على ظهر فرسه فى وسط المدينة بأن سعيد مطوق فى البحر اسرع متجها اليه على فرسه وقبل ان يخرج من احد ازقه

المدينة والمؤدية الى الشاطىء ولشدة سرعة الحصان وضيق الازقة اصطدم بخشبة بارزة من احد الجدران فسقط زايد من شدة الصدمة بينما خرج حصانه تجاه الشاطىء بدونه فظن الذين كانوا يطوقون سعيد بأن زايد قتل فقاموا واطلقوا نيران بنادقهم على سعيد فأصابوه بعدة رصاصات قاتلة وكانوا من قوات دبى الموالية لزايد ، وبعدها تم القبض على أخوى سعيد وهما صقر وحمدان وكان سعيد قويا ويعد من ابرز واشجع المقاتلين ومن اهم اثاره الجامع الذى كان يسمى بمسجد " العتيبات " وهذا المسجد قد بناه سعيد بن طحنون ويعتبر اول مسجد جامع كبير يتم بناءه من الحجارة والاجر فى ابو ظبى فى تلك الفترة التى كانت تبنى مساجدها من الخوص وسعف النخيل وقد قام خلف بن عبدالله العتيبه بترميم المسجد حديثا ولذا سمى بمسجد العتيبات [٢٣] . ويقع الان مقابل السفارة البريطانية بالقرب من سوق الخضار واعيد بناءه حديثا بعد هدم المسجد القديم .

وقد يكون للسلطان بن صقر دورا فى عملية استعادة السلطة للحاكم السابق لابو ظبى فى محاولة اعادة سعيد للحكم ويقول المؤرخ البريطانى " لوريمر " : - " ولما فشلت هذه المحاولة وقررت السلطات البريطانية اعتبار العملية عدوانا بحريا من جانب شيخ الشارقة واعتباره مسؤولا مسؤولية الشريك عن اتلافه لمدينة ابو ظبى ووقع معظمه بأيدى البدو من حلفاء الشيخ الموجود آنذاك فيها ممن كان استدعاهم لمعاونته فى الدفاع عن المدينة " [٢٤] .

وهذا يعنى ان لبريطانيا علاقة غير مباشرة ، وخاصة انها كانت على علم بخروج سعيد بن طحنون من جزيرة " قيس " ومجيئه الى الشارقة ثم الاستعدادات التى تمت للشيخ سعيد فى الشارقة بالقرب من الوكيل السياسى البريطانى ومن غير المعقول

انه لم يكن يعرف بتلك الاستعدادات وخاصة ان الوكيل كان يعرف كل صغيرة فى المنطقة كلها فكيف لايعرف بمجريات الامور بالقرب من مقره فى الشارقة ثم انه غضت بريطانيا طرفها فى الفترة التي ابحرت قوات سعيد من الشارقة الى ابو ظبى ؛ الم تكن تعلم ؟ وسكوتها اثناء القتال الذى دار فى أبو ظبى وكذلك سكوتها عندما استقرت الاحوال للشيخ سعيد بن طحنون ، ولم تتحرك الابعدما استعاد زايد ابن خليفه جزيرة ابو ظبى بمساعدة شيخ دبي ومقتل سعيد ونظرا لفشل العملية وحتى لاتتهم بريطانيا بان تورطها قد يثير عداء زايد بن خليفة عليها فانها فرضت غرامة على الشيخ سلطان بن صقر ومن ناحية اخرى كانت غير راضية بسياسة الزعيم القاسمى تجاه التواجد البريطاني في الامارات العربية وكانت تريد تأديبه بطريقة غير مباشرة واتهمته بتورطه في القضية فى حين انها لم تمنعه او تحذره قبل اشتراكه كماهو المتبع فى العادة وكانت بريطانيا تحذر قبل قيام اى شيخ بأى نوع من العمليات وبالتالي فان بريطانيا اظهرت نفسها بأنها لم تكن راغبة فى تولية سعيد الحكم ولذلك اتهمت سلطان بن صقر بهذا العمل وفرضت عليه غرامة كبيرة.

ففى عام ١٨٥٧ قرر المقيم السياسي البريطانى فى الخليج العربى الكابتن " جونز فيلكس " ايفاد بعثه الي ابو ظبي لتقصي الحقائق عن الاحداث التى جرت فى العام الماضى ووصلت تلك البعثة وباشرت عملها وشاهدت اثار الدمار والخراب فى ازقة وشوارع المدينة وتدمير سوق البلدة وجزءا من قصر الحصن[٢٥] .

كمااستمعوا الى عدد من افراد السكان الذين اشتكوا ممن اصيبت ممتلكاتهم بأضرار فادحة وانهم قد خسروا الكثير بسبب الهجوم الذى شنه سعيد ورجاله ثم قامت اللجنة باجراء التحقيقات اللازمة لمعرفة اسباب الهجوم والقوى التي ساندتها

وقد توصلت الى نتيجة بأن سلطانِ بن صقر كان وراء هجوم سعيد وبعدها ارسل المقيم البريطانى رسالة الى سلطان بن صقر يبلغه فيها بنتائج اللجنه[٢٦] . وفيها اتهامات موجهة اليه بمساعدته لسعيذ بن طحنون ، ويخبره بأن الحكومة البريطانية قد حددت الغرامة التى يجب أن يدفعها الزعيم القاسمى ، مبلغ وقدره خمسة وعشرون الف جنيه تدفع على أقساط على أن يعفى الزعيم القاسمى من بعضها اذا أثبت حسن تصرفاته حسب المفهوم البريطانى ولكن مسلكه ظل لايبرر على الاطلاق انقاص شىء من الغرامة مماقررت معه الحكومة البريطانية الزام دفع المبلغ المقرر حتى أخر دفعة من تلك الاقساط فى شهر مايو عام ١٨٦٠[٢٧] .

(د) : تمرد ابن عرار فى العين عام ١٨٥٨ .

ومن اهم المشاكل الداخلية التى تصدى لها زايد بن خليفة بعد محاولة سعيد هو حركة التمرد التى شهدتها منطقة العين وكادت ان تنفصل عن ابو ظبى فى عام ١٨٥٨ ، عندما حاول احد اكبر زعماء المنطقة وهو الشيخ ابن عرار استغلال فرصة الاضطرابات التى وقعت فى ابو ظبى فأعلن الانفصال واستقلال مدينة العين والمناطق المجاورة لها وخضع له معظم زعماء المنطقة مثل الشيخ محمد بن احمد وكان على زايد ان يواجه هذه الحركة بحزم فتصدى لابن عرار وقاتله بشدة طيلة عام ١٨٥٨ ، وقد ارسلت امارة دبى بعض قواتها لمساعدة زايد فى حربه ضد ابن عرار ووقعت خسائر كبيرة بين الجانبين ، كماقدم الزعيم النعيمى فى البريمى الشيخ محمد ابن على الحمود الشامى مساعدته لزايد ، وانتهت المشكلة عندماتدخل أحد وجهاء دبى السيد عبدالله بن حريز ، وبذل جهوده ووساطته لدى الطرفين فاستسلم ابن عرار بكرمه وجوده فقد قال احد الشعراء مادحا :-[٢٨]

حنت وتبغى ابن عرار يشيبها بينها وبينه حزم مايدرى بها

والقصيدة كناية عن الشاعر نفسه فهو يحدث ابن عرار على لسان الناقة اظهار لكرمه . اما بقية زعماء منطقة العين فان زايد لم يتعرض لصلاحياتهم الخاصة وأقرهم فى مناصبهم فقد كان فى " الجيمى " احمد بن هلال وفى " المعترض " محمدبن مانع وفى " الهيلى " سعيد بن سلطان ،وبذلك استقر الوضع فى منطقة العين وعادت الى سيادة امارة ابو ظبى .

ثانيا : تطور امارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفه

لقد شهدت امارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفه تطورا ملحوظا فى شتى المجالات وكانت سياسته فى رفع مستوى بلاده وتطورها واضحة ونجح فيها نعلا[٢٩] ، حيث انتعشت التجارة بين مدن وموانى امارة ابو ظبى وبين جيرانها من مدن وموانى الامارات العربية وعمان وايضا التجارة الخارجية بدرجة اقل وشهدت الزراعة اثناء حكمه توسعا ملموسا فقد كان زايد يهتم شخصيا بها، كما ساهم فى انجاز العديد من المشاريع وخاصة فى منطقة العين كماركز حكمه بالادارة القوية والرجال المخلصين اما علاقته بالقوى المجاورة[٣٠] فقد شهدت الصداقة والاحترام المتبادل اضافة الى شخصية زايد المرموقة بين قبائل المنطقة وسوف نتطرق الى هذه الامور : -

(أ) : الاقتصاد :

لقد كانت اقتصاديات الامارة فى تلك الفترة الزمنية بسيطة وتعتبر اقتصاد بدائى

يعتمد على الجهد الجسمانى ولكن مع ذلك استطاع زايد بسياسته وحسن ادائه ان يشجع مختلف الانشطة الاقتصادية فى الامارة واستطاع ان يكيف امارته مع هذه الموارد الاقتصادية المتواضعة .

(أ) : الغوص على اللؤلؤ :

وعند التطرق بالبحث على اقتصاديات امارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفه تبرز التجارة والغوص على اللؤلؤ وبناء السفن من اهم مصادر الدخل الرئيسية بجانب الزراعة وتبرز صناعة اللؤلؤ فى المقدمة لما كانت تساهم به بنسبة عالية فى الدخل القومى لاقتصاد ابو ظبى .

وكانت صناعة اللؤلؤ فى عهد زايد العمود الفقرى بالنسبة للاقتصاد الوطنى وكان يشتغل بصناعة اللؤلؤ بصورة مباشرة او غير مباشرة معظم سكان امارة ابو ظبى وان صناعة اللؤلؤ كانت تساهم بنسبة كبيرة من مجموع الدخل القومى ويأتى الباقى من القطاعات الاخرى كالزراعة والتجارة والرعى وصيد الاسماك .

وساهم العنصر النسائى فى عملية الغوص ذاتها ولكن على نطاق محدود وخاصة بالنسبة لسكان الجزر القريبة من المياه الضحلة حيث كانت النساء تعمل بمعزل عن الرجال ، واقتصاد اللؤلؤ اقتصاد حر يلعب فيه القطاع الخاص الدور الرئيسى بينما يكون دور القطاع العام محدود .[٣١]

وكان سكان الامارة يعتمدون على دخل اللؤلؤ لشراء حاجياتهم الضرورية واليومية من الارز والشاى والسكر والبن والمنسوجات القطنية والملابس والخشب وهذه المواد غالبا ماكانت تستورد من السواحل الهندية ونتيجة للاستقرار الذى شهدته الامارة فى عهد زايد انتعشت الحياة الاقتصادية وخاصة بالنسبة لتجارة

اللؤلؤ والتى كانت لها سوق رائجة فى عواصم الدول الاوربية والهند واصبح لابو ظبي من السفن والصيادين فى مغاصات اللؤلؤ " والهيرات "[٣٢] اكثر مماكانت تملكه اية امارة اخرى وكانت نسبة صغيرة فقط من الصيادين تتألف من المحترفين اما الغالبية العظمى فكانت من قبائل البدو التى تقطن مختلف المناطق والاراضى التابعة لامارة ابو ظبى[٣٣] . ومن اهم موانىء اللؤلؤ فى امارة ابو ظبى : -

(ا) : جزيرة دلما :

كانت اهم واغنى " المغاصات " و " الهيرات " للؤلؤ فى الخليج العربى تقع فى المنطقة الممتدة بين سواحل ابو ظبى وشبه جزيرة قطر ، ونظرا لوقوع جزيرة " دلما " فى وسط هذه المنطقة فى مياه ابو ظبى الاقليمية فانها اصبحت تتمتع بمركز هام واهتمام خاص وكانت تعتبر من اكبر مراكز الغوص فى وسط " الهيرات " فى مياه الخليج العربى وكان يتم عن طريقها تقديم المؤن والاحتياجات الضرورية اللازمة لعملية الغوص ويقصدها كل من صائدى اللؤلؤ وتجاره بين فترة واخرى فى اثناء موسم الغوص للتزود بماء الشرب والطعام وبيع وشراء مالديهم من اللؤلؤ وبذلك اصبحت جزيرة " دلما " من اهم مراكز تجارة اللؤلؤ فى الخليج العربى كما كان يلجأ اليها عندما تشتد الرياح لوقوعها قرب " الهيرات " او " المغاصات " .

وجزيرة " دلما " مأهولة بالسكان طيلة فصول السنة ولكن عدد سكانها يرتفع فى موسم الغوص ويتصاعد الى حوالى عشرة اضعاف السكان فى غير موسم الغوص ثم يعودون الى عددهم الطبيعى فى فصل الشتاء وينشط سوقها التجارى فى موسم الغوص فيقصدها تجار اللؤلؤ من مختلف انحاء الخليج العربي والدول القريبة مثل الهند وان حركة البضائع والتجارة بمختلف انواعها تنشط فى جزيرة " دلما " اثناء

موسم الغوص وتكاد تكون الجزيرة من اهم الموانى فى الخليج العربى لصيد اللؤلؤ وتجارته[٣٤] بعد البحرين والكويت .

(٣) : جزيرة ابو ظبى :

تأتى جزيرة ابو ظبى فى المرتبة الثانية بعد جزيرة " دلما " من حيث اهميتها فى التجارة والغوص على اللؤلؤ ويقصدها العديد من تجار اللؤلؤ فى موسم الغوص ويقيمون فيها طيلة الموسم للمتاجرة باللؤلؤ فيمابينهم من جهة والمتاجرة مع تجار ابو ظبى من جهة اخرى ثم تأتى جزيرة " غاغة " ولكنها لاترقى فى الاهمية جزيرتى " دلما " و " ابو ظبى "[٣٥] وهناك موانى يقصدها صائد اللؤلؤ للالتجاء والاحتماء من الرياح والعواصف فقط وهذه الموانىء والجزر غير مأهولة بالسكان واهمها " "جزيرة دبية " ، "جزيرة غشا "،" جزيرة الصير " ، " جزيرة حالة مبرز "، " جزيرة زركوه " ، " جزيرة فشت " ، "جزيرة أزرنة " .

وقد بلغ عدد السفن العاملة فى اسطول ابو ظبى بالنسبة لسفن الامارات الاخرى حوالى ٤١٠ سفينة والشارقة ٣٦٠ سفينة ودبى ٣٣٥ سفينة ورأس الخيمة ٧٠ سفينة ولعجمان ٤٠ سفينة وكانت ابو ظبى تحتل الدرجة الخامسة فى الثراء وفى قوة الاسطول البحرى العامل فى الخليج العربى وعبر البحار[٣٦] .

(ب) : اقتصاد اللؤلؤ :

وينقسم اقتصاد اللؤلؤ الى القطاع العام والقطاع الخاص من حيث دوره فى تنمية الاقتصاد الوطنى والدخل القومى لامارة ابو ظبى .

١: دور القطاع الخاص فى اقتصاد اللؤلؤ:

ان اقتصاد اللؤلؤ اقتصاد حر ولذا فان القطاع الخاص يلعب دورا مهما ، وان تجارة اللؤلؤ تعتمد على عاملى العرض والطلب ماجعل اسعارها عرضه لتقلب الارتفاع والانخفاض مايعرض الاقتصاد القومى لعدم الاستقرار ، ويشكل الفرد العنصر الأكثر أهمية بالنسبة لاقتصاديات اللؤلؤ وكان يتراوح متوسط الدخل السنوى للفرد العامل فى صيد اللؤلؤ بحوالى ١٥٠ روبية هندية والتاجركان يتراوح دخله السنوى مابين ٥٠٠روبية وألف روبية تقريبا[٣٧] .

٢: دور لقطاع العام فى اقتصاد اللؤلؤ :

ويأتى دور القطاع العام أو الحكومى فى اقتصاديات اللؤلؤ فى المرتبة الثانية ومع ذلك فان دخل الامارة الرئيسى يأتى ممايتم جمعه من الضرائب على صناعة اللؤلؤ وتفرض الحكومة سهم بحار واحد على كل سفينة بغض النظر عن الكبر او صغر السفينة وترسل الحكومة ممثلا عنها فى موسم الغوص الى الموانىء الرئيسية للؤلؤ ويقوم هذا الممثل بجمع مايمكن جمعه من اموال عينية ومادية وخاصة من تجاراللولؤ كل حسب مقدرته المادية .

ويمكن القول بأن " مغاصات " اللؤلؤ فى ابو ظبى كانت مسموح بها لجميع العاملين فى الغوص سواء كانوا من امارة ابو ظبى او خارجها ولايحق لأى فرد او قبيلة ان تستأثر بأحد هذه المغاصات دون غيرها ويدفعوا مبالغ معينة كضريبة الدخل الى ممثل حاكم ابو ظبى والذى كان يتخذ من جزيرة " دلما " مقرا له ، وهذا ماأضاف عوائد جديدة للدخل القومى وساعد على نمو وازدهار امارة ابو ظبى الى جانب الجهود الذى بذلها زايد بن خليفه فى الحفاظ على هذه المكانة الاقتصادية لعملية

الغوص واستخراج وتجارة اللؤلؤحتى أصبح هذا العصر الذهبى لتجارة اللؤلؤ[٣٩] .

وكـان يقـال بأن أحـسن ايام الرفـاه والرخـاء الذى عم ابو ظبى فى تاريخـهـا كـان يعرف باسم عهد صيد اللؤلؤ او عـصر اللؤلؤ وظهر فى الواقع خلال النصف الثانى من حكم زايد بن خليفه واستمر هذا العصر المزدهر اثناء عهد ابنائه الذين خلفوه فى الحكم واستـمروا فى تشجيع وتطوير هذه الصناعة واعداد السفن وامدادها بالرجال ذوى الخبرة بالغوص[٤٠] .

(جـ) : الزراعة :

تعتبر الزراعة من أقدم المهن فى ابو ظبى وخاصة فى منطقة العين وفى واحات " ليوا " حيث التربة الصالحة للزراعة وتتوفر المياه العذبه للرى . ومنطقة العين الاولى من حـيث اهمـيتـهـا للزراعـة وكـان سكـانهـا يعـملون بالزراعـة اثناء حكم زايد من النصف الثانى من القرن التاسع عـشر بالطرق القديمة حتى بداية النصف الثانى من القرن العشرين حيث اصبحوا بعدها يستخدمون الآلات الحديثه.

وتزرع فى ابو ظبى أنواع عدة من الاشجار والنباتات تتناسب والظروف الطبيعية والمناخية ونوعية التربة ، واهم هذه الاشجار النخلة واهم النباتات البرسيم فالنخلة كانت اولى الاشجار التى زرعت منذ القدم فى أمارة أبوظبى وخاصة منطقة العين و" ليـوا " . وفى عـهـد زايد بن خليـفـة كـان السكان يعـملون فى زراعـة النخـيل فى أمـاكن محـدودة مثل واحات " ليوا " التى قدر بها ثلاث وثلاثون الف نخلة وقرى منطقة العين حوالى ثلاثون الف نخلة تقريبا[٤١] .

وكان زايد بن خليفة محبا للزراعة وذلك تمشيا مع تقاليد الأسرة فى رعاية شؤون الزراعة والرى فى منطقة العين وخاصة منطقة الجاهلى وعلى الحدود الجنوبية الغربية

وهي منطقة صالحة للزرعة اضافة الى مناطق اخرى ولذا قام بانشاء بعض المزارع هناك كمانشطت مجموعات من قبائل ابو ظبى وخاصة بنى ياس والعوامر والظواهر فى بناء المزارع والبساتين وتعمير المنازل فى منطقة العين ونمت هذه المنطقة بسرعة فى عهد زايد الى درجة اصبحت معها تنافس مدينة البريمى العمانية المجاورة لها ، وقرر زايد تقوية نفوذه واعطاء المنطقة اهمية فقام ببناء " حصن الجاهلى " وسط مزارع وقرى منطقة العين[٤٢] .

وقام زايد باعادة حفر " الجاهلى " الدائرى المندثر وقد استمر العمل فى اصلاحه ستة عشرشهرا ، كما أنشأ ابنه الأكبر الشيخ خليفه بن زايد مزرعة ومستوطنة جديدة غرب قرية " الهيلى " واطلق عليها اسم " المسعودى " وحفر لها فلجا هو فلج " المسعودى " وقد استمر هذا الفلج حوالى اربعة عشر شهرا[٤٣] .

(د) : التجارة :

كان سكان ابو ظبى يمتهنون التجارة منذ القدم ويرجع ذلك الى طبيعة امارة ابو ظبى وموقعها على الخليج العربى بشواطىء طويلة تصل الى حوالى ٥٠٠ كيلو متر اضافة الي الجزر العديدة المتناثرة فى مياه الخليج العربى والتى كان بعضها مأهولة بالسكان ، وكانوا يمتلكون الاساطيل التجارية الشرعية ونقلوا عليها بضائعهم المحلية مثل اللؤلؤ والاسماك المجففة والتمور والجلود الى البلدان المجاورة ، ومقابل ذلك كانت تعود منها حاملة لابو ظبى ماتنتجه تلك البلدان من مواد غذائية ومنسوجات قطنية ، وكانت تجارة اللؤلؤ تشكل العمود الفقرى بالنسبة للتجارة الخارجية[٤٤] لامارة ابو ظبى فى عهد زايد بن خليفه .

اما فى المناطق الداخلية فنظرا لارتباطهم بالزراعة وخاصة منطقة " العين" و "

ليوا" فانهم كانوا يتاجرون بالمنتجات الزراعية مع سكان السواحل والبلدان المجاورة لامارة ابو ظبي وكانت قوافل الجمال هي الوسيلة الرئيسية لنقل منتجات تلك المناطق الى المناطق الاخرى التى تحمل التمور والفحم النباتى والمنتجات الزراعية وتعود محملة بالبضائع المستوردة من الخارج الى الموانىء الساحلية اضافة الى منتجات المدن الساحلية مثل الاسماك المجففة والسكان البدو الرحل فقد كانوا يمتهنون الرعى ولذلك تاجروا بالابل والاغنام والماعز والجلود والوبر والصوف ومن اهم الاسواق الرئيسية فى امارة ابو ظبى : سوق مدينة ابو ظبى وسوق مدينة العين وتتم فيها المتاجرة بين السلع المستوردة من الخارج والمعدة للتصدير، وكانت تفرض بعض الرسوم الجمركية التى لاتتعدى ٢٪على البضائع المستوردة اما البضائع المصدرة فكانت معفاة من كافة إنواع الضرائب .(٤٥)

(٢) : بناء قلعة الجاهلى :

اهتم زايد بالبناء والعمران حيث اقام العديد من الحصون والقلاع وغيرها من المرافق العامة وقام باصلاح وتجديد الافلاج وجعل عليها شبكة رى للمزارع والبساتين ومن اهم اعماله فى فن البناء والعمارةهو تشييد وبناء قلعة " الجاهلى الكبير " والتى استغرقت بنا ءها عدة اعوام وقد افتتحها زايد رسميا وسجل على مدخلها تاريخ البناء عام ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨ م وكتبت هذه الابيات على مدخل القلعة(٤٦) :

فتح باب الخير فى باب العلا   هل فيه السعد وبالعليا المنيفه

فتهـــان العــز قـــالت ارخــو   دار جــد شاد زايد بــن خليفه

(٣) : التنظيم الادارى والسياسى :

لقد اهتم زايد بن خليفه بالشؤون الادارية والسياسية وكان يعتمد على الرجال

المخلصين له فى مختلف المراكز وفى بداية حكمه كان يعتمد على اخوه الشيخ ذياب بن خليفه وابن عمه خليفه بن هلال ، ولكن بعد مقتله فى معركة الجرف عام ١٨٧٣ ، أصبح يعتمد كثيرا على ابنه الاكبر الشيخ خليفه بن زايد فى جميع الامور الداخلية كما انه تولى قيادة جيش ابو ظبى فى كثير من المعارك المهمة وخاصة المعارك التى كانت مع قطر وكان زايد يعتمد على ابنه خليفه فى المهمات السياسية الخاصة الى حكام الامارات العربية وسلاطين عمان فى مسقط وايضا فان الشيخ خليفه بن زايد لعب دورا كبيرا فى حل الخلافات والمنازعات التى كانت تنشب بين القبائل ولسمعته بينهم فانهم كانوا يستجيبون لنصائحه واقواله ويمكن القول بأن خليفه كان الساعد الاول والايمن اثناء فترة حكم زايد بن خليفه اما الرجل الثانى بعد الشيخ خليفه فقد كان احمد بن هلال والذى شغل منصب والى منطقة العين وممثلا لزايد ، وكان يعتمد عليه زايد فى كثير من امور تلك المنطقة ومعظم المراسلات كانت تتم عن طريقه وانه كان همزة الوصل بين زايد ومقر الحكم فى مدينة ابو ظبى ومنطقة العين والمناطق الشمالية من عمان.

واستمر فى منصبه حتى مجىء حكم حفيده الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد ابن خليفه.

ثالثا : عوامل نجاح زايد بن خليفه فى حكمه واستقرار امارته :

لقد امتد حكم زايد لفترة طويلة حوالى نصف قرن من عام ١٨٥٥ الى عام ١٩٠٩ ، وذاع صيته ليس فى الامارات العربية وانما خارجها[٤٧] . ووصلت امارة ابو ظبى فى عهده اقصى درجات اتساعها ونفوذها وامتد سلطانه على الساحل حتي خور العديد غربا اما فى الداخل فكان سلطان عمان قد فوضه لادارة اراضيه

فى اقاليمه الشمالية مثل الظاهرة فوصل نفوذه حتى مدينة " عبرى " وبذل زايد جهوده لتحقيق تحالف بين قبائل وحكام الامارات العربية تحت لوائه وكاد ينجح لولا تنبه الحكومة البريطانية لاتساع نفوذه وخططه فى الامارات العربية فوقفت فى وجه زايد وضد طموحاته لتحقيق الوحدة وافشلتها بريطانيا لرغبتها فى ابقاء الحالة القائمة من التجزؤ والتمزق كماهى عليه الحال وكان زايد قد ورث امارة تنمو وتتسع وتهيأله الى جانب ذكائه وقوة شخصيته وشجاعته وفروسيته[٤٨] ، عدة عوامل للنجاح ماتركت بصماته واضحة فى تاريخ الامارات العربية الحديث وهى كمايلى :

(١) : عدم وجود أسباب للمواجهة مع بريطانيا :

لم تكن هناك اسباب للمواجهة بين ابو ظبى وبريطانيا فى البحر كتلك التى حدثت بين القواسم وبريطانيا فى الوقت الذى شكلت قبائل ابو ظبى قوة برية فى " الظفرة " و " العين " ومنطقة " اكدن " جنوب " ليوا " وكان القواسم فى صدام مع البريطانيين فى الخليج العربى فى اوائل القرن التاسع عشر ، سببا فى اضمحلال نفوذهم وتجزوء امارتهم كان نشاط قبائل ابو ظبى بعيدا عن الصدام مع البريطانيين ، احد اسباب نموهم كقوة برية محلية كبيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تحت زعامة زايد[٤٩] ، ويقول " كيلى" :- " ان قبائل ابو ظبى كانوا يمثلون مصدر القوة للبوفلاج ولذا فعندما شرعت القوة البحرية للقواسم تتضاءل فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظلت القوة العسكرية " للبوفلاج) سليمه لم تتأثر ووصلت هذه القوة ذروتها فى عهد زايد بن خليفة "[٥٠].

(٢) : الصداقة التقليدية بين ابو ظبى وعمان :

لقد ورث زايد عن اجداده العلاقة والصداقة التقليدية عبر الاحداث التاريخية مع

سلاطين عمان ، فبينما كان القواسم منذ نشأتهم فى عداء شديد مع حكام وسلاطين البوسعيد فى عمان ، كان " البوفلاج " اصدقاء لهم وفى الوقت الذى كان القواسم يمثلون زعامة الحزب الهنائى المتحالف مع حكام عمان وكانت للصداقة الشخصية والقوية بين زايد وفيصل بن تركى سلطان عمان دورها فى اتساع نفوذ زايد بين اقاليم عمان الشمالية فى " الظاهرة " وحتى بادية الامارات وذلك عندما اسند سلطان عمان ادارة تلك الاراضى لزايد بن خليفة حتى مدينة عبرى كماهيأت الأحداث الكبرى لزايد فى وسط وشرق الجزيرة العربية الامن فى منطقة البريمى الذى ساعده على انجاز بعض طموحاته فى الامارات العربية ويقول "د .مرسى"[٥١] :-

" لقد ربط القواسم تاريخهم وازدهارهم مع الحركة الاصلاحية ودولة آل سعود فى نجد لهذا ماأن سقطت الدرعية عام ١٨١٨ حتى كانت الحملة البريطانية تدك قاعهم عام ١٨١٩ اما " البوفلاج " فقد اكتسبوا اسما لمقاومتهم هم واهالى ابو ظبى وهم قليلو العدد - جحافل الحملات السعودية وقد ساعدت امارة ابو ظبى صحراؤها الواسعة الممتدة فى التغلب على القوات السعودية وهى تعبرها فى طريقها الى عمان ومن ابرز مواقعهم مع السعوديين معركة العانكة ١٨٤٩ أيام الشيخ سعيد ابن طحنون وقد عاصر الشيخ زايد بن خليفة فترة افول الدولة السعودية الثانية الذى بدأ بوفاة اميرها فيصل بن تركى عام ١٨٦٥ وانتهت هذه الدولة فيما ترك الامير عبدالرحمن بن فيصل وابنه عبدالعزيز الرياض لاجئين الى الكويت عام ١٨٩٢ ".

(٣) : خبرة زايد بن خليفة بشؤون الإمارات العربية :

ان اقامة زايد فى الامارات الشمالية وخاصة فى دبى والشارقة اكسبته معرفة كبيرة بتلك المناطق فى ايام صباه الاولى وفى شبابه مماكان له ابلغ الاثر فى اكتساب

الخبرة والحنكة السياسية نظرا لاختلاطه بالشيوخ والتجار والموظفين البريطانيين مماانعكس ذلك عليه بعد تولى مقاليد الحكم والادارة فى امارة ابو ظبى خلفا للشيخ سعيد بن طحنون فان زايد لم يجد الطريق ممهدا ولم يخل عصره من احداث جسام اثرت فى تاريخ الامارة ولكنه بحنكته ودرايته السياسيه استطاع ان يزيل تلك العقبات ويتخطى الصعاب باقامة علاقات الصداقة مع القواسم[٥٢] .

ففى البداية حدث صدام بينه وبين القواسم وقتل فيها الشيخ خالد بن سلطان اثناء مبارزته مع زايد وكان الشيخ خالد من اعلام حكام القواسم وفارسا من فرسانهم وكانت هذه بداية الصعود لنجمه[٥٣] ، واستطاع بعدها ان يعقد حلفا وصداقة قوية مع القواسم والتى استمرت طوال فترة حكمه . كماورث زايد الصداقة والعلاقة المميزة مع حكام دبى من " البوفلاسه " الذين كانوا عضدا له فى ايام الشدة والازمات وكان زايد خير عون لهم وساعدهم فى جميع احتياجاتهم . وبهذه العوامل استطاع زايد بن خليفه ان يصبح من اقوى حكام الامارات العربية فى تلك الفترة ويحكم هذه المدة الطويلة ويسود عهده الامن والاستقرار والنمو والتقدم ليس فى امارة ابو ظبى وانما فى معظم ارجاء الامارات وسلطنة عمان وهذا راجع الى سياسته وحكمته فى شؤون تلك المنطقة .

رابعا : بعض ماقيل عن شخصية زايد :

لقد قيل عن شخصية زايد الكثير من قبل ابناء المنطقة وشيوخ القبائل وحكام الامارات والاداريين والمسؤولين البريطانيين وغيرهم ولكننا سوف نعرض هنا بعض ماقيل عن هذه الشخصية من قبل المؤرخين والكتاب الذين كتبوا فى التاريخ الحديث عن المنطقة والبعض منهم عاصره فى تلك الفترة وفى مايلى هذه الاقوال :-

١= يقول الكاتب اليمنى عوض العرشانى [٥٤] :

" لقد لعب دورا بارزا فى حياة ابو ظبى القبلية والسياسية والمشيخات المجاورة وقد صاهر لاسباب سياسية مجموعة من قبائل الساحل العمانى وكان مشهورا بالقوة والشجاعة والحزم والجود والكرم والسماحة والحلم والشهامة والرحمة وتلك من الصفات العربية الحميدة التى اتسم بها اجداده العرب وهذه الصفات المعنوية بالاضافة الى الصفات الجسدية المتمثلة بضخامة الجسم وكثافة اللحية وطوله الفارع ".

٢= اما "جون دانيال " الذى كتب عن امارة ابو ظبى فيقول :-[٥٥]

" يعتبر زايد بن خليفه من اعظم الحكام فقد حكم اطول فترة فى تاريخ امارة ابو ظبى وحافظ على وحدة اراضى امارته من أية اعتداءات خارجية " .

٣ = اما العقيد " مايلز" المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط فقد قام فى عام ١٨٧٥ بزيارة الى واحة البريمى ليضيف دليلا جديدا الى الدلائل الكثيرة القائمة على مدى قوة زايد الكبير فقد ارسل تقريرا الى لندن جاء فيه [٥٦]:-

" ان القبيلة الرئيسية هى قبيلة بنى ياس وان رئيسها الشيخ زايد بن خليفة وهو رجل قوى الشخصية وهو الرجل الوحيد الذى يتمتع حقيقة بالنفوذ والسلطة فهو وقبيلته يتزعمان كل المناقشات فى البريمى " .

٤ = ويذكر لنا " بيرسى كوكس " الذى عاصر زايد وكان معتمدا سياسيا فى مسقط فى عام ١٩٠٢ ثم اصبح مقيما بريطانيا فى الخليج العربى وقد زار ابو ظبى مرتين عندما اصبح مقيما والتقى فى المرتين بزايد فيقول : [٥٧]

" نعتقد ان زايد يقوم بعمله بارادة الله وان الايمان وحده هو مصدر قوته وحالفه

الحظ كماحالف اسلافه فى تقويم الانكليز الصابرين لقوته وكان اكثر حظاً فى منازعاته او مصاعبه المحلية القليلة مع جيرانه السعوديين حول واحة البريمى الواقعة على حدود عمان وابو ظبى والعربية السعودية لقد بنى زايد الكبير نفوذ بنى ياس فى هذه الواحة مع ان هناك قبائل اخرى أكبر عددا كانت تدفع الجزية راضية لزايد".

ثم يقول :

" ظل زايد الكبير ابرز حاكم فى شرق الجزيرة العربية لثلاثين سنه وامتد نفوذه فى كل الاتجاهات وحالف الحظ ايضا بنى ياس عموما عندما بدأ زعماء القبائل البعيدة عنهم اميالا يطلبون وساطة زايد الكبير فقد عرف انه رجل ذو صداقات كثيرة بين البدو وانه صديق الجميع واستمد قوته باستمرار من اصوله وكان يتمتع بعاطفة عفوية طبيعية تجاه المعوزين والمضطهدين وقد جنى بنوياس الخير من امتنان القبائل الاخرى له " .

٥ = ويقول " كلارنس مان " والذى عاش فى الشرق الاوسط وهو ضابط ومؤرخ امريكى(٥٨) :

" بأن الشيخ الحالى لابوظبى ، زايد بن خليفه يحكم امارة حدودها مترامية الاطراف وهو اقوى شخصية فى امارات الساحل المتصالح ويمتد سلطانه الى البريمى وعبرى فى سلطنه مسقط

ثم يقول :-

" كان الشيخ زايد من الحكام الذين يزداد سمعتهم فى الشرق الاوسط فى تلك الفترة " .

٦ = اما المؤرخ البريطانى " جى . بى . كيلى " فيقول[٥٩] :

" بأن الطبيعة المطلقة لصلاحيات زايد فى المناطق الواقعة بين " الظفرة " و " الظاهرة " لم تتعرض لتحدى في السنوات الثلاثين الاخيرة من حكمه باستثناء هجمات شيخ قطر على " ليوا " فى الثمانينات من القرن الماضى وعودة آل سعود الي الحكم فى نجد في نهاية القرن . ولم يسبق لأى من حكام البوفلاج او غيرهم من شيوخ الساحل ان يمارس نفس السلطان الذى وصل اليه زايد فى شرق الجزيرة العربية ولايرجع السبب فى هذا الى شخصية الشيخ زايد وكفايته وحدهما ولاالى الظروف المحددة لهذه الفترة كعدم وجود قوة وهابية طاغية فى نجد وانما يرجع الى ان ابو ظبي كانت دائما القوة الاقليمية القيادية بين مشيخات الساحل " .

٧ = ويقول " حمدى تمام " مؤلف كتاب القائد والمسيرة :-[٦٠]

" ولقد قدر لهذا الحاكم ان يدير شؤون امارة ابو ظبى مدة طويلة مابين (١٨٥٥ - ١٩٠٩) كماقدر له ان يقوم بدور كبير فى حياة امارة ابو ظبى او فى تاريخ ساحل عمان حتى لقبه الجميع اجلالا وتقديرا " بزايد الكبير " بعد ان اصبح بلامنازع اقوى شيوخ الامارات المتصالحة وتقدمت البلاد فى عهده الى مصاف القوى الكبرى بفضل ادراكه للمتغيرات السياسية فى المنطقة " .

خامسا : وفاة زايد عام ١٩٠٩

وفي عام ١٩٠٩ توفي زايد الكبير وزعيم بنى ياس وقائد البوفلاج وزعيم القبائل الهنائية بعد ان حكم اربعة وخمسين عاما ثم دفن فى مقبرة تقع على سفح تل رملي صغير فى منطقة " البطين " قرب مركز شرطة النجدة الان وقد رثاه الشعراء من كل حدب وصوب وهذا الزعيم الذى دانت له ابوظبى والاقسام الشمالية من

سلطنة عمان فى منطقة " الظاهرة ؛ وكانت كلمته مسموعة لدى الشرقيين فى " الفجيرة " وحكام دبى والشحيين فى منطقة رؤوس الجبال " . وبلغت القوة العسكرية لابوظبى اقصاها فى عهده ولعل بعض هذه الابيات للشاعر النبطى على بن ديين الكلبى تروى لنا لمحات براقة من مناقبه :-(٦١)

بلغ سلامى والتحية بتعريف	ولاتستوى راعى حكى هبادى
رده بالى من بيته على بوحيباين معاطيف	بوشارع بين اللحية انقادى
ياولد منته اليود والكرم والضيف	يدك على شيخ الحضر والبوادى
قم انشر وأقبل الواصيف والصيف	قم اسرحوا وانتوا هداكم الهادى
مايلحق دونه عبير مواقيت	ودونه دراويز عليها رصادى
دونه غدير السلال سوافنا طيف	وحزب البحر دونه سوى سوادى
هل بالضيوف المأخذ وأبا المساليف	ولاهانهم وقت سفينه شدادى
صلاة ربى عهد لحلام والطيف	محمد المبعوث يوم الزحامى

لقد توفى زايد الكبير وترك شؤون امارة ابو ظبى وهى مثال للأمن والنظام امانة فى ايدى ابنائه واحفاده من بعده فقد اجتمع مجلس " البوفلاج " ومعهم شيوخ واعيان بنى ياس لانتخاب الحاكم الجديد ففوضوا الأمر الى ابنه الاكبر الشيخ خليفة ابن زايد ولكنه لم يكن راغبا فى الحكم والسيادة بل كان يفضل ان يعيش هادئا فى مزارعه فى مدينة العين وضواحيها فقرر المجتمعون ان تؤول المشيخة الى ابنه الثانى طحنون ، الذى حكم ثلاث سنوات ١٩٠٩ - ١٩١٢ وبعد وفاته عرض الحكم امارة ابو ظبى على الشيخ خليفه بن زايد مرة الثانية ولكنه رفض مثلما رفضها فى المرة الاولى(٦٢) فتولى أخوه حمدان والذى حكم فى الفترة من ١٩١٢ - ١٩٢٢ وبعدها حكم الشيخ سلطان بن زايد فى الفترة من ١٩٢٢ الى ١٩٢٦ وهووالد

الشيخ زايد حاكم ابو ظبى ورئيس دولة الامارات وبعد وفاة الشيخ سلطان خلفه فى الحكم اخو الشيخ صقر بن زايد والذى حكم من عام ١٩٢٦ الى ١٩٢٨ وبعد ذلك تولى الحكم الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد اكبر ابناء الشيخ سلطان بن زايد سنا فقد حكم ثمانية وثلاثين عاما من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٦٦ ثم تولى الحكم شقيقه الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفه فى السادس من اغسطس عام ١٩٦٦ حاكم امارة ابو ظبى ورئيس دولة الامارات العربية المتحدة حاليا .

الهوامش :

١ - د . حسين محمد البحارنه - دول الخليج العربى الحديثه ص ٢٤

(2) Suzanne St. ALbans - GreenGrows The Oil - p.36

٣ - د . جمال زكريا قاسم - دولة الامارات العربية المتحدة (دراسة مسحية شاملة) ص ٤٧

(4) John Daniels - Abu Dhabi aportrait - p . 25

٥ - حمدى تمام - زايد بن سلطان ال النهيان ص ٢٤

٦ - فالح حنظل - المفصل فى تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة جـ٢ ص ٥٦٩

٧ - ج . ج لوريمر - دليل الخليج - القسم التاريخى جـ٢ ص ١١٦٤

(8) John Daniels - op . cit p 25

٩ - د. فؤاد سعيد العابد - سياسة بريطانيا فى الخليج العربى جـ٢ص ٨١ .

١٠ - د. محمد مرسى عبدالله - دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها ص ١٣٥

١١ - فالح حنظل - المرجع السابق ص ٥٧١

١٢ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٥

١٣ - دار الهلال - بلادنا العربية - ابو ظبى ص ٥٧

١٤ - كلود موريس - صقر الصحراء ص ٢٤

١٥ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٢٥

(16) : John Daniels - op . Cit . p . 25

١٧ - ج . ج لوريمر - المرجع السابق ص ١١٦٤

١٨ - فالح حنظل - المرجع السابق جـ٢ ص ٥٧٦

(19) : Calvin H . Allen . Jr - Sayyids . Shets and Suitans p . 111

٢٠ - فالح حنظل - المرجع السابق جـ٢ ص ٥٧٦

٢١ - ج . ج . لوريمر - المرجع السابق ص ١١٦٥

٢٢ - فالح حنظل - المرجع السابق ص ٥٧٧

٢٣ - فاح حنظل - نفس المرجع ص ٥٧٨

٢٤ - د . فؤاد سعيد العابد - المرجع السابق ص ٨١ .

٢٥ - جون - بى - كيلى - بريطانيا والخليج جـ٢ ص ٢١٣

٢٦ - فالح حنظل - المرجع السابق جـ٢ ص ٥٨١

٢٧ - ج . ج . لوريمر - المرجع السابق جـ٢ ص ١٠٩٤

٢٨ - فاح حنظل - المرجع السابق جـ٢ ص ١٠٩٤

(29) : John Daniels Op.cit P . 25 .

٣٠ - بالنسبة للأمور السياسية والعلاقات الدولية يمكن الرجوع الى كتابنا عن علاقة زايد بالقوى المجاوره

٣١ - مانع سعيد العتيبه - اقتصاديات ابو ظبى قديما وحديثا ص ٣٠

٣٢ - " الهيرات " جمع كلمة " الهير " وهى مناطق خصبة فى قاع البحر يتواجد فيه محار اللؤلؤ بكثرة وهى عبارة عن حقول لمحار اللؤلؤ فى مياه الخليج العربى واهم " الهيرات " توجد قرب سواحل الامارات العربية المتحده والبحرين والكويت وبعض الجزر فى الساحل الشرقى من الخليج العربى وكذلك يطلق عليه عادة " المغاصات " .

٣٣ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٣٧

٣٤ - مانع سعيد العتيبه - نفس المرجع ص ٢٣

٣٥ - مانع سعيد العتيبه - نفس المرجع ص ٢٣

٣٦ - وزارة الاعلام والثقافة - ابو ظبى فى مسيرة التقدم ص ١٠

٣٧ - مانع سعيد العتيبه -المرجع السابق ص ٣٠

٣٨ - مانع سعيد العتيبه - نفس المرجع ص ٣٠

٣٩ - عوض العرشانى - حياة زايد ص ٨٥

٤٠ - وزارة الاعلام والثقافة - المرجع السابق ص ١٠

٤١ - وزارة الاعلام والثقافة نفس المرجع ص ١٠

٤٢ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٨ .

٤٣ - مركز الوثائق والدراسات - ابو ظبى بين الامس واليوم ص ٣٢

٤٤ - مانع سعيد العتيبه - المرجع السابق ص ١٣٦

٤٥ - مانع سعيد العتيبة نفس المرجع ص ٨٢

٤٦ - مركز الوثائق والدراسات - المرجع السابق ص ٣٢ .

٤٧ - Rose marieSaid Zahlan , The Origins of the united Arab Emirats , p . x . , 111 .

٤٨ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٦

٤٩ - د . محمد مرسى عبدالله - نفس المرجع ص ١٣٦ .

٥٠ - جى - بى - كيلى - الحدود الشرقية للجزيرة العربية ص ١٥٠

٥١ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٧

٥٢ - حمدى تمام -المرجع السابق ص ٣٦

٥٣ - د . محمد مرسى عبدالله - المرجع السابق ص ١٣٧

٥٤ - عوض العرشانى - المرجع السابق ص ٨٤ .

(55) John Daniales - O P . Cit . p . 35

٥٦ - كلود موريس - المرجع السابق ص ٢٥

٥٧- كلود موريس - نفس المرجع ص ٢٥

(58) : Clarence C . Mann - Abu Dhabi p . 62

٥٩ - جى . بى . كيلى - المرجع السابق ص ١٦٤

٦٠ - حمدى تمام - المرجع السابق ص ٣٥

٦١ - حمدى تمام - نفس المرجع ص ٣٥

٦٢- حمدى تمام - نفس المرجع ص ٣٦

المراجع باللغة العربية :

١ - حمدى تمام - زايد بن سلطان النهيان - القائد والمسيرة - ابو ظبى ١٩٨١

٢ - جى .بى . كيلى - (١) : الحدود الشرقية للجزيرة العربية - ترجمة خيرى حماد - منشورات دار مكتبة الحياه - بيروت ١٩٧١

(٢) : بريطانيا والخليج - ترجمة محمد أمين - وزارة التراث القومي والثقافة مسقط ١٩٧٩

٣ - ج - ج - لوريمر - دليل الخليج - ترجمة باشراف ديوان حاكم قطر - الدوحة - الطبعة الثانية - السنة غير مكتوبه

٤ - حسين محمد البحارنه - (دكتور) دول الخليج العربى الحديثه - اصدار شركة التنمية والتطوير - بيروت ١٩٧٣ .

٥ - جمال زكريا قاسم (دكتور) دولة الامارات العربية المتحدة - معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٨ .

٦ - دار الهلال - بلادنا العربية - " ابو ظبى " - القاهره

٧ - كلود موريس - صقر الصحراء - منشورات وزارة الاعلام والثقافة - ابوظبى ١٩٧٥

٨ - عوض العرشانى - حياة زايد - القاهرة ١٩٨٠

٩ - فالح حنظل - المفصل فى تاريخ الامارات العربية المتحدة الجزء الثانى - لجنة التراث والتاريخ ابو ظبى ١٩٨٣

١٠ - فؤاد سعيد العابد (دكتور) سياسة بريطانيا فى الخليج العربى - الجزء الثانى - ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٤

١١ - مانع سعيد العتيبه - اقتصاديات ابو ظبى قديما وحديثا - مطابع التجارة والصناعة - بيروت ١٩٧٣

١٢ - محمد مرسى عبدالله (دكتور) دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها - دار القلم - الكويت ١٩٨١

١٣ - مركز الوثائق والدراسات - ابو ظبى بين الامس واليوم - ابو ظبى ١٩٦٨

١٤ - وزارة الاعلام والثقافة - ابو ظبى فى مسيرة التقدم - ابو ظبى ١٩٧٢.

المراجع الاجنبية :

(1) : Clarence .C .Mann - Abu Dhabi - khayats - beirut 1969 .

(2) : Calvin H . Allen , Jr . - Sayyids , Shets and Sultans :- politics and Iradein Masgat Under the Al Busaid , 1785 - 1914 - Ann Arbor Michigan 1984 .

(3): John Daniels - abu Dhabi a Portrait - Longman - London 1977.

(4) : Rosemarie Said Zahlan - The Origins of The United Arab Emirates.

The Macmillan - London 1978 .

(5) : Suzanne St Albans - Green Grows The Oil - London 1978 .

العرب فى مقديشو
وأثرهم فى الحياتين
السياسية والثقافية فى ظل الإسلام

للدكتور : غيثان على جريس
استاذ التاريخ الإسلامى المساعد ورئيس قسم التاريخ بكلية التربية
فرع جامعة الملك سعود - بأبها

بسم الله الرحمن الرحيم

العرب فى مقديشو وأثرهم فى الحياتين السياسية والثقافية فى ظل الإسلام

كانت الشعوب العربية هى أهم الشعوب التى اتصلت بساحل شرقى أفريقية منذ القدم ، وابقاها أثرا فى تلك البقعة من القارة، وقد ساعد على ذلك عامل القرب الجغرافى لأن العرب بصفة خاصة هم أقرب الشعوب دون غيرهم من شعوب آسيا، فهم يواجهون ساحل شرقى أفريقيه مما ساعد على كثرة التردد بين سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية بصفة خاصة وبين شرقى افريقية، كما ساعد نظام الرياح الموسمية فى المحيط الهندى على كثرة الهجرات لأن العرب نظموا رحلاتهم وفقا لنظام هذه الرياح، فكانت لهم رحلتان فى العام . وهناك العامل الأساسى الذى دفع العرب لارتياد سواحل شرقى أفريقيه، كما دفع غيرهم من الشعوب الآسيويه وغيرها وهو الأهمية الاقتصادية لشرقى افريقيه وما فيه من سلع وثروات .

ولقد كان لدول عرب الجنوب معين من حوالى (١٣٠٠ - ٦٥٠ ق.م) وسبأ (حوالى ٩٥٠ إلى حوالى ١١٥ ق.م) ثم دولة حمير (١١٥ - ٥٢٥ م) ، كان لهذه الدول النشاط الكبير فى الحركة التجارية البحرية والبرية، كما عملت هذه الدول على تنظيم طرق القوافل وتأمينها داخل الجزيرة العربية . كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير فى ازدهار التجارة، وقد نوه القرآن الكريم برحلات قريش التجارية، وكان عرب الحجاز قد تمكنوا من السيطرة على ناصية التجارة بعد تدهور عرب الجنوب منذ القرن السادس الميلادى، وكان من نتيجة هذا النشاط العربى تقدم فنون الملاحة

وبراعة العرب فى هذا المجال. كما أن البحار الجنوبية صارت مألوفة ومعروفة عند العرب، وقد وصفها الرحالة الجغرافيون أدق وصف ، كما وصفوا نشاط العرب البحرى والتجارى، ومن هؤلاء ياقوت الحموى[١] والمسعودى[٢] .

تدفقت الهجرات العربية إلى شرقى افريقيه فى العصر الإسلامى لأسباب دينية وسياسية، فضلا عن العامل الاقتصادى الذى كان مسيطرا على معظم الهجرات. وقد أشارت الروايات أن الصومال عرفت الإسلام منذ ظهوره، ومع ازدهار الإسلام كدين ودولة ازداد النشاط البحرى وتوافدت على سواحل الصومال مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وفرس وغيرهم لانشاء مراكز عربية اسلامية ثابته لنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بين القبائل الافريقية فى سواحل الصومال الشمالية والجنوبية المطلة على المحيط الهندى، بل استطاع العرب المسلمون التوغل إلى داخل هذه البلاد لنشر الإسلام واللغة العربية بين قبائل الداخل ، وذلك بعد أن قام العرب بتأسيس مدينة مقديشو التى أصبحت مركز انطلاق جنوبا وإلى الداخل[٣] كما سيجىء تبيان ذلك .

تتابعت الهجرات العربية لنشر الإسلام فى الساحل الافريقى الشرقى منذ عهد الخلفاء الراشدين وازدادت أيام الأمويين والعباسيين، ونذكر من هذه الهجرات على سبيل المثال لا الحصر، هجرة الخوارج الذين حاربهم على بن أبى طالب وهزمهم فى موقعة النهروان[٤]. وهجرات بعض العرب الأمويين الذين اشارت الروايات بأن عبد الملك بن مروان هو الذى أرسلهم إلى تلك الجهات لتأسيس المراكز الإسلامية. وقد أفاضت الروايات فى ذكر هجرات الأمويين إلى الساحل، وأشارت إلى أن عبد الملك عندما تناهى إلى مسامعه أخبار الهجرات العربية إلى أفريقيه أرسل أخاه حمزة لنشر

الدعوة الإسلامية ومد محاولة نفوذ الأمويين فى الصومال . وفى رواية أخرى أن ابنه جعفر هاجر إلى شرقى افريقيه وحكم فى منطقة كيوايو Kiwayu (فى جنوب مقديشو فى ارخبيل لامو) وتوفى بها[٥] .

وتنسب الروايات تأسيس الامارات العربية الأولى فى شرقى افريقيه لعهد عبدالملك بن مروان ورجاله الشاميين الذين تسميهم الروايات بالشاميين Mashami أو الواشامى Washami، ويظهر أنهم وصلوا إلى شرقى افريقيه فى مجموعات صغيرة حوالى ٧٠٠ م أو قبله بقليل . وطبقا لما ورد فى الرواية أن عبد الملك هو العامل الأساسى الذى دفع العرب لتأسيس امارة عربية فى لامو Lamu . ويذكر ستايقند Stigand أن عبد الملك بن مروان قام بانشاء امارات عربية على ساحل شرقى افريقيه عندما أرسل مهاجرين سوريين عام ٧٧ هـ (٦٩٦م) لمد نفوذ الأمويين هناك[٦]. وقد نجح هؤلاء المهاجرون فى تكوين مدن تطورت وأصبحت امارات عربية هامة مثل بيت Pate أو باتا Pata ، ومالندى Malindi وممبسه Mombassa زنجبار Zanzibar . ويواصل صاحب كتاب «أرض الزنج The land of Zing» حديثه ويضيف بأن الروايات قد ذكرت بأن المراكز التالية أنشأها عبدالملك بن مروان وجعل على كل واحدة منها وليا عربيا يحكمها نيابة عنه وهى كما يلى: براوه Brâwa تيولا Tula - أموى Omui - كيزمايو Kismayu قمبى Vambi - كوياما Koyama - شانقا Shanga - پازا Paza - بيت Pate ولامو Lamu[٧]. وما زال اسم عبدالملك بن مروان يذكر فى تلك الجهات لدرجة أن السكان قد حرفوا اسمه، فمثلا ينطقون عبدالمالك، أو ابن مروانى ومرد ذلك ، ضعف اللغة العربية وظهور اللغة السواحيلية[٨] .

وفى أواخر عهد الدولة الأموية كانت هجرة الزيود عقب مقتل زيد بن على زين العابدين عام ١٢٢ هـ (٧٤٠م) فرارا من اضطهاد بنى أمية لهم، وعرف هؤلاء بالزيديه. واستقرت هذه الجماعات كما أشارت المصادر فى ساحل بنادر الصومالى وحكموا فيه ما يقرب من المائتى سنة، ونشروا الإسلام بين قبائل بنادر، كما اصلحوا الأراضى، وزرعوا بعض النباتات التى أرفدتهم بثروات طائلة، ودرت عليهم أموالا هائلة. بل وتوغل الزيديه إلى داخل الأراضى الصومالية ونشروا الإسلام بين قبائل انهار جوبا وشبيلى من بينها قبائل الجالا التى اعتنقت الإسلام بحماس كبير بدليل أن كثيرا من الصوماليين من أفراد هذه القبائل قد أصبحوا فقهاء ووعاظاً واضطلعوا بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية (٩) .

تأسيس مقديشو :

إلا أن الذى يهمنا فى هذا الجانب هو وصول أكبر الهجرات العربية والإسلامية إلى ساحل الصومال المعروف بساحل بنادر، وأعنى بهذه الهجرة، تلك الهجرة التى حدثت خلال العصر العباسى والمعروفة بهجرة الأخوة السبعة . فقد هاجرت هذه الجماعة العربية فى بداية القرن العاشر فى حوالى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) من الأحساء عاصمة دولة القرامطة(١٠) والاخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية، جاءوا فى ثلاث سفن محملة بالرجال والعتاد الحربى. وقد نما إلى علم هذه الجماعة العربية أخبار الجماعات العربية التى سبقتهم إلى ذلك الساحل، وربما سمعوا عنها من التجار أو من جنود سعيد الجنابى، وقد كان فى صفوفهم جند من الزنج والأرقاء الذين جاءوا إلى الجزيرة العربية والعراق فى فترة من الفترات. ولذلك قررت هذه

الجماعات العربية أن تحذو حذو الهجرات العربية التى سبقتها، يراودهم الأمل العريض فى تكوين وطن جديد، وقد تحقق لهم ما أرادوا بفضل جهودهم[١١] .

إستولى الأخوة السبعة على كل سواحل بنادر بعد أن قاموا بتأسيس مدينة مقديشو التى جعلوها عاصمة لدولتهم الجديدة، فامتد نفوذهم حتى جنوبى ممبسه، وربما وصلوا إلى جزيرة مدغشقر. وقد وصف المسعودى هذه الجزيرة، وذكر أن فيها قوما من المسلمين، غلبوا على هذه الجزيرة، وسبوا من كان من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى[١٢] .

لم تمضى فترة طويلة على إستقرار هذه الجماعات العربية، حتى أصبح كل الساحل شافعيا على المذهب السنى، وذلك بعد أن اصطدم الاخوة السبعة بالزيديه الشيعة الذين اضطروا للانسحاب إلى الداخل. ولا يزال المذهب الشافعى هو السائد فى بلاد شرقى افريقيه. وقد اكتفى هؤلاء العرب على بسط نفوذهم فى المنطقة الساحلية فقط إذ أن الداخل لم يكن معروفا لديهم، أما لأنهم يجهلونه، أو لصعوبة التوغل، فسيطروا على الساحل ريثما يتم لهم كشف مجاهل افريقيه المختلفة[١٣] وكان من نتيجة هذه الهجرة الأخيرة أن بسطت مقديشو نفوذها، وساعدت العرب المسلمين على انشاء مواطن استقرار على طول الساحل الممتد من مقديشو فى الشمال إلى مدينة سوفالا فى الجنوب[١٤] .

لقد حكم الأخوة السبعة هذا الساحل فترة لا تقل عن السبعين عاما، وإليهم يرجع الفضل فى انشاء مدينة مقديشو - كما سبق القول - فظلت هذه المدينة تتزعم الحركة الإسلامية والمد الإسلامى فترة طويلة خلال العصور الإسلامية المختلفة فى ذلك الجزء. وفى الوثيقة العربية التى عثر عليها البرتغاليون فى مدينة كلوة Kilwa

(فى تنزانيا حاليا) عام ٩١٠ هـ (١٥٠٥م) أمكن معرفة الأخبار الهامة عن مدينة مقديشو فى القرون الأولى للهجرة ، منها أخبار البعثات العربية الإسلامية القادمة من الاحساء على ثلاث سفن بقيادة سبعة أخوة نزلوا فى ساحل الزاهيه (بنادر) وقاموا بتأسيس مدينتي مقديشو وبراوة [١٥] . وهاتان المنطقتان من أول المناطق التى وطأتها أقدامهم، وطاب لهم فيها المقام. وخضع لنفوذهم فى فترة وجيزة كل الشريط الساحلى الممتد من مقديشو حتى ممبسه، لدرجة أنهم وصلوا أماكن لم يصلها العرب من قبلهم، وقد كان الأخوة السبعة من عرب الاحساء[١٦] .

وجاء أيضا فى وصف دى باروس De Baros لمقديشو، أن تأسيسها قد تم على أيدى جماعة عربية من الاحساء هم جماعة الاخوة السبعة، وأصبح لها وزنها وكيانها، ولها نظمها. وأصبحت مقديشو مركزا يتجمع فيه كل المسلمين الوافدين إليها من كل جهات الساحل، وهى أول امارة تحاول بسط سيطرتها ونفوذها التجارى على طول الساحل جنوبا حتى سوفالا[١٧]. وتذكر الرواية كذلك بأن تاريخ تأسيس مقديشو ربما كان فى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) . وتضيف الرواية أن على بن حسن الشيرازى مؤسس سلطنة الزنج الإسلامية فى كلوة عام ٩٧٥/٩٧٦م قد مر بمقديشو فعلا، إلا أن المقام لم يطب له فيها، لوجود جاليات عربية متعددة، فواصل زحفه حتى وصل إلى جزيرة كلوه حيث أسس له دولة إسلامية هناك، كان العنصر الفارسى فيها هو دعامتها وسندها. ويذكر أيضا أن بعض المهاجرين العرب قد هاجروا من عمان إلى ساحل أفريقيه الشرقى، وأن قبيلة الحارث من عمان أدعت تأسيس مراكز لها فى مقديشو وبراوة[١٨] .

ومهما يكن من أمر فإن مدينة مقديشو أسسها جماعة الاخوة السبعة من قبيلة

الحارث العربية من الاحساء فى الطرف الغربى للخليج العربى، وقد وصلوها فى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) وذكر ياقوت أن مقديشو مدينة فى أول بلاد الزنج فى جنوب اليمن فى بر البربر فى وسط بلادهم[١٩].

ويقول أبو الفداء أن مقديشو تطل على بحر الهند وأهلها مسلمون، ولها نيل عظيم يشبه نيل مصر في زيادته في الصيف. وقد ذكر أنه يخرج شقيقا لنيل مصر من بحيرة كورا، ويصب بالقرب من مقديشو فى بحر الهند. ومقديشو مدينة كبيرة من الزنج والحبشة، قال ابن سعيد عن مقديشو: ومن شرقى خافونى بالنون فى الآخر المشهور على البحر مدينة مركه وأهلها مسلمون وهى قاعدة الهاوية التى تزيد على خمسين قرية، وهى على شطى نهر يخرج من نيل مقديشو، ويصب على مرحلتين من المدينة فى شرقيها، ومنه فرع يكون خورا لمركه، وفى شرقى ذلك مدينة الاسلام المشهورة فى ذلك الصقع المترددة على ألسن المسافرين وهى مقديشو[٢٠] .

وموقع مقديشو من أصلح مواقع الساحل لرسو السفن. وقد عرفه المصريون القدماء، وأهل بابل وآشور. والفينيقيون والرومان وكان يعرف عند الاغريق منذ ألفى عام باسم سيرابيون Serabion[٢١] . وعرف فى العصور الوسطى باسم حمر Hamer وقد أتاح لها هذا الموقع القريب من خليج عدن التحكم فى مدخل البحر الأحمر إلى حد كبير، والسيطرة على الحركة التجارية فى المحيط الهندى. فكانت ترد لهذه النقطة سفن الجزيرة العربية محملة بأنواع المنتجات والسلع، وتأتى سفن الهند وغيرها من بلدان آسيا عبر المحيط الهندى، وتنقل هذه المنتجات إلى الحبشة وعبر البحر الأحمر إلى مصر شمالا وجنوبا حتى سوفالا[٢٢] .

وتتضارب الآراء نحو تفسير اسم المدينة «مقديشو» ، فمن قائل أنها من كلمتين

عربية وفارسية وهما (مقعد + شاه) ، اشارة إلى المكان المفضل الذى اتخذه الحاكم مقرا لحكمه، ونطق الكلمتين معا[٢٣] . أو نسبة للمكان الذى اتخذه الشيخ مكانا لجلوسه (مقعد الشيخ)[٢٤] والبعض يقل أن كلمة مقديشو معناها المكان الذى تتجمع فيه الأغنام للبيع[٢٥] وعبر عنها الرحالة الغربيون بأسماء مختلفة مثل: موجوديشيو Mougidishu وموجود سكوا Mougoudiskua - وموجاديشوا Mougadishu ومقدشيكو Makdishiku ومقد يكسو Magdiksu[٢٦]، أو مجدكسو Magdiksu [٢٧]، وكل حسب نطقه[٢٨] .

أما عن أقسام المدينة وأحيائها، فقد كانت مقديشو فى بداية نشأتها تتكون من ضاحيتين أساسيتين هما ضاحية حمروين، وضاحية شنغانى [٢٩]. وكانت ضاحية حمروين تمتد على طول الساحل من كران إلى ساحل حمر، أي المكان المعروف باسم حمر جب[٣٠]. أما ضاحية شنغانى، فهى مشتقة من اسم حى كان فى نيسابور ببلاد فارس، وقد سميت بهذا الاسم تخليدا لذكرى أهل نيسابور القاطنين بمقديشو. وكلمة حمروين، مركبة من كلمتين عربية وصومالية: فحمر معناها ذهب، وكلمة وين معناها بالصومالية كثير أو كبير[٣١] .

شكل الحكومة :

واجهت جماعة الأخوة السبعة العربية فى بداية أمرهم على الساحل بعض الصعوبات أهمها أن الزيديه الشيعة الذين كانوا قد سبقوهم، واستولوا على أجزاء من ساحل بنادر واستوطنوا حول ارخبيل لامو قد بدأوا فى نشر مبادئهم وأفكارهم، ولا سيما وأنهم كانوا من الشيعة المتعصبين لهذا المذهب، بينما كان الأخوة السبعة

على المذهب السنى الشافعى. وقد دافع الزيود عن عقيدتهم دفاع المستميت، وحاربوا جماعة الاخوة السبعة بكل ضراوة ، إلا أنهم غلبوا على أمرهم فى النهاية وهزموا أمام الاخوة السبعة أخيرا عام ٣٣٠ هـ (٩٤٨م)[٣٢] .

وبعد أن تغلب الأخوة السبعة على الصعاب التى واجهتهم فى بداية أمرهم، بدأوا فى وضع الأسس والتشريعات المختلفة التى تكفل لهم الاستقرار والحياة الكريمة. فتكون مجلس من كبار العرب، وأعضاؤه اثنا عشر شخصا يرأسهم شيخ لا يحمل لقب سلطان أو ملك، ويسمى هذا المجلس باسم «مجلس المدينة» ، وكان هذا النظام أفضل نظام طبقه العرب المسلمون فى ساحل بنادر فى العصور الوسطى، ويتمتع هذا المجلس بكل السلطات، وله حق النظر فى القضايا المدنيه والجنائية وفض المنازعات. وكان بجانب هذا المجلس مجالس فرعية فى كل حى من أحياء المدينة، وهى فى شكل طائفة تخضع لشيخها الذى يتولى أمرها، ويقوم باكرام الغرباء وقضاء حاجاتهم[٣٣] .

وباتساع المدينة حدث ترابط بين السكان العرب والصوماليين، وبموجب اتفاقية ابرمت فى القرن العاشر بين العرب والفرس من جهة، والقبائل الصومالية من جهة أخرى، تكون اتحاد على صورة مجلس من الاشراف وأعيان القبائل للنظر فى أمور البلاد . والقبائل التى تكون منها ذلك الاتحاد كانت نحو تسع وثلاثين مجموعة وهى مجموعة قبائل عربية وفارسية وافريقيه تفاصيلها كالآتى :

اثنى عشر عشيرة من قبيلة مكرى Mukri ، واثنى عشر من قبيلة جيداتى Djidati ، وستة من أكابى، وستة من الاسماعيلى، وثلاثة من عفيفى Afifi [٣٤].

كان اختصاص هذا المجلس هو حفظ الأمن، وتطبيق العدالة بين الجماعات،

ووضع حد لهجمات بعض القبائل الرعوية الصومالية على التجار من العرب والفرس، وبالتالى لمواجهة غزاة آخرين كانوا يأتون من البحر. وتم هذا الاتحاد بعد أن أصبحت مقديشو عاصمة لساحل بنادر الذى ضم هذه المشيخه واماراتها التابعة لها مثل مركه وبراوة التى سيجىء تفصيلهما، هذا بالاضافة إلى الأراضى المحيطة بهم. وكان يطلق على جميع هذه الأراضى (مقاديش)[٣٥] . وعرف أحيانا سكان هذه الجهات باسم سكان بنادر وبضائعهم بأسم بضائع بنادر[٣٦] .

لقد استمر مجلس هذه المشيخه والممثل فى سلطة الشورى بين العرب والفرس والصوماليين نحو أكثر من مائتى عام على ذلك النحو، حتى انتخب أبو بكر فخر الدين عام ١١٠٠م حاكما على جميع أراضى هذه البلاد، وهو من سلالة الأخوة السبعة بتعضيد من قبيلة بنى قحطان العربية التى أصبح لها النفوذ والسيادة، وبذلك أصبح اعلان سلطنة أبى بكر فخر الدين الوراثيه نهاية لعهد الادارة الفدراليه والمتمثل فى مجلس المدينة الذى سبقت الاشارة إليه[٣٧] . وفى عهد أبى بكر فخر الدين احتفظت قبائل قحطان ومكرى بنفوذها ومكانتها الدينية الممتازة، لأن قاضى الوحدة قبل قيام السلطنه التى أسسها أبو بكر فخر الدين كان يختار من بين أبناء هاتين القبيلتين. وبفضل قبائل قحطان ومكرى استطاع أبو بكر فخر الدين أن يقيم سلطنة وراثيه فى مقديشو، كما أقر السلطان أبو بكر قبائل مكرى على امتيازاتها[٣٨]. وقد استمر حكم أبى بكر فخر الدين سبعة عشر عاما حتى توفى عام ١١١٧م[٣٩] .

امارات المشيخة :

كان امتداد مقديشو واتساعها قد غطى على جميع أجزاء الساحل المعروف بساحل الزاهيه (بنادر) ، وذكرت الوثيقة أن سكان مقديشو أول من وصل إلى بلاد سفاله فى موزمبيق، وأن سفنهم كانت تتردد على بلاد سفاله (سوفاله) Sofala لاكتشاف مناجم الذهب الموجودة فى تلك الجهات واستغلالها. وأشارت الوثيقة أيضا إلى هجرات قوامها من الفرس المسلمين جاءت إلى مقديشو حاملة معها معالم حضارة فارس(٤٠) .

أما أكبر الامارات التى خضعت لسيادة مقديشو وسيطرتها فهى مركه Maraka التى خضعت لسيطرة الأخوه السبعة ونفوذهم منذ الوهلة الأولى. ومركه من مجموعة المدن العربية التى نسب تأسيسها ستايقند Stigand إلى عبد الملك بن مروان (٤١). حتى إذا جاء الاخوة السبعة إلى الساحل جعلوها من أكبر مدنهم السياسية. وحتى يومنا هذا توجد طوائف فى مركه تدعى انتمائها إلى الأخوة السبعة(٤٢). ويقول أبو الفداء عن ابن سعيد أن مركه أهلها مسلمون(٤٣) . ومن الواضح أن سكان مركه اعتنقوا الاسلام بالقرب من حافون(٤٤) .

ومما يذكر أن جماعة الأخوة السبعة أتوا فى مراكب شراعية ورسوا فى ساحل مركه، وشيدوا لهم مسجدا صار فيما بعد مركزا لكثير من الأسر الصوماليه. وتتابعت هجرات العرب لتلك الجهة، حتى أن الكثير من الأسر الموجودة حاليا تدعى نسبها إلى الجماعات الأولى التى جاءت إلى مركه من بلاد العرب ، كما هو الحال عند كثير من الأسر فى الوقت الحالى فى كل من براوة ومقديشو(٤٥) . ومن المحتمل أن مدينة مركه قامت كمركز تجارى يقع على الطريق بين شمال وجنوب

الصومال، وأن سكانها كانوا فى بداية الأمر من العرب ثم صارت تمتلىء بالعنصر الصومالى فى كل مكان[٤٦] .

وتتمتع مدينة مركة الجميلة النشيطه بمركز ممتاز لموقعها الجغرافى وكثرة خيراتها. وفى الوقت نفسه تقع على الطريق البحرى التقليدى بين زنجبار وبلاد العرب. وقد حققت مركه مكاسب كثيرة للاسلام فى شرقى افريقيه، بالاضافة إلى المساهمة الفعالة فى نشر الدعوة الإسلامية على طول الساحل الصومالى وفى الأقاليم الداخلية[٤٧] .

أما امارة براوة Brawa فهى الأخرى امارة عربية خضعت لحكم الأخوة السبعة وجماعتهم من بعدهم. واجمعت بعض الروايات أن الذين اسسوا براوة هم جماعة عبد الملك بن مروان من السوريين المهاجرين[٤٨]، ثم جاء الأخوة السبعة من بعد ذلك وأضافوا عليها فنونهم، ثم توسعت المدينة فى عهدهم، فانتشر العمران واتسع البناء[٤٩]. وبراوة تقع فى شمال نهر جوبا وجنوبى مركه. وهذه الامارة لم يذكرها أحد من جغرافى العرب أو رحالتهم، وهى مدينة هامة كانت تعتمد عليها مقديشو فى أنها تلعب دور الوسيط بينها وبين الامارات العربية فى جنوبها .

وتنقسم مدينة براوة إلى عدد من الأحياء هى : بغداد، البمبا، بيرونى، سابى، وبلوبازى ، وأكثر منازلها من الحجارة البيضاء ، ومن طابق إلى ثلاثة أحيانا ، ومياؤها عذبه[٥٠] . وفى مسجد براوة نقشا يتضمن تاريخا يرجع إلى القرن التاسع الهجرى[٥١]. ويقال أن أول من سكنها رجل من قبيلة قرة يدعى (أو على) وصلها حوالى عام ٩٠٠م، وكانت براوة فى ذلك الوقت منطقة موحشه غابيه لا تسكنها إلا الوحوش الضارية، غير أن أو على أعجب بطيب هوائها على ساحل البحر، فاستعان

بالمواطنين الأوائل فى قطع اشجارها واعشابها، واقام بها عددا من المساكن أطلق عليها براوة بن أو على[٥٢] . ويقال ان هذا الاسم كان يطلق على ملك الجالا براوات[٥٣] وهناك رواية أخرى تشير إلى أن بعض أفراد قبيلة حاتم الطائى فى الجزيرة العربية قد استوطنت براوة فى فترة من الفترات، وقد وصلت إليها عام ٩٠٠م ، وقد ازداد سكان المدينة بوصول جماعات أخرى منها جماعات صومالية مسلمة عرفت باسم التن من سكان الساحل، وعمروا المساجد، وأقاموا كثيرا منها فى الداخل. ثم توافدت عليهم جماعات وردان أى الجالا، وقد قدموا مع ملكهم براوات. وأقام الجالا جنبا إلى جنب مع المسلمين نحو ثلثمائة عام. وكان بالقرب من براوة جماعة الأجوران (قبائل زنجية) التى امتد نفوذها على بعض أجزاء براوة، فاعلن التن الحرب عليهم، وكان للتن الانتصار على الاجوران. وانتهت المفاوضات بينهما على أن يبقى الاجوران فى الجانب الشرقى، ويحتل التن الجانب الغربى له، كما تعاهدوا فيما بينهم على ألا يدخل البلاد غير الحيوانات، وما عدا ذلك فكل قادم مصيره القتل. إلا أن تلك الاتفاقية لم يكتب لها الدوام كثيرا، إذ وصلت جماعة من الحمرانيين الصومال على سفن إلى براوة، وسكنوا مع التن فى سلام ومحبة[٥٤] .

اضمحلال سلطنة مقديشو :

منذ نهاية القرن العاشر بدأت مشيخة مقديشو فى التدهور والانحلال نتيجة الانقسام الداخلى فى حكومتها المركزية، هذا بجانب ضعف الروح العسكرية، وتفكك القوات، حتى إذا جاء الشيرازيون الفرس إلى الساحل لم يجدوا سوى قوة

عسكرية ضعيفة، ومشيخة تمزقها الخلافات، فضلا عن عدم اتحاد امارات المشيخة ووقوفها قوة واحدة ضد الشيرازيين الفرس الذين وصلوا إلى مقديشو ومركه وبراوة تحت زعامة على بن حسن الشيرازى، وتمكنوا من الاستيلاء على هذه الامارات فى سهولة ويسر، ثم واصلوا زحفهم جنوبا إلى كلوة حيث أسسوا سلطنة الزنج الإسلامية. إلا أن الشيرازيين الفرس ابقوا على كل النظم الموجودة فى تلك البلاد التى استولوا عليها دون تغيير، واكتفوا بوضع حاميات عسكرية قوية وفرضوا على تلك المدن الجزية التى تدفع بسنويا. ولم يقدر للشيرازيين الفرس البقاء فى مقديشو ومركة وبراوة بل زحفوا جنوبا، وذلك لأن تلك المناطق التى تركوها لم تكن صالحة لاستقرارهم، إذ أن الأمطار لم تكن غزيرة، فأبحروا جنوبا إلى كلوة وأسسوها[٥٥].

وفى القرن الرابع عشر جاءت أسرة المظفر وهى من قبيلة بنى نبهان العربية الذين كانوا يحكمون فى عمان وعاصمتها مسقط، وقد أصابها الاضمحلال والتفكك، وذلك عندما قامت بعض القبائل العربية الأخرى بطردها عن حكم مسقط، فأدى ذلك إلى فرار سليمان بن المظفر إلى ساحل شرقى افريقيه حيث أسس امارة عربية فى بيت Pate عام ٦٠١ هـ (١٢٠٣م) ، واستطاعت هذه الامارة أن تبسط سيطرتها على مقديشو حوالى ٧٤٠ هـ (١٣٣١م) وان تخلف أسرة فخر الدين التى خضعت لسلطان الشيرازيين منذ عام ٩٧٦م. وكان الرحالة ابن بطوطه قد زار مقديشو فى عام ١٣٣٠م / ١٣٣١م وذلك فى أثناء حكم ابى بكر بن الشيخ عمر بن المظفر، وذكر وصفا ضافيا لأحوال مقديشو الاجتماعية[٥٦] .

وفى عهد هذا الشيخ بلغت مقديشو ذروة مجدها فى القرن الرابع عشر الميلادى، ووصفها ابن بطوطة بأنها متناهية فى الكبر ولها صلات اقتصادية وثيقة مع مصر.

وقد ظلت مقديشو أقوى مدن الساحل فترة من الزمن، وذكرت في حوليات الصين ولاسيما في عهد أسرة منج Ming ، وتجارتها مع الصين رائجه . ولاحظ فاسكو داجاما أنها مدينة عظيمة(٥٧) . وفي عهد السلطان أبي بكر بن عمر انتظمت أمور البلاد، وعم الرخاء ، وامتد نفوذ مقديشو التجاري الذى كان يضم مركه وبراوة كذلك حتى سوفالا فى أقصى جنوب الساحل .

لما وصل البرتغاليون إلى الساحل الشرقى لافريقيا، وتأكد لداجاما أهمية هذا الساحل، بدأوا فى توجيه ضرباتهم إلى المدن العربية والإسلامية على طول هذا الساحل، فاستولوا على كلوة عاصمة سلطنة الزنج، ثم واصلوا زحفهم شملا حتى وصلوا إلى مقديشو التى تعرضت لضربات البرتغاليين، ذلك أن البرتغاليين عندما وصلوا إلى مقديشو عام ١٤٩٨م وجهوا نيران مدافعهم نحو هذه المدينة وذلك فى أيام الشيخ فخر الدين حاكم مقديشو، إلا أن البرتغاليين لم ينجحوا فى الاستيلاء عليها بفضل حصونها المنيعة، ومقاومتها العنيدة الباسلة، مما جعل البرتغاليين ينصرفون عنها بسرعة(٥٨) .

لقد كانت الأحوال فى مقديشو تختلف عن غيرها من امارات الساحل، فقد قاومت جميع المحاولات التى بذلها البرتغاليون لاخضاعها، ولا سيما حينما حاولت البرتغال فى عام ١٥٠٧م غزوا مقديشو بكل ما لديها من قوة وامكانيات. إلا أن مقديشو قاومت كل محاولات البرتغاليين اليائسه بفضل وجود العنصر العربى الذى ساعد على المقاومة، بالإضافة إلى أنها تمتعت بمناعة أسوارها وحصونها، واشتهرت بثروتها الضخمة وكثرة عدد سكانها، فلذا كانت مركزا للمقاومة طيلة المائتى سنة التى قضاها البرتغاليون فى هذا الساحل. وفى المرات القليلة التى حاول فيها

البرتغاليون ضرب مينائها بالمدافع والنزول بها، صمدت هذه المدينة الباسلة ، وكان دفاعها قويا وصامدا. وذكرت المصادر البرتغالية بأن مقديشو من أقوى امارات الساحل، وتدعمها قوات ضخمة من الفرسان. لذلك كانت مقديشو هى المشيخة الوحيدة التى لم يستطع البرتغاليون اخضاعها، بل كانت تناصبهم العداء طوال مدة اقامتهم على الساحل(٥٩). وكان شيوخ مقديشو ورؤساء القبائل فيها قد بعثوا برسائل منهم إلى سلطان عمان، صاحب أقوى بحرية فى مياه البحار الشرقية يطلبون منه حق الإسلام والجوار، وذلك عندما تزايد الضغط البرتغالى على مقديشو، فكانت استجابة سلطان عمان سريعة وحازمة، إذ قدمت قوى بحرية عمانية بقيادة الأمير سالم الصارمى عام ١٠٦٧هـ (١٦٤٠م) لمعاونة اخوانهم مسلمى مقديشو وملحقاتها، وابعاد النصارى البرتغاليين عن تلك السواحل. فكان الانتصار لقوى المسلمين، والهزيمة للقوى البرتغالية. وقام أهل مقديشو بتنصيب الأمير سالم الصارمى سلطانا على مقديشو وملحقاتها فترة من الزمن لتنظيم أمورها. وقد ارتبطت سلطنة مقديشو منذ ذلك التاريخ بسلطنة عمان اقتصاديا وسياسيا وحربيا، كما كان لأئمة مسقط وسلاطينها نفوذ فى منطقة بنادر وعاصمتها مقديشو حتى مطلع القرن الثامن عشر(٦٠) .

معالم الحضارة والثقافة الإسلامية فى مقديشو :

كانت القبائل العربية التى هاجرت إلى مقديشو وملحقاتها تحمل معها دينها ولغتها، وكانوا يختلطون بالسكان وينقلون إلى لغات هذه البلاد الكثير من كلماتهم خصوصا ما كان منها متعلقا بأمور الدين. وقد ظلت اللغة العربية هى لغة التسجيل والتدوين والمراسلات فى العهد والاتفاقيات وغير ذلك سواء فى الساحل أو مع الدول الخارجية .

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربى هو القلم المعروف فى الساحل دون غيره. والمعروف أن أسس الثقافة هى طريقة التعبير إلى اللغة، واللغة العربية اختلطت بلهجات قبائل الساحل الافريقيه عشرات القرون، وتوالد عنها لغة جديدة هى اللغة السواحيلية، كما أصبح الدين الإسلامى أساسى التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية .

وحظيت علوم الدين بنصيب وافر من العناية والخدمة فى الصومال وأثيوبيا، وقد عنى أهلها بكتاب الله حفظا وتجويدا وتفسيرا، فقد كان حظهم من هذه العلوم كبيرا كما كان نصيب اللغة العربية جزيلا وافرا، وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم، وتركت أثرها القوى فى الساحل الصومالى وخاصة حول لامو[٦١]. وصارت براوة[٦٢] بالقرب من مقديشو كجزيرة عربية كعبة المعرفة، ويأتى إليها طلاب العلم من الأماكن النائية لشهرة علمائها وتفوقهم فى الدين. وقد حملت مساجدها اسماء الخلفاء عمر وعثمان وعلى، وانتشر بها شيوخ الصوفيه ومنها القادرية والادريسيه والزيلعيه والاحمدية[٦٣] . ومن ثم اعتبرت براوة. كعبة المعرفة والهداية فى ساحل بنادر واجزاء الساحل الأخرى، وأصبح فى براوة وحدها أكثر من خمسة وعشرين

مسجدا عدا الزوايا فعددها كبير[٦٤] .

لقد نفخ المسلمون فى سكان الصومال حب الأدب وفنون الشعر، وخرج هولاء شعراء وخطباء مفوهون، وأصبح لهم أدبا يعتزون به. وبرز كثير من العلماء والشعراء والأدباء باللسان العربى كالفقيه البليغ فخر الدين أبى عثمان بن على بن محمد البارعى الزيلعى الذى قدم القاهرة من مقديشو فى القرن الرابع عشر، ونشر الفقه فيها ومات بها، وله كتاب سماه «شرح كنز الوثائق» ومن المؤرخين الصوماليين باللسان العربى شهاب الذين الملقب بعرب فقيه وله كتاب فتوح الحبشة[٦٥]. ومن الأدباء البارزين عبد الله منير الزيلعى[٦٦] .

أما عن أشهر دعاة الإسلام فى مقديشو خلال فترة العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثامن عشر فنذكر منهم على سبيل المثال، الشيخ أبادير التى تذكر عنه حوليات مقديشو أنه جاء من الجزيرة العربية فى خلال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) واستقر فى مملكة عدل (زيلع) ثم دخل هرر التى أصبحت بفضل جهوده قاعدة اسلامية لنشر الدعوة فى الصومال واثيوبيا. ويذكر ابن حوقل ان أهالى زيلع، كانوا مسيحيين فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى، ولكن أبا الفداء يذكر أنهم كانوا مسلمين فى القرن الرابع عشر، وقد يكون هذا التحول إلى الإسلام بفضل الشيخ أبادير الذى بشر بالإسلام، ودعا إليه بين أهل زيلع فى القرن العاشر[٦٧] .

ومن دعاة الإسلام كذلك أربعة وأربعون شيخا وفدوا من حضرموت إلى مقديشو وبراوة ومركة لنشر الدعوة الإسلامية، فنزلوا أول مرة فى مدينة بربرة على ساحل الصومال الشمالى، واستقروا بها فترة قصيرة، ثم نزلوا جنوبا إلى مقديشو وبراوة ثم انتشروا فى البلاد . واستطاع أحدهم وهو الشيخ الوقور إبراهيم أبو زرباى أن يسلك

طريقه إلى مدينة هرر حوالى عام ١٤٣٠ حيث قام بنشر الدعوة وانشاء المساجد، وما زال قبره معظما فى المدينة إلى يومنا هذا[٦٨] .

أما أشهر الدعاة الصوماليين وأبرزهم، فهو المجاهد الكبير أحمد بن إبراهيم الجران (أو أحمد بن جرا الملقب بالأشول أو الأعسر) . الذى ظهر فى القرن السادس عشر، واحدث تحولا كبيرا فى نشر الدعوة الإسلامية واتسم جهاده بالبطولة والفدائية. فقد قام هذا المجاهد الكبير بتحرير الأراضى الصومالية من نفوذ النصارى الأحباش، فانطلق من مقديشو، وجعل منها قاعدة ليبدأ منها الجهاد فى سبيل الله. وبذل أحمد بن جرا جهودا جبارة من أجل توحيد الجبهة الإسلامية والقيام بغزوات على التجمعات المسيحية والمقاطعات الحبشية التى تقوم بغزو أراضى المسلمين فى الصومال بزعامة بطارقتها، بل استطاع الصوماليون بقيادة هذا المجاهد الكبير أن يصلوا إلى أبواب العاصمة الحبشية، بل وتمكنوا بقيادته أن يضموا بلاد جديدة داخل الحبشة المسيحية دخلت فى الإسلام وتحمست له. لذلك يعتبر الإمام أحمد بن جرا علما من اعلام المسلمين فى بلاد أفريقية الشرقية، ومجاهدا كبيرا فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية[٦٩] .

استمر الدعاة يتدفقون على بلاد الصومال إلى زمن قريب، ففى عام ١٨٣٠ وفدت جماعات من الوهابيين النجديين من الجزيرة العربية واستقروا فى بلدة بارديرا، وقاموا بتنظيم دعاية قوية كان لها النجاح فى حالات كثيرة إلى الإسلام. ومن المجاهدين والدعاة المسلمين نذكر أيضا المجاهد والداعية محمد عبد الله بن حسن، وهو من المجاهدين الصوماليين الذين ظهروا خلال القرن التاسع عشر، وحارب المبشرين، ودعا إلى الكفاح المقدس تحت راية الإسلام، ووحد كلمة المسلمين فى

الجهاد[٧٠] . وبالطبع يضاف إلى هذه الأدوار ، دور الطرق الصوفية التى قامت بنشر الدعوة الإسلامية، وتفسير تعاليم الإسلام، بالإضافة إلى محاربة البدع، والعمل على جعل المسلمين أخوة متحابين فى الله .

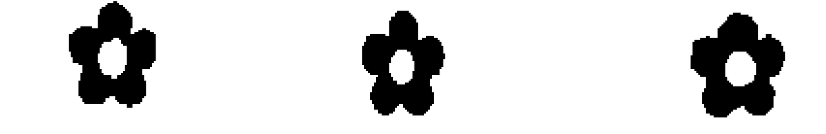
توالت الهجرات الإسلامية ودعاة الإسلام خلال عصور التاريخ الإسلامى المختلفة فخرج كثير من الصوماليين والأثيوبيين لطلب العلم، فخرجوا من مقديشو وبراوة وغيرها لطلب العلوم الدينية فى مكة والمدينة المنورة والقيروان وفاس وطرابلس والقاهرة وصنعاء. وإذا ما تحصلوا على علومهم ومعارفهم فى أحوال المسلمين، وتعاليم الإسلام، عادوا إلى بلادهم كدعاة للإسلام . وعلى ذلك ازدهرت بهم مراكز الثقافة الإسلامية فى هذه البلاد الافريقية. ونهضت بدور فعال فى نشر الثقافة والدعوة الإسلامية .

وكان لابد أن تتطور مراكز الدعوة الإسلامية مع مرور الزمن وأن تزداد الهجرات العربية الإسلامية من ناحية، ويزداد نشاط الدعاة فى الصومال واثيوبيا من ناحية أخرى، فهو عمل مشترك بين القادم الداعى وبين المستقر الموجهة إليه الدعوة، فتحولت المدن الصغيرة إلى مدن زاهرة تمثل حلقة تمتد من مقديشو فبراوة ومركه وهرر إلى أوفات وبقية الإمارات الإسلامية (دول الطراز الإسلامى) فى الحبشة. ويمكن معرفة مدن انتشار الإسلام وتلاقى هذه المراكز فى توحيد الجبهة الصومالية الإسلامية حتي أصبحت الصومال دولة اسلامية خالصة. وبالاضافة إلى المراكز الإسلامية الكبرى المشار إليها والتى نهضت بدور كبير فى حمل الثقافة والتراث الإسلامى ونقله إلى جهات مختلفة فى الساحل ثم إلى الداخل الأفريقى، وكان أثر مقديشو فيها بارزا. وظهرت مراكز إسلامية أخرى تأثرت بالنهضة الثقافية فى

مقديشو وملحقاتها، واسهمت هذه المراكز هى الأخرى بدور كبير فى الدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية ، ومن أهم هذه المراكز : حافون ووار شيخ وعظلة وكسمايو وبارديرا ولوخ وبيدوة وبربرة[٧١] .

والجدير بالذكر أن العرب نقلوا إلى هذه البلاد بالاضافة إلى ثقافتهم وتراثهم، فإنهم نقلوا أيضا نظام الشورى الإسلامى، وكانوا فى بداية أمرهم أقرب بذلك إلى نهج الخلفاء الراشدين. ففى مقديشو أدخلوا نظام الشياخة كما سبق القول، وهو نظام عربى قديم يعتمد على عراقة النسب والكرم والشجاعة والمروءة . وهذا النظام نقله الأخوة السبعة الذين أسسوا مقديشو، لذلك أصبح الحكم فى أيام الأخوة السبعة يعتمد على الشورى. وكان أساس الانتخاب لمنصب الشيخ هو السن والفضائل. يقول ياقوت عن سكان مقديشو: انما يدبر امورهم المتقدمون منهم[٧٢] . وفى وضع أخر يقول: وهم مسلمون لا سلطان عليهم، لكل طائفة شيخ يأتمرون له[٧٣]. وبجانب منصب السلطان والشيخ فى مقديشو، فقد وجدت مناصب أخرى رفيعة تلى الشيخ والسلطان من حيث الأهمية. فكان الوزير على رأس الأمراء والأعيان. وكان القاضى فى مقديشو شخصيته هامة وتلى الشيخ والوزير من حيث الأهمية والاختصاص، وكثيرا ما تولى القاضى بنفسه وظيفة الحسبه التى انتشرت انتشارا واسعا على طول هذا الساحل . وكانت مهمة المحتسب كما هو معروف الاشراف على الأسواق ومراقبة المكاييل والموازين ومعاقبة من يخل بالأمن، وهؤلاء جميعهم وعلى رأسهم الشيخ أو السلطان فى مقديشو وغيرها تحيط بهم هالة من التقديس، تظهر بجلاء فى المناسبات الدينية. كما تحيط بهم كذلك مجموعة من الوزراء والأمراء، بجانب ذكر اسم الشيخ فى خطبة الجمعة [٧٤].

فى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن سواحل افريقيه الشرقية وعلى الأخص منها ساحل بنادر (ساحل الصومال الحالى) قد كانت ومازالت جزءا هاما من دار الإسلام متميزا فى اطارها نابضا بكل ما نبضت به الحضارة الإسلامية أثناء العصور الوسطى من ألوان الحياة الفكرية والعلمية ونظمها السياسية والاجتماعية وابداعاتها الادبية والفنية، متفاعلة معطياتها فى كل تلك الأبواب مع معطيات رفيقاتها من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية. وتمتعت هذه البلاد بحضارة إسلامية راقية ونظام اسلامى للحكم سليم لأنها كانت قريبة من ينبوع الحضارة والثقافة، وعلى صلة وثيقة بموطن أرقى الحضارات الإنسانية وهى الحضارة الإسلامية .



(الهوامش)

١ - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى. معجم البلدان (بيروت، ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦م) جـ ٣ ، ص ٣٤٣ .

٢ - أبو الحسن على بن الحسن المسعودى .مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) جـ ١ ، ص ١١٢ .

٣ - راشد البراوى . الصومال الكبير حقيقة وهدف (القاهرة، ١٩٦١م) ص ١٠، حسن ابراهيم حسن. انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية (القاهرة، ١٩٦٣م) ص٢٦ - ٢٧، R. Coupland. East Africa and its Invaders (Oxford , 1938) pp. 2,15-16; R. Reusch. History of East Africa (New York, 1961) pp. 17-18 .

٤- النهروان هى الموقعة التى انتصر فيها على بن أبى طالب على الخوارج الذين انشقوا عليه فحاربهم فى آواخر سنة ٣٩ هـ وهزمهم وشتتهم فى الآفاق . حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (القاهرة ، ١٩٦٤م) جـ١ ، ص ٣٧٨ .

٥ - C.N. Stigand. The Land of Zing (London, 1913) p.29.

٦ - The Land of Zind, pp. 30ff; Reusch, History of East Africa, p. 70 .

٧ - Stigand, The Land of Zing , p. 29 .

٨ - A. Warner. art "Mombassa" , Encyç of Islam Vol. 3(2) (London, 1943), p. 552, Stigand, Op. Cit, p. 30, Reusch,

Op. Cit, P. 74.

٩ - S. Trimingham. Islam in East Africa (London, 1964) p.4.

حمدى السيد ، الصومال، ١٩٥٠م ص ٣٥٠، عبد الرحمن زكى. الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيه (القاهرة، ١٩٦٥م) . جـ١ ، ص ٧٧. انظر تفصيلات أكثر عن الزيديه، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى. تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ٤٨٢ - ٤٩١ ، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٢ ؛ ص ١٨١ .

١٠ - القرامطة ينتسبون إلى حمدان قرمط الذى تحرك بسواد الكوفة ونشر الرعب مع جماعة فى جميع أنحاء الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، وكانوا يعتقدون فى أئمة الشيعة الستة ما عدا موسى الكاظم، رغم أنهم قبلوا بأخيه اسماعيل. وكانوا فى البحرين بزعامة أبى سعيد الجنابى، وانتصروا على جيوش الخليفة المعتضد، وقتل أبو سعيد عام ٩١٣، وتولى ابنه أبو طاهر القيادة، وانقضوا على مكه فى عهد المقتدر سنة ٣١٧ هـ وقتلوا الحجاج ودنسوا الكعبة، وهب المسلمون قاطبة للقضاء على أعداء الانسانية، وانتهى أمرهم أخيرا بالقضاء على هذه الفتنة، إلا أنهم أحالوا جزيرة العرب وقسما من بلاد الشام إلى أراضى خراب. أبو الحسن على بن الكرم بن محمد الشيبانى ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، جـ ٦ ، ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١ و ص ١٧٥ - ٢٩٩ / انظر أيضا : سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ، (القاهرة ، ١٩٦٧م) ص ٢٦١ - ٢٦٦ .

Trimingham , p . 4 , Reusch, p. 87 .

١١- Reusch, Op. Cit., P.90

١٢ - مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

١٣ -Stigand, p. 30. ; J. Gray , History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856 (London 1962,) p. 11 .

١٤ -Z. March, & G.W., Kingsnorth,. An Introduction to the History of East Africa (London 1966) p.8.

١٥ - حمدى السيد ، المرجع السابق، ص ٣٥٥، انظر أيضا توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ترجمة) حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين (القاهرة ١٩٤٧) ص ٢٨٧، وانظر كذلك: عبد الرحمن زكى، المرجع السابق، ص ٧٧. انظر أيضا :

Enrico Ceruli Cart. "Makdishu" , Encyc. of Islam, Vol III , p.165.

١٦ - مروج الذهب، جـ١ ، ص ١٩٨ / راشد البراوى ، ص ١٩ . انظر أيضا :

Reusch, p. 85., Stigand, pp. 7 - 8 .

١٧ - Freeman & Crenville, The East African Coast (Select Documents from the first to the earlier Nineteenth Century (Clarendon Press 1962) p. 84 .

١٨ - Gray p. 22 .

١٩ - معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ١٢٠ .

٢٠ - عماد الدين اسماعيل بن محمد عمر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٠ - ١٦١ (مكان وتاريخ النشر بدون) .

٢١ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

٢٢ - Hamer ، معناها أرض الذهب الصومالية ، انظر : حمدى السيد ، ص٣٥٧ .

٢٣ - حمدى السيد، ص ٣٥٦ .

٢٤ - عبد الرحمن زكى - ص ٧٢ .

٢٥ - حمدى السيد ، ص٣٥٧، Reusch , Op. Cit., p. 86 .

٢٦ - حمدى السيد، ص ٣٥٧ .

٢٧ - أرنولد ، ص ٢٨٧ .

٢٨ - مقديشو (مقديشو) بالفتح، ثم السكون، وفتح الدال، وشين معجمه (ياقوت، المصدر السابق، جـ ٨ ، ص ١٢٠) ، مضبوط بالشكل كذا بفتح الميم، وسكون القاف ، وكسر الدال المهملة، وضم الشين المعجمة، وفى آخره واو : أبو الفداء ، ص ١٦٠ .

٢٩ - Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol. 111, p. 165 .

٣٠ - حمدى السيد ، ص ٣٥٧ .

٣١ - حمدى السيد ، ص ٣٥٨ .

٣٢ - Stigand, p.7 Freeman & Grenville, p. 84. Reusch, p. 85

٣٣ - Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol.

111, p. 165, Reusch, pp. 85-151, Stigand, p.7

انظر أيضا : ياقوت ، جـ ٨ ، ص ٢٠ .

٣٤ - Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol. 111, p. 165,

٣٥ - جمع لكلمة مقديشو (حمدى السيد ، ص ٣٥٦) .

٣٦ - Enrico Ceruli, Op. Cit., p. 165.

٣٧ - Enrico Ceruli, p. 165.

٣٨ - Op. Cit. p. 165.

٣٩ - Ibid, p. 165.

٤٠ -مروج الذهب، جـ ٢ ، ص ٦ / حمدى السيد، ص ٣٥٥ .

٤١ - مركه، امارة إسلامية على المحيط الهندى فى الساحل الشرقى لأفريقيه وهى جنوب مقديشو وشمال براوة. ومركه على شطى نهر يخرج من مقديشو ويصب على مرحلتين من المدينة فى شرقها ومنه فرع يكون خورا لمركه. ومركه بالميم والراء المهملة ثم كاف فى الآخر. أبو الفداء، المختصر فى تاريخ البشر، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

٤٢ - Reusch, Op. Cit., p. 85.

٤٣ - أبو الفداء ، المختصر ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

٤٤ - Stigand, Op. Cit., pp. 9 - 10.

٤٥ - حمدى السيد ، ص ٣٦٠ .

٤٦ - المرجع نفسه .

٤٧ - المرجع نفسه .

٤٨ - Stigand, p. 52 .

٤٩ - Trimingham, Op. Cit., p. 3 / Reusch, p. 85 .

٥٠ - حمدى السيد ، ص ٣٥٩ .

٥١ - عبد الرحمن زكى، ص ١١٨ .

٥٢ - بن معناها الفضاء الكبير كذلك، (حمدى السيد، ص ٣٥٨ - ٣٥٩) .

٥٣ - حمدى السيد ، ص ٣٥٩ .

٥٤ - المرجع نفسه .

٥٥ - Stigand, Op. Cit. , p. 30 ff. "Reusch, Op. Cit, p. 185 ff

Enrico Ceruli, art. "Makdishu," Encyc. Of Islam, Vol. 111, p. 165,

٥٦ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ابن بطوطه ، تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار (القاهرة ١٣٢٢ هـ) ص ١٨٩ - ١٩٢.

٥٧ - ابراهيم على طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة (القاهرة ١٩٥٩) ص ٤٢ .

حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام فى القارة الافريقية ، ص ٣٣ .

Enrico Ceruli, p. 165

٥٨ - W. Basil , & Worsfold. Portuguesse Nyassaland (London - 1899) p. 22 .

٥٩ - James . Duffy, Portuguesse Africa (London, 1961)

p. 26 .

٦٠ - حمدى السيد ص ٤٨٩ - ٤٩١ .

Franz Babinger , art. "Sofala," Encyc, of Islam .
Vol. 4 (1) p. 472; Freeman & Grenville, Op. Cit., p. 59 .

٦١ - M., Guillian Documents sur l'histoire , la geographic et le commerce de l'Afrique Orientale, 3 Vols (Paris 1956, p. 33 See also Reusch, Op. Cit., p. 45 .

٦٢ - براوة، امارة عربية خضعت لحكم الأخوة السبعة عام ٩١٣، وهى بالقرب من مقديشو .

٦٣ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

٦٤ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

٦٥ - مخطوط نشره مع مقدمة بالفرنسية - رينيه باسيه حققه فهيم شلتوت (القاهرة ، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م) .

٦٦ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

٦٧ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

٦٨ - انظر : عرب فقيه، فتوح الحبشة ، ص ٥٧ وما بعدها .

٦٩ - عرب فقيه ، ص ٧٦ .

٧٠ - حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

٧١ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (القاهرة ١٣٥٣ هـ جـ ١ ، ص ٢٣٢ ، جمال الدين أبى المحاسن

يوسف ابن تغرى بردى .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق أحمد نجاتى ، (القاهرة ١٩٥٦)

جـ ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . السخاوى ، الضوء اللامع، جـ ٥ ، ص ١٦٠ .

٧٢ - ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

٧٣ - ياقوت ، المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٤٣ .

٧٤ - Trimingham, Op. Cit. p. 18 Seq.

الضياع الأموية فى الشام
فى العصر العباسى

بقلم : أ. د. عبدالمنعم ماجد
أستاذ التاريخ الإسلامى،
والخبير الوطنى لمركز الدراسات البردية
بجامعة عين شمس

وجد ديوان الضياع[1] فى عهد العباسيين ؛ لينظر أصلا فى أمر الضياع التى كانت فى حوزة الأمويين فى الشام «ضياع بنى أمية»[2] . فكان ظهوره يعنى أن العباسيين قد قضوا نهائيا على الأمويين، وأنه أصبحت لهم السيادة الكاملة على ممتلكاتهم . فهو ثمرة للانتصار الحربى ، والتفاعل النفسى عند العباسيين نحو الأمويين .

ومع أن البحث عن تفاصيل هذا الديوان أو غيره ؛ ليس بالأمر السهل ؛ لأن المادة التاريخية تكون عادة متوفرة لسرد تاريخ الحروب؛ إلا أنها تكون قليلة ، أو حتى نادرة ؛ لنظم الدولة السياسية . ومع ذلك ؛ فإن هذه المادة القليلة عن هذا الديوان ، مكنتنا من القبض على الخصائص والأهداف، التى استوجبت ظهوره ؛ ولا سيما أن المؤرخ يضخم المادة التاريخية المتاحة بحيثياته .

ولا شك أن الحفر وراء ظهور ديوان الضياع العباسى؛ يبيّن قبل كل شىء ؛ علاقته الوثيقة بالجهاز الادارى فى دولة العباسيين، الذى اتخذ شكلا بيروقراطيا ملحوظا؛ بهدف أن الأوامر الادارية تصدر عن العاصمة بغداد وحدها إلى الأقاليم. حقا إن كلمة ديوان فارسية الأصل، وتعنى الكتّاب والحيز المكانى الذى يجمعهم، وأن عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ / ٦٣٤ - ٦٤٤) ؛ هو أول من عمل بنظام الدواوين الفارسى ؛ فقيل إن عمر دوّن الدواوين[3]، وهى التى انتقلت فى عهد

---

(١) الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتّاب ، تحقيق السقا والأبيارى ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨، ص ٢٧٧ ؛ انظر Ency of Isl (art DIWAN) 2ed , T. 2, p. 324 .

(٢) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٩ ص ٣٠٨ س ١٨ .

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .

الأمويين من المدينة إلى دمشق ، ثم عربها[1] عبد الملك بن مروان (ت ٦٥ - ٨٦/ ٦٨٥ - ٧٠٥) ؛ بعد أن كانت تكتب بلغات الشعوب المفتوحة ؛ إلا أن التنظيم الديوانى البسيط، فى عهدى الراشدين والأمويين ؛ قد تضخم تضخما كبيرا على يد العباسيين .

ومع ذلك ؛ فإن ظهور ديوان الضياع العباسى ارتبط قبل كل شىء بالنظام المالى العباسى ، الذى قام على أنقاض النظام المالى السابق فى عهد الأمويين . فكانت الدولة العباسية بأيدولوجيتها من الشعوبية، التى قامت على أكتافها ، ولاسيما الفرس ؛ لديها القدرة على استيعاب أنظمة مالية جديدة. فديوان الضياع لم يكن له وجود قبل العباسيين؛ كما لم يكن للعباسيين ضياع من قبل .

وقد ظهر ديوان الضياع العباسى؛ بظهور دولة العباسيين فى عهد أبى العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦ / ٧٥٠ - ٧٥٤) ، أول الخلفاء العباسيين، باسم : ديوان المحجوزة [2] ؛ ليعنى الحجز على ممتلكات الأمويين ، بما فيها ضياع الخلفاء الأمويين وأفراد أسرتهم. فلدينا نص يقول[3] : إن أبا العباس استولى على ضياع مروان وآل مروان. ولكن فى عهد أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ / ٧٥٤ - ٧٧٥) ، الذى اعتبر المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، وتسلسل عنه بقية الخلفاء العباسيين ، وليس عن أخيه، ظهر هذا الديوان باسم : ديوان الضياع [4]؛ ليعنى فى مضمونه ، مثلما كان يعنى فى عهد سلفه؛ مصادره ضياع الأمويين فى الشام ؛

(١) كتب ديوان الجند بالعربية ؛ منذ عمر بن الخطاب .

(٢) الجهشيارى ، ص ٩٠ ؛ انظر : ماجد ، العصر العباسى الأول ، ط ٣ ، ١ ص ١١٠ .

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٤) الجهشيارى ، ص ٢٧٧ ؛ وقبله .

لحساب العباسيين . حقا إنه وجد في عهد المنصور ديوان آخر للمصادرة [١]؛ ولكنه لم يكن له علاقة بضياع الأمويين ، وإنما بالأولى بمصادرة ممتلكات أعدائه السياسيين، وهم كثيرون .

كذلك لا نظن بأن عمل ديوان الضياع العباسي، والدولة ناشئة ، اقتصر على مصادرة الضياع الأموية وحدها ، وإنما امتد نشاطه إلى مصادرات أخرى ؛ فقد ذكر أنه : استصفيت أموال الأمويين[٢] . فقد كان للأمويين اقطاعات عديدة؛ حدثت لهم في الشام ؛ منذ عهد عثمان بن عفان (٢٤ - ٣٥ / ٦٤٤ - ٦٥٦) ؛ فيما عرف بأرض الصوافي [٣] ؛ وهي أرض امتلكها العرب من الروم ، وأصبح أمرها للخليفة الأموي[٤]، يقطع منها ما يشاء . ومن بعد قام معاوية ابن أبي سفيان ؛ بمسح شامل لأرض الصوافي في بلاد الشام، واستصفى لنفسه ، وأقطع أهل بيته بل في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ / ٦٨٥ - ٧٠٥) ؛ من كثرة ما اقطع من أرض الصوافي؛ لم يبق شاغر في الشام[٥] .

فكان ديوان الضياع العباسي ، مثل غيره من الدواوين العباسية الأخرى ؛ يوجد في بغداد العاصمة؛ بالعراق. فالادارة في الدولة العباسية إدارتان ؛ ادارة مركزية في العاصمة ، وأدارة خاصة في الأقاليم؛ وإن كانتا مرتبطتين. ولذلك اهتمت الدولة

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣ ص ١٢٧ ؛ ابن طباطبا ، الفخري ، ص ١١٥ ؛
انظر . Ency of Isl , T. 2 p. 324 .

(٢) الطبري ، ٩ ص ٣٠٨ س ١٤ .

(٣) ابن عساكر، التهذيب لابن بدران ، ١ ص ١٨٣ .

(٤) ابن عساكر ، التهذيب لابن بدران ، ١ ص ١٨٢ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٣٤ .

العباسية بالبريد[1] ووسائله ومحطاته والطرق المؤدية إلى الأقاليم، التى عرفت باسم: المسالك ؛ لربط بغداد العاصمة بالأقاليم. كذلك وجد فى عهد محمد المهدى العباسى (١٥٨ - ١٦٩ / ٧٧٥ - ٧٨٥) ، دواوين الزمام وزمام الأزمة [2]؛ لمراقبة الأموال فى الدواوين العباسية جميعها؛ بما فيها أموال الأقاليم؛ حيث وجد ديوان باسم: ديوان زمام الشام [3]. وربما كان الإشراف على ديوان زمام الأزمة ، وهو فى العاصمة ؛ للوزير ، الذى كان منصبه غير موجود فى العصر السابق ؛ إلا على سبيل المجاز .

وثمة أمر آخر أن ديوان الضياع العباسى لم يكن مقطوع الصلة بديوان الخراج[4] فى العاصمة بغداد، وهو يتعلق بضريبة الأرض ، حيث نشأت مجموعة من الدواوين تتبعه، منها ديوان خراج الشام[5] ، الذى اعتبر فرعا له فى الشام ، وكان المنصور يوليه لأهل الشام[6]. ولم يكن ديوان الخراج قبل المنصور ديوانا، وإنما يعبر عنه ببيت المال[7] ، الذى صار هو الآخر ديوانا؛ يجتمع فيه الفائض من الموارد

---

(١) الجهشيارى ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ الفخرى ، ص ١٤٨ ؛ صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٩٥؛ انظر : سعداوى ، نظام البريد فى الدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٣ ؛ Ency of Isl (art BARID) 2 ed, T I, p. 1045 sqq

(٢) الجهشيارى ، ص ١٤٦ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ؛ الطبرى ، ١٠ ص ١١ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦٤ . ظهر ديوان الزمام فى عام ١٦٢ / ٧٧٨ ، أما ديوان زمام الأزمة فى ١٦٨ / ٧٨٤ .

(٣) الجهشيارى : ص ١٦٨ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ ، ٢ ص ٤٧٤ ، ٤٨٠ .

(٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٨٠ - ٨١ ؛ انظر Ency of Isl (art Kharadj) 2ed, T 4, p. 1030 sqq. هى كلمة سريانية الأصل استعربت .

(٥) الجهشيارى ، ص ٧٧ . كفله المنصور لصالح بن علىّ ؛ مع خراج مصر وإفريقية .

(٦) الطبرى ، ٩ ص ٢٩٧ س ١١ .

(٧) الجهشيارى ، ص ٢٧٧ . بعامة ، انظر . Ency of Isl (art Bayt al - Mal) 2ed. T I, p. 114 sqq.

العامة، أو الصوافى من المال والبضائع، بل وجد بجانبه ديوان لهذه الصوافى؛ وهى الباقى عن حاجة الإقليم من النفقات المحلية؛ كأعطيات الجند، وما يلزم لحفظ الطرق، وصيانة المرافق العامة . فثراء الدولة يقاس عادة على أساس ما يتبقى لها من مال؛ على سبيل الاحتياط.

فالضياع والأقاطيع فى الشام هى أرض، والأرض تفرض عليها ضريبة الخراج. فكل قطعة أرض عليها بالضرورة مقدار من المال؛ حسب التشريع المالى فى الدولة الإسلامية. فكان الخراج أو ضريبة الأرض يفرض بالمساحة منذ أيام الخلفاء الأوائل، ثم أصبح يدفع بالمحصول منذ عهد المهدى العباسى، وهو ما عرف بطريقة المقاسمة[1]. ويؤكد على ذلك أن بعض أهالى الضياع من المزارعين بفلسطين، كانوا قد هجروها؛ فأرسل إليهم هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ / ٧٨٦ - ٨٠٩) ، قائده هرثمة بن أعين لعمارتها؛ على أن يخفف عنهم الخراج ؛ فعرفوا بأصحاب التخفيف [2]. فقد كان من يعمل فى ضياع الشام ، من أهل الشام ؛ حيث أن عرب الشام لم يعودوا مشغولين بالحروب . وتوجد ملاحظة بخصوص أرض الشام للكاتب الفارسى المعروف ابن المقفع[3] (حوالى ١٣٩ / ٧٥٦)، الذى عمل من قبل فى دواوين

---

(١) أبو يوسف ، الخراج، ص ٤٣؛ فتوح البلدان ، ص ٢٨٠ - ٢٨١؛ الماوردى ، أحكام ، ص ١٣٤ ؛ انظر الريس ، الخراج ، ص ٤٣٠ ؛ الخضرى ، محاضرات ، ص ٢١ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٥٠ .

(٣) وهو من أهل جور، قرب شيراز؛ عمل لابن هبيرة والى العرق، من قبل الأمويين. الجهشيارى ، ص ١٠٩ ؛ انظر . Ency of Isl (art Ibn al - Mukaffa) 2ed. T 3 . p. 1883 - 5 .

الأمويين بالعراق ، فى رسالته للمنصور المعروفة : برسالة الصحابة[١]، يقول فيها: ومن العدالة أن تترك واردات خراج الشام لمتطلبات أهلها، وإرسال ما تبقى لبيت المال.

وقد استمر وجود ديوان الضياع فى عهود خلفاء المنصور؛ مما يبين أنه قد أصبح من أسس نظام الدولة العباسية؛ فقد وجد ديوان الضياع[٢] فى عهد هارون الرشيد. وفى عام ٩٢٧/٣٢٥، أي حوالى زهاء قرنين من الحكم العباسى، وجد ديوان باسم: الضياع الخاصة والمستحدثه[٣] ؛ مما يعنى الضياع العباسية السابقة، وما استحدث من ضياع بعد ذلك. كذلك بقى لديوان الضياع العباسى على طول حقب الحكم العباسى ؛ مضمونه فى شكل المصادرة، الذى وجد له منذ قيام الدولة العباسية. ففى عام ٩١٣/٣٠١، وجد ما سمى بديوان الضياع المقبوضة[٤] ، أو ديوان المصادرة[٥] .

فكان ديوان الضياع العباسى، مثل غيره من الدواوين فى بغداد عماده كاتب

---

(١) نشرت فى جمهرة رسائل العرب؛ لأحمد زكى صفوت، ٣ ص ٢٥ وما بعدها؛ انظر . الريس ، الخراج ، ص ٤١٢ - ٤١٤ .

(٢) الجهشيارى ، ص ٢٧٧ .

(٣) الصابى ، الوزراء ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛

انظر Ency of Isl (art DIWAN) 2ed . T. 2, p. 325 .

(٤) الصابى ، الوزراء ، ص ٢١ ، ٣٠ ؛ مسكويه ، تجارب ، ١ ص ٨٤؛

انظر Ency of Isl . T. 2, p. 325 .

(٥) الصابى ، الوزراء ، ص ٣٠٦ ، ٣١١ .

الديوان ، وهو من أرباب الأقلام ، وعرف عادة باسم : وكيل الضيعة[١] ، وهو فى العصر العباسى الأول كان من مواليهم الفرس[٢] ؛ وإن كان اختياره أصبح يتوقف على خبرته فى شئون المال، ومعرفته بالتقنية الزراعية ؛ لأن الضياع أصلها مزارع . ومن المعروف أن الشام تعد بأراضيها من أخصب البقاع المزروعة؛ فقد اعتبرت جنة الأرض[٣] للعرب الفاتحين الأوائل، وفضلوها على الحجاز، وبقوا فيها. ولما أصبحت الشام دار خلافة فى عهد الأمويين؛ فإن أرضها استغلت أعظم استغلال[٤]؛ فالأراضى تتميز إذا اعتنى بها. فقد ظهرت عناية فائقة من خلفاء الأمويين؛ بوسائل الرى، التى تساعد على الانتفاع بمصادر الماء . فتوجد فى الشام أنهار كبيرة وأخرى صغيرة عديدة؛ مثل : بردى، والعاصى ، والأردن، وقويق ، وأبى فطرس ، وغيرها. كذلك أحتفرت القنوات[٥] ، واهتم بالترع، والآبار، والعيون المائية، وببناء صهاريج الأمطار[٦] .

---

(١) الجهشيارى ، ص ١٨٠ .

(٢) أولهم مولى أبى العباس ، عمر بن حمزة . الجهشيارى ، ص ٩٠ ؛ انظر Ency of Isl (art Katib) 2ed , T 4 , p. 756 .

(٣) الواقدى ، فتوح الشام ، ٢ ص ١١٨ س ١ وما بعدها ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) صبح ، ٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٥) معجم البلدان ، ٣ ص ٤٨ ، ٤ ص ٤٧٠ .

(٦) فتوح البلدان ، ص ١٤٩ .

فكانت الضياع الأموية فى الشام ، التى استولي عليها العباسيون كثيرة ومنتشرة فى كل مكان؛ حيث أشار إلى ذلك البلاذرى فى عدة مواقع [1]. بل إن المنصور أمر مهندسين له بتصويرها[2] ؛ فصوروها ، وعرضوها عليه؛ حتى لا يفلت منها شيء. كذلك أمر المنصور بإحصاء أراضى الشام، وأرسل إلى دمشق إسماعيل بن عباس «عدّل أراضيها[3]» . فكان مسحها بذراع - وهو مقياس للأرض - سمى الهاشمية[4] ؛ نسبة إلى أسرتهم . فكان ما يثبت منها فى الدواوين فى عهد المنصور، يكون عادة فى صحف ؛ فقد ذكر القرطاس والقراطيس[5] ؛ وهى تسمية للفائف البردى المصرية ، التى كان يكتب فيها؛ ولكنها أصبحت فى دفاتر[6] منذ عهد الرشيد، ربما لظهور صناعة الورق. ولعل السبب فى إحصاء الأراضى فى عهد المنصور؛ على حسب ملاحظة أخرى لابن المقفع[7] ؛ أن فترة الانتقال بين الدولتين ؛ الأموية والعباسية؛ قد أضاع الأوراق الخاصة بالأراضى، ولاسيما فى الأقاليم .

وقد كثر استخدام لفظة «الضياع» ، ومفردها «ضيعة» ، فى الشام منذ عهد

---

(١) نفسه ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ؛ انظر : الريس ، الخراج ، ص ٣٦٤ وما بعدها .

(٢) الجهشيارى ، ص ١٢٣ .

(٣) نفسه ، ص ٢٧٧ .

(٤) الماوردى ، الأحكام ، ص ١٣٧ ؛ انظر : صبحى الصالح ، نظم ، ص ٤١٣ .

(٥) الجهشيارى ، ص ١٠٢ ، ١٣٨ .

(٦) نفسه ، ص ٨٩ ؛ بعامة : Ency of Isl (art Daftar) 2ed, T2 , p. 77.

(٧) الجهشيارى ، ص ١٠٩ ؛ جمهرة رسائل العرب، ٣ ص ٢٥ وما بعدها .

معاوية؛ وإن أطلق عليها الزراعة»[1] أيضا ؛ لتعنى المزرعة. ومع ذلك : فلم تكن الضياع الأموية فى الشام أرضا للزراعة فقط ؛ وإنما دور وقصور وبساتين؛ حيث اشتهرت الشام فى وقت الأمويين بالبستنة. فشمل العمران فى عهد الأمويين البادية والحضر، واستحدثت المدن الجديدة ، بما فيها عواصمهم الصحراوية ، وامتلأت دمشق ذاتها بالقصور والدور والبساتين الكثيرة[2] .

فكانت الضياع التى استولى عليها العباسيون من الأمويين ؛ تعرف «بضياع الخلافه[3]» ؛ وهى الضياع النفيسة[4] ؛ كما أعطى البعض[5] لأفراد أسرة الخلفاء العباسيين، الذين أصبح يطلق عليهم الأشراف[6]؛ حيث كانت تجرى لهم فى دواوين الدولة الإموال ، أو ما عرف بعطاء الذرية[7] . كذلك وجد فى عهد العباسيين[8] بيع

---

(١) الكامل ، ٥ ص ٤٩٧ .

(٢) ابن عساكر ، تهذيب بدران ، ٦ ص ٥٥؛ اليعقوبى ، البلدان، ص ٣٢٦ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٤) الجهشيارى ، ص ١١٠؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٣٢١ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٨٧ - ١٩٨ ؛ الطبرى ، ٩ ص ١٩٦ .

(٦) العيون والحدائق ، ص ٢٦٠ .

(٧) العبر ، ٣ ص ٣١٩ . أمر المنصور لعمومته ؛ لكل منهم بألف ألف «مليون» من بيت المال، وكان أول خليفة أعطى ألف ألف «مليون» . الطبرى ، ٩ ص ٣٠٨ س ٥ - ٧ .

(٨) الجهشيارى ، ص ١١٠ ؛ فتوح البلدان ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٠٩ .

لبعض الضياع ؛ كما أجرت اقطاعات من الأرض لمدة معينة، بنظام الإيجار أو الإيغار[1] ، وهو ما عرف بالأرض المغلة[2] ، أو حق رد بعض الضياع لأصحابها. واللافت أن بعض أصحاب الضياع من غير الأمويين ؛ كانوا يحولون[3] اسم ضياعهم على اسم عباسين كبار ؛ حتى لا تضيع من أيديهم .

فنذكر من الضياع التى آلت إلى العباسيين من الأمويين فى الشام: ضيعة لمعاوية فى البلقاء، اسمها: «بقبش»[4]، التى صارت لبعض أولاد المهدى. كذلك أخذت ضياع الوليد، التى كانت عند الساحل بأنطاكية[5]، وصارت هى الأخرى لأبناء المهدى، ثم انتقلت من بعدهم إلى الخليفة المتوكل. كما أخذت ضياع سليمان[6]، وضيعة الزيتونة لهشام [7]. بل إن إقطاع «بالس»[8] ، الذى كان لمسلمة بن عبد الملك، وحفر له نهر عرف باسمه؛ استولى عليه عبد الله بن على؛ لما كان بالشام، ثم أقطعه لمحمد بن سليمان، ثم صار للرشيد، ومن بعده المأمون .

---

(١) الماوردى ، الأحكام ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) لسان العرب ، ٨ ص ٢٣٠ .

(٣) الطبرى ، ٩ ص ٣٠٨ س ١٧ .

(٤) الجهشيارى ، ص ١١٨ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٣٥ .

(٦) نفسه ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٠٩ .

(٧) الكامل ، ٥ ص ٢٩٣ .

(٨) الطبرى ، ٧ ص ٢٥ ؛ مروج ، ٣ ص ٢١١ .

(٩) الجهشيارى ، ص ١١٠ ؛ معجم البلدان ، ٢ ص ٣٢١ .

وهكذا يتبين ، أن هذه الضياع اعتبرت فى الدولة العباسية ميراثا للخلافة ؛ على أساس أن الخليفة العباسى؛ له وحده الحق فى أموال المسلمين ؛ وهو ما يتمشى مع العقيدة الجديدة التى صارت إليها الخلافة فى عهد العباسيين؛ بحيث صيرت فى شكل فقهى أن الخلافة ميراث ؛ وليست كخلافة الراشدين أو الأمويين . فيؤثر عن المنصور قوله [1]: إنا سلطان الله فى أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه ، أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه .

* * *

وقصارى القول إن ديوان الضياع العباسى؛ ظهر باسمه فى عهد المنصور؛ بمضمونه فى مصادرة الضياع الأموية فى الشام ؛ وأن العقيدة العباسية وقتذاك اعتبرت ضياع الأمويين فى الشام ميراثا للخلفاء العباسيين ؛ يجرى عليها ما يجرى على الميراث .

(١) الطبرى ، ٩ ص ٣١٠ .

" المصادرات وأثرها على استقرار الملكية "

فى عهد الخليفة المقتدر بالله

٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢ م

اعداد

د . ضيف الله بن يحيى الزهرانى

الأستاذ المشارك بقسم الحضارة والنظم الاسلامية

بجامعة أم القرى

ص . ب (٦١٩٨)

" بسم الله الرحمن الرحيم "

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد :

فقد أولت شريعتنا السمحة الأموال كل عناية ورعاية وإهتمام ، وأمرت بضرورة المحافظة عليها ، فشرعت الرقابة العامة على الأموال ، وشرعت محاسبة كل من تسول له نفسه بالعبث او الاختلاس من أموال الدولة ، وقد جرت بالفعل محاسبة كل من شاب تصرفه شائبه فى هذا الشأن ، وقد شكلت أموال المختلسين والثائرين جزءا من موارد بيت المال فى القرن الأول الهجرى [١] .

وكانت المصادرة فى بادىء الأمر مؤقتة تكمن وراء عوامل سياسية أو تنظيمية ، أو شخصية ، إلا أن المصادرة تطورت خلال فترة خلافة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) من ناحيتى الأسباب والمظاهر ، فقد وضح من خلال هذه الدراسة أن السبب الأساسى والرئيسى " هو الطمع فى أموال المصادرين بدافع الحاجة إلى الأموال " [٢] وقد رأى الباحث أن يلتمس هذا الخلل المدمر فى جسم دولة المقتدر ، فعقد العزم بإذن الله على الكتابة فى موضوع المصادرات لكشف هذا الداء والوقوف على أسباب المصادرة وفئات المصادرين ونوعية المادة المصادرة ، ثم الحديث عن الجهاز الإدارى الذى كان يتولى عملية الإشراف والتنظيم ، وأخيرا الكشف عن الأثر الذى سببته المصادرات على استقرار الملكية . وكانت الدراسة فى هذا البحث على النحو التالى :

المدخل :

يشتمل مدخل هذا البحث على جانبين مهمين : الجانب الأول : عن شخصية

الخليفة المقتدر موضوع الدراسة ، والجانب الثانى عن الحالة المالية فى عهد المقتدر بالله ، وذلك بشكل مختصر وموجز .

الجانب الأول : شخصية المقتدر بالله :

هو ابو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله بن أبى أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن عبدالله المنصور ابن محمد ابن على بن عبدالله بن العباس [٣] ، ولد يوم الجمعة ٢٨٢/٩/٨ هـ / ٨٩٥ م ، نشأ الأمير جعفر فى قصر الخلافة بين أحضان والدته - شغب - وهى إحدى جوارى الخليفة المعتضد بالله ، وبحكم كونه ابنا من أم ولد ، فلابد أنه نشأ بين الجوارى والحريم ، لم يتعلم من أمور الخلافة شيئا ، فلم يسهم بأى نشاط إجتماعى ولم يشارك فى حملة عسكرية قبل تولية الخلافة .

تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة المكتفى بالله ، وكان ذلك بتاريخ يوم الأحد ١٣ / ١٢ / ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام . وقد تولى الخلافة وهو صغير السن ، فغلب على الأمر أناس لاهم لهم إلا جمع الأموال وحيازة المناصب القيادية والإدارية فتعثرت أمور دولة المقتدر بالله وقاس خلال فترة حكمه أهو الا عظاما لم يكن فى مستواها وتكالبت عليه عناصر الغدر والخيانة حتى قتل فى ٢٦ / ١٠ / ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م مخلفا وراءه دولة مفككة العرى ، منهارة القوى فكان حكمه وصمة عار فى جبين الدولة الإسلامية

الجانب الثانى : الحالة المالية فى عهد المقتدر بالله ، ونهدف من وراء هذه الفقرة إيضاح موقف دولة المقتدر المالى . ذلك الموقف الذى اتسم بالعجز المالى طوال الفترة التى حكمها المقتدر التى تمتد مابين عامى (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ -

٩٣٢ م) وقد أكدت جل المصادر والمراجع تلك الضائقة المالية ووصفت عهده بعهد التبذير والإسراف المفرطين .

ولعل هناك مجموعة من العوامل أدت إلى تفاقم الأزمة المالية نذكر منها :

(١) صغر سن الخليفة وضعف شخصيته ، فقد تولى الخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام .[٤]

(٢) تدخل النساء فى شؤون الخلافة . بحيث صار الخليفة تحت تأثيرهن حتى " غلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم " [٥] وبرز من النساء أم المقتدر (شغب) والتى تلقبت بلقب السيدة ، فكانت سيدة البلاط العباسى بدون منازع .

(٣) فساد النظام الإدارى ويأتى فى المقدمة ، فساد نظام الوزارة والمتتبع لنظام الوزارة فى عهد المقتدر يدرك الضعف الحاصل فى منصب الوزارة ، فقد تولاها كل من يدفع مالا أكثر وأسرف الخليفة فى تولية الوزراء وعزلهم ، وتعرض معظمهم للمصادرة والسجن والقتل ، ومن هنا كان هم الوزير هو الحصول على الأموال لنفسه أولا ، ثم لسد نفقات الخلافة ثانيا ، ونتيجة لذلك أصبح نظام الإدارة من أفسد النظم [٦] .

(٤) تفشى الرشوة ، ويعتبر داء الرشوة من أخطر الظواهر التى ساعدت على تفاقم الوضع المالى ، فقد انتشرت الرشوة بين كبار موظفى الدولة بمافيهم الوزراء[٧] ، وقد تعاطاها الغالبية العظمى من موظفى دولة المقتدر ، فكانت النتيجة ، أن الجميع وقع فى أمر محرم شرعا .

فعندما استشرى سرطان (داء) الرشوة صاحب ذلك فساد النظام الإدارى

والمالى فوقعت الدولة تحت طائلة العجز المالى .

(٥) تدخل الجيش فى سياسة دولة المقتدر ، فقد قام قائد الجيش مؤنس بالتدخل فى حياة الخليفة بالإضافة إلى التدخل فى اختيار الوزراء وعزلهم [٨] وأصبح شغب الجند وهياجهم وإحداثهم الفتن أمر مألوفا[٩] " ولاسيما فى سبيل الحصول على الأموال ، وكانت نتيجة تدخل الجيش فى سياسة الدولة أن تفاقمت الأزمة المالية أولا ، ثم الإطاحة بالخليفة وقتله على يد الجيش [١٠] فى ٢٦ / ١٠ / ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ثانيا .

المصادرات :

التعريف :

تحدثت كتب اللغة عن تعريف المصادرة بايجاز شديد ، فقد ذكرها ابن منظور بقوله " ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال : صدر فلان العامل على مال يؤديه ، أى فورق على مال ضمنه " (١١) وفى مختار الصحاح " صادره على كذا من المصادرة "(١٢) والمصادرة ، اصطلاح ، والصدر هو الرجوع بعد الامتلاء بالماء ويقابله الورد وهو عند اللغويين مثل الرجع وكلمة صدر هى المال الذى يؤخذ من المصادر (١٣) وقبل بزوغ مصطلح المصادرة كان يسمى المال المأخوذ من العمال مشاطرة أو مقاسمة ، وفى عهد الدولة الأموية كان يسمى المال المستخرج من العمال بالأموال المستخرجة (١٤) ، أما نشأت مصطلح المصادرات فظهر لأول مرة فى الدولة العباسية ، حينما كثرة المصادرات ولاسيما فى الفترة الثانية من العصر العباسى الثانى . وقد ترسخ هذا المصطلح فى عهد الخليفة المقتدر بالله عندما أنشأ لهذا الغرض ديوانا خاصا بالمصادرات .(١٥)

ونستطيع القول بأن تعريف المصادرات فى المصطلح العام هى :

" الأموال التى يستخرجها الخليفة وأعوانه من كل من مسته شائبة غدر وخيانة ، سواء من موظفى الدولة أو من فئات المجتمع الأخرى ووضع هذه الأموال تحت تصرف الخليفة ونظره " فتصادر الدولة الأموال او الممتلكات ، أى تنتزعها من صاحبها عقوبة له .

أسباب المصادرات :

لقد أصبحت المصادرات فى عهد الخليفة المقتدر بالله ظاهرة واسعة الإنتشار

وتعددت الأسباب التى أدت الى شيوع المصادرات وانتشارها ، وقد أجملنا تلك الأسباب على النحو التالى :

أولا : الأسباب المالية :

كان للأزمات المالية الدور الفعال فى وجود المصادرات والمتفحص لتاريخ الخليفة المقتدر يدرك أن أغلب المصادرات " قد جرت فى ظل أزمات مالية ، كانت الدولة فيها بأمس الحاجة الى ايجاد المال لسد نفقات الدولة ، ولكبح شغب الجيش الذى كان دائما يطالب بإرزاقه المتأخرة [١٦]

فكان الخليفة يلجأ إلى مصادرة أعضاء حكومته متى ماكانت خزينته فارغة من الأموال [١٧] ، ونضرب على ذلك مجموعة من الأمثلة :

- لقد صادر الخليفة وزيره ، أبا الحسن بن الفرات على مبلغ عشرة ملايين دينار[١٨] لحاجة الدولة الى الاموال وفراغ بيوت الأموال ، وعجز الوزير عن توفيرها .

- وفى عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، صادر الخليفة وزيره الخاقانى [١٩] لعجزه عن توفير الأموال .

- وفى عام ٣١١هـ / ٩٢٣ م صادر الخليفة وزيره حامد بن العباس [٢٠] للسبب نفسه .

- وفى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م صودر الوزير الخاقانى وأبعد عن الوزارة لعجزه عن معالجة الضائقة المالية [٢١] وكذلك كان حال الوزير الخصيبى ، فقد تفاقمت الأزمة فى عهده ، ولم تتوفر له الاموال اللازمة لسد نفقات الدولة مماجعله يلجأ إلى فرض الضرائب الباهظة على الناس واشتد فى المطالبة " ولم يدع عند أحد مالا

أحس به إلا أخذه بأتعس مايكون الأخذ "[٢٢] وكذلك كان الحال فى وزارة ابن مقلة (٣١٦ - ٣١٨ هـ / ٩٢٨ - ٩٣٠م) ثم فى وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد (٣١٨ - ٣١٩ هـ / ٩٣٠ - ٩٣١ م) ، فكان العجز المالى هو السبب فى مصادرة الوزراء والتنكيل بهم ، وإبعادهم عن منصب الوزارة .

ثانيا : الأسباب السياسية :

" بلغت المصادرة ذروتها فى أيام المقتدر ، لأن الوزراء استخفوا به لصغر سنه ، وأفضى تدبير الأمور فى صدر أيامه الى أمه ونسائه وخدمه " [٢٣] وفى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨م قبض الوزير ابن الفرات على محمد بن عبدون [٢٤] وصادره ، وأوعز بقتله لأنه كان يطلب منصب الوزارة [٢٥]، وفى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م سخط المقتدر على أم موسى القهرمانة [٢٦] وقبض عليها وصادرها ، وقيل فى سبب مصادرتها :

أ - أن المقتدر مرض فبعثت إلى بعض أهله ليتولى الحكم .

ب - وقيل أنها زوجت بنت أخيها لمحمد بن اسحاق بن المتوكل ، فوشى بها الناس أنهامافعلت ذلك إلا لكى تنصب محمد بن اسحاق فى الخلافة[٢٧] .

وهنا ندرك أن تلك الحالات من المصادرة كانت تتم لأغراض سياسية أو شخصية ، فكان تدهور الأوضاع السياسية " من الدوافع التى أدت إلى المغالاة فى المصادرة

لتتخلص الدولة - ولو مؤقتا - من حالة العسر المالى الذى يعانيه بيت المال "(٢٨)

ثالثا : فساد الأنظمة الإدارية :

يأتى فى مقدمة الأجهزة الإدارية التى واكبها الضعف جهاز الخلافة وذلك لصغر سن الخليفة ، ثم جهاز الوزارة والدواوين ولعل أخطرها على الإطلاق هو جهاز الوزارة ، فقد أصبح من الضعف بحيث تولاها كل من يدفع مالا أكثر ، فانحسرت هيبة الوزراء وأصبح نظام الإدارة من أسوأ النظم ، نتيجة لتسلط الخدم والحشم ، والنساء ، والجيش على شؤون الدولة ونتج عن ذلك تعدد الوزراء ، بحيث بلغ عددهم فى عهد الخليفة المقتدر اثنى عشر وزيرا صودر معظمهم ، وماتبع ذلك الإجراء " من تغيير العمال الأكفاء فى أرجاء الدولة وماصاحب ذلك من إستبداد الحكام بالناس وسيطرتهم على اموالهم بدون حق ، وأدت هذه المظالم الى قيام الثورات "(٢٩) ، ثم " إن بعض الطامعين بالوزارة كان يتعهد للخليفة بأداء مبلغ كبير من المال مقابل حصوله على منصب الوزارة فأدى هذا الاسلوب الى زيادة حدة المنافسة وإلى المساومة على طلب الوزارة وأدى أيضا الى اضطراب شؤون الدولة والإدارة ، وعدم كفاءة الوزير ، حيث تولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة كانت تسىء إلى البلاد "(٣٠) أمثال الوزير الخاقانى ، والوزير حامد بن العباس والوزير الخصيبى ، والوزير ابن مقله ، والوزير الحسين بن القاسم .

رابعا : انتشار الرشوة ، والوشاية :

من أسوأ مظاهر عهد الخليفة المقتدر تفشى مرض الرشوة بين الوزراء وولاة الأقاليم ، ومرد ذلك إلى الخليفة نفسه ، وحاشيته ، ومن خلال استقراء فترة وزارة الخاقانى (٢٩٩ - ٣٠١ هـ / ٩١١ - ٩١٣ م) نجد أن أولاده سيطروا على مجريات امور الوزارة وسعوا جميعا للحصول على الرشوة وأسرف الوزير فى تولية العمال " حتى أنه ولى على الكوفة فى خلال عشرين يوما سبعة من العمال ، دفع كل منهم رشوة كبيرة له " (٣١)، وكان الخاقانى يحصل على الرشوة من كل عامل يوليه حتى قيل من الاشعار (٣٢):

وزير مايفيق من الرقاعة　　يولى ثم يعزل بعد ساعة

اذا أهل الرشا صاروا إليه　　فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

وقد استطاع ابن الفرات ان يتقلد الوزارة للمرة الثانية ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م بعد أن تعهد بتقديم مبلغ كبير للخليفة وحاشيته(٣٣) وقد أكد الأزدى على أن الخليفة ، كان يصانع الخدم ويستمع إليهم فى تولية الوزراء وعزلهم ، فقال فى ذلك " واستوزر المقتدر اثنى عشر وزيرا ، يولى هذا اليوم ، ثم يصانع الخدم فيعزله غدا ويولى الذى رشا ".(٣٤)

اما عن الوشاية

فقد قامت بالدور الأكبر فى نكبة الوزراء ، وسجنهم ، وقتلهم فى غالب الأحيان " وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع الى أقوال المنافسين ويصغى الى مقالة الحاقدين "(٣٥) وأتهم الوزراء بعضهم بعضا بسوء التصرف والخيانة ، وقد تكون هذه ألتهم صحيحة فى حق الوزير ، ولكن فى أوقات أخرى " قد تكون الاتهامات

ضد الوزير المعزول واهية ، وليس لها أى سند شرعى ولامسوغ منطقى ، ولايعدو أن يكون الدافع طابعه الحسد والغيرة وحب السيطرة والمنافسة المشوبة بالخداع والتآمر "(٣٦) فقد وقع ابن الفرات فى حبائل الوشاية حينما وشى به نصر الحاجب لدى الخليفة بقوله بأن الوزير يريد التآمر على الخليفة ، فنكبه الخليفة وصادر امواله(٣٧) ولم يسلم من الوشاية والحسد والحقد الوزير المصلح على بن عيسى ، فقد أفسد الخدم امره(٣٨) ، وأمر المقتدربالقبض عليه واحتجازه بدار الخلافة ، لعدم قدرته على الصمود أمام وشايات رجال القصر والحاشية الذين لم يرضوا باجراءاته الاقتصادية ، فوشت به عند الخليفة ، فعزله ونفاه إلى مكة واليمن ومصر (٣٩)، فالحقد والحسد والكراهية كانت من الأمور التى أودت ببعض الوزراء ومصادرتهم ، وإن كانوا من الوزراء المصلحين .

فئات المصادرين ومعاملتهم :

أمتد نطاق المصادرات ليشمل الوزراء ، والكتاب والنساء ، والخدم والتجار ، والعمال ، " فالعامل يصادر الرعية ، والوزير يصادر العمال والخليفة يصادر الوزراء والتجار "(٤٠) ويمكننا أن نفصل فئات المصادرين على النحو التالى :

(أ) فئة الوزراء :

كان الخليفة يلجأ إلى مصادرة الوزير متى ألجأته الحاجة الى اموال يعجز الوزير عن توفيرها وأسرف الخليفة فى تعيين الوزراء وعزلهم ، لأنهم " استأثروا بالأموال ، وحصلوا عليها بطرق مختلفة كالرشوة والهدايا التى ترد اليهم من العمال والولاة ، ومن كبار موظفى الدولة بالإضافة إلى مايغتصبونه من ضياع الخليفة ومن عامة الشعب ، ومصادرات بعضهم بعضا ومايسلبونه من اموال الجباية "(٤١) فقد كان

ابن الفرات يأخذ " أموال المصالحين والمصادرين . وعدل بها عن بيت المال [٤٢]"
وكذلك كان ابنه المحسن ، وكان المعتاد أن يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف
ويطلب منه افتداء نفسه بالأموال[٤٣] ويحصل الوزير الجديد على الأموال من
الوزير المعزول بمصادرة امواله واملاكه . " وقد وجدت الدولة تبريرا لمصادرة أموال
الوزراء والعمال لأن هؤلاء أنفسهم جنوا أموالهم عن طريق غير شرعى ، ذلك أن
أغلب المصادرين قد أثروا على حساب الشعب ومن جراء سوء سلوكهم واستغلالهم
مناصبهم "[٤٤] وقد تعرض جميع وزراء الخليفة المقتدر للمصادرة ماعدا الوزير عبيد
الله الكلوذانى[٤٥] .

(٣) حاشية الوزراء :

لقد أمتدت المصادرات لتشمل أسرة الوزير وأهله وأولاده ، ففى عام ٢٩٩ هـ /
٩١١ م غضب الخليفة المقتدر على الوزير ابن الفرات ، فصادره وصادر اهله ، وأخذ
كل ماوجد له ولهم ، وأنتهبت دوره ودور بنى أخوته وأهلهم[٤٦] وعندما عزل ابن
الفرات عن الوزارة للمرة الثالثة (٣١١ -٣١٢ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤م) تمت
مصادة أولاده ، ومنهم ابنه الأكبر المحسن الذى أخذ منه ثلاثة ملايين دينار[٤٧] ولم
تسلم أسرة الوزير المصلح على بن عيسى من المصادرة ، ففى عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦
، إبان وزارته الأولى قبض عليه وعلى أقربائه ونهبت دورهم [٤٨] ونهبت منازل
أخوى الوزير وهما ، إبراهيم وعبدالله [٤٩]، وعندما قبض على الوزير حامد بن
العباس ٣١١ هـ / ٩٢٣ م تمت مصادرة صهره أبى الحسين بن بسطام[٥٠] وفى
عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م تمت مصادرة الوزير الخاقانى وابنه[٥١]، وفى عام ٣١٤ هـ
/ ٩٢٦ م صودر الوزير الخصيبى وابنه أبى الحسين [٥٢]، والمتأمل لهذه النصوص

يدرك أن أولاد الوزراء كانوا يساهمون في أعباء الوزارة بالدرجة الأولى ولذلك تتم معاقبتهم مع والديهم .

(٣) الكتاب :

استشرى الفساد الإدارى داخل الدواوين ، وضعف رئيس الديوان وكتابه واتهموا بالاختلاس فتمت معاقبتهم ومصادرة أموالهم فكان اول من عوقب بالمصادرة ، الكاتب ، محمد بن عبدون في عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨م على يد الوزير ابن الفرات[٥٣] ، وفى عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م قبض على رئيس الدواوين على بن عيسى وقبض على إبنه وبيعت أموالهما وأملاكهما وحوسبا[٥٤] ، وكذلك تعرض على بن عيسى للمصادرة ، عندما كان رئيسا للدواوين إبان وزارة حامد بن العباس (٣٠٦ - ٣١١ هـ / ٩١٨ - ٩٢٣ م) فقد صودرت أملاكه وأملاك انصاره وأعوانه [٥٥]، وتمت مصادرة الكاتب ، محمد بن على ابن مقلة إبان وزارة ابن الفرات للمرة الثالثة (٣١١ - ٣١٢ هـ / ٩١٨ - ٩١٩ م)[٥٦] وفى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، صودر كاتب الوزير الخاقاني ، جعفر الكرخي [٥٧] ، وفى عام ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م قبض الوزير على بن عيسى على الوزير الخصيبى وصادره وصادر كاتبه اسرائيل بن عيسي[٥٨] .

(٤) النساء والخدم :

طالت المصادرات أناسا لاحجة عليهم ، إلا فيضل نعمة كانت لهم ، وقد تميز عصر المقتدر بسلطة النساء ، فقد كان لهن شأن كبير فى دار الخلافة ، وقد أمتدت يد المصادرات إليهن ففى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م غضب الخليفة على فاطمة القهرمانة وأخذ ماعندها من المال ، وكان لها مال عظيم[٥٩] وفي عام ٣١٠

هـ / ٩٢٢م سخط المقتدر على أم موسى القهرمانة وقبض عليها وصادرها على مليون دينار ، ولم تفلت من طائلة العقاب[٦٠] ولم تسلم أسرتها من المصادرة فقد صودر أخوها أحمد بن العباس وأختها أم محمد [٦١]، وفى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ ألح الوزير الخصيبى فى المصادرة وكاشف أرملة المحسن بن الفرات ونساء ابن الفرات[٦٢] " ونساء أخريات لرجال عملوا فى الادارة ، مما أثار عليه نقمة الناس .. حتى طالب نساء موظفيه العاملين بين يديه ، إن لم يجد عند الرجال شيئا. وتعرض بعض الخدم للمصادرة فقد صادر الوزير ابن الفرات فى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م وخادم الوزير السابق حامد بن العباس ويدعى مؤنسا صادره على مبلغ ثلاثين ألف دينار[٦٤] ، وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صور الخادم بشرى على مبلغ ثلاثمائة ألف دينار .[٦٥]

(٥) التجار ، وبعض فئات الشعب :

لقد تعرض التجار للمصادرات ، ونالوا طائلة العقاب ، ففى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م صودر التاجر ، الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص وكانت مصادرته لأسباب سياسية ، وذلك لإشتراكه فى الحركة التى قام بها ابن المعتز الذى اختبأ عند ابن الجصاص[٦٦] ، وفى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م صودر ابن الجصاص على مبالغ طائلة ، نقدية ، وعينية [٦٧] ، وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صودر أحد التجار بسبب مالوحظ عليه من فضل فيماابتاع من الضياع [٦٨] ، وقد شملت المصادرات أقواما ليسوا برسميين ، إلا أن لهم فضل نعمة ، ففى عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ، قام الوزير ابن مقله بمصادرة ضياع الطبيب بختيشوع بن جبريل، وتم بيعها بثمن زهيد ، مع أن هذا الثمن مخالف لماتضمنه ثبت الشراء من أنها قد

أشتريت بمايزيد على بضعة عشر مليون درهم [٦٩] وتجمع المصادر على أن الوزير الخصيبى (٣١٣ / ٣١٤ هـ - ٩٢٥ - ٩٢٦ م) لم يدع عند أحد مالاأحس به إلا أخذه بأتعس مايكون الأخذ[٧٠] .

معاملة المصادرين :

لم يقتصر الأمر على المصادرة فحسب ، وإنما كان يصاحبها فى الغالب - إلحاق أشد الأذى بأولئك المصادرين ، بغض النظر عن المراكز القيادية او المكانة الإجتماعية التى كانوا يشغلونها فى الدولة[٧١] ، وقد قسمنا معاملة المصادرين على النحو التالى :

أولا : القبض على المصادرين والتحقيق معهم :

كان يبدأ الوزير الجديد يبذل المحاولات لإستخراج الأموال ، ومصادرتها عن طريق الإقناع [٧٢] .

ثانيا : السجن :

كانت المصادرة سبيلا يوصل إلى السجن - فى غالب الأحيان - " وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع إلى أقوال المنافسين ، ويصغى إلى مقالة الحاقدين ، فيأمر بعزل وزيره وسجنه ، فإذا لم يسجن جاء خلفه فسجنه انتقاما منه "[٧٣] ، ففى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، غضب الخليفة على الوزير ابن الفرات ، وحبسه ، وانتهبت داره ودار أهله ، ودور كتابه[٧٤] ، وكان لهذه المصادرة أثرها السيء على المجتمع فى بغداد ، فقامت ثورة احتجاجات عارمة استمرت ثلاثة أيام ، نهب الناس بعضهم بعضا ، نلقى السكان من ذلك شدة شديدة [٧٥] ولم يكن نصيب الوزير الخاقانى بأفضل من سلفه[٧٦] ، وقد شمل السجن أغلب الوزراء المصادرين أمثال

على بن عيسى (بوصفه كاتبا ، ووزيرا) ، وحامد بن العباس ، وعلى بن الفرات ، وإبنه المحسن[٧٧] ، والخصيبى[٧٨] وابن مقله [٧٩]، والقهرمانة أم موسى[٨٠] .

ثالثا : التعذيب :

من ضمن الوسائل التى كانت تصاحب المصادرة ، التفنن فى تعذيب المصادرين ، فعندما نكب ابن الفرات فى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، سجن فى دار القهرمانة ام موسى وأشرفت بنفسها على تعذيب الوزير المخلوع فأمرت بتقييده ، وعرك اذنيه ، وعدم التهاون معه[٨١] ، وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م جرى على كتاب الدواوين من جهة ابن الفرات امر عظيم من الخبط والعسف باستعمال التعذيب ، فقد البس على بن عيسى جبة صوف واهانه بالأذى الفاحش[٨٢].وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣م تعرض الوزير حامد بن العباس للاهانة والتعذيب ، وكان ابن الفرات (المحسن) يشتمه أمام الناس وهو فى سجنه ، ويلبسه جلد قرد له ذنب ، ويقيم من يرقصه ويصفعه " وأجرى على حامد أفاعيل قبيحة ليست من أفاعيل الناس ولايستجيزها ذو دين ولاعقل "[٨٣] إلاأن امر هذا الوزير (ابن الفرات) لم يطل إذ تعرض للمصادرة والتعذيب فقد حوكم ابن الفرات وابنه المحسن ، الذى القى القبض عليه وهو مقنع بزى النساء حليق اللحية ، فقد قيدا وألبسا جبة صوف ، وضربا على رأسيهما بالدبابيس حتى أن جسم المحسن تدود من أثر الضرب ، ومنع عنهما الطعام أياما عديدة [٨٤]، وقيل بأن الناس ضربوهما بالأجر ، ويقولون قد قبض على القرمطى الكبير[٨٥]، فنرى أن هذا الوزير وحاشيته قد لقيوا منتهى الإهانة ، والتعسف .

وتعرضت القهرمانة أم موسى وأخوها أحمد بن العباس ، وأختها ام محمد لاشد

انواع التعذيب ، وسلم أمرهم الى القهرمانة ثمل المشهورة بقساوة القلب ، وشراسة الأخلاق ، فقست عليهم أشد القسوة [٨٦] ، وتعرض الوزير على بن عيسى إبان وزارته الثانية (٣١٤ - ٣١٦ هـ / ٩٢٦ - ٩٢٨ م) للإهانة والتعذيب ، وأعتقل ثمانية عشر شهرا [٨٧] ولم يسلم الوزير ابن مقله فى عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م من الاهانة ، بل تعدى الأمر الى إحراق داره .[٨٨]

رابعا : النفى :

يعد النفى والإبعاد عن حاضره الخلافة من الأمور التى كانت تصاحب المصادرة ، فقد تعرض الوزير المصلح على بن عيسى للاعتقال ثمانية عشر شهرا ، ثم نفى الى مكة المكرمة واليمن ، ومصر [٨٩] ، إلا أن دار الخلافة لم تستطع الصمود أمام استحكام الأزمات المالية ، فعاودت فى طلبه المرة تلو المرة ، لعله يساعد فى فك تلك الأزمات الخانقة ، وكان يفعل فى كثير من الحالات ولم يسلم الوزير المعزول حامد بن العباس من النفى فقد تم نفيه إلى واسط وذلك فى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ، حيث استقر به المقام ، حتى تم قتله ، والتخلص منه نهائيا[٩٠] ، وفى عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، تعرض الوزير الحسين بن القاسم للمصادرة ، والطرد أو النفى الى ارض البصرة [٩١] .

خامسا : القتل :

يعد القتل المحطة النهائية للخلاص من الشخصيات المصادرة ، ومن الشخصيات التى تم قتلها الوزير حامد بن العباس ، فقد لقى قبل قتله صنوفا شتى من العذاب ، والشتم ثم طرد الى واسط ، وهناك تم التخلص منه نهائيا وذلك بقتله[٩٢] فى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ، ولقى الوزير ابن الفرات وابنه

المحسن النتيجة نفسها ، فقد لقيا صنوفا شتى من التعذيب والإهانة وبعد ذلك تم قتلهما فى نهر دجلة ورمى رأسيهما غرقا وكذلك غرقت الجثتان وتم ذلك فى عام ٣١٢هـ /٩٢٤ م(٩٣) .

أنواع المصادرات :

تنقسم الأموال المصادرة إلى قسمين : القسم الأول : الأموال النقدية ، والقسم الثانى : الأموال العينية .

القسم الأول :

كانت الأموال المصادرة تختلف فى مقاديرها بحسب الكفاءة المالية للأشخاص المصادرين ، وتتلاءم مع مكانة الشخص المصادر ، ومدى انصياعه وقبوله لمقدار المبالغ المفروضة عليه(٩٤) ، وكانت بعض المصادرات تقتصر على فرض مبلغ من المال يدفعه صاحبه حال وقوع المصادرة عليه ، دون تعرضه لأى أذى ، فبمجرد دفع المصادرة يتم الإفراج عنه (٩٥) ،وهناك طريقة أخرى يتم بموجبها دفع المصادرة ، وهى طريقة التعهدات لأجل معين ، ويتم ذلك بعد أخذ الإقرار الشخصى على المصادر كضمان بذلك " (٩٦) وكان كتاب الوزير المعزول وأعوانه يقدمون أحيانا معونة له عند مصادرته ، تضامنا معه وتخفيفا عنه .

إلا أن بعض الوزراء كانوا يرفضون ذلك " (٩٧) . فقد رفض على بن عيسى أن يقبل معونة من أحد عندما صودر . وعن مقادير الأموال النقدية التى تمت مصادرتها نعرضها على النحو التالى :

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٢٩٦ هـ / ٩٠٨م	علي بن عيسى	٥ر٠٠٠ دينار (٩٨)	
٢٩٦ هـ / ٩٠٨م	القاضي ، أبو عمر يوسف بن يعقوب	١٠٠ر٠٠٠ ،، (٩٩)	
٢٩٦ هـ / ٩٠٨م	التاجر، الحسين بن عبدالله ، ابن الجصاص	٦ر٠٠٠ ،، (١٠٠)	
٣٠١هـ / ٩١٣ م	علي بن أحمد الراسبي	١ر٠٠٠ر٠٠٠ ،، (١٠١)	
٣٠٢هـ / ٩١٤م	التاجر ، ابن الجصاص	٥ر٥٥٠٠ر٠٠٠ ،، (١٠٢)..	
٣٠٦هـ/٩١٨م	الوزير ، ابن الفرات .	٧٠٠ر٠٠ ،، (١٠٣)	
٣٠٦هـ/٩١٨م	ابن الوزير ،المحسن بن الفرات	٣٠٠ر٠٠٠ ،، (١٠٤)	
٣١٠هـ/٩٢٢م	القهرمانة ، أم موسى	١ر٠٠٠ر٠٠٠ ،، . (١٠٥)	
٣١١هـ/٩٢٣م	الكاتب ، ابن الحواري	٧٠٠ر٠٠٠ ،، (١٠٦)	
٣١١هـ/٩٢٣م	أبو الحسين بن بسطام (نسيب حامد بن العباس)	٣٠٠ر٠٠٠دينار (١٠٧)	
٣١١هـ/٩٢٣م	الوزير ، حامد بن العباس	٨٠٠ر... دينار (١٠٨)	
٣١١هـ/٩٢٣م	مؤنس (خادم الوزير حامد)	٣٠ر... ،، (١٠٩)	
٣١١هـ/٩٢٣م	الكاتب : ابن مقلة	١٠٠ر... ،، (١١٠)	
،، ،،	الكاتب : علي بن عيسى	٣٠٠ر٠٠٠ ،، (١١١)	
،، ،،	كاتب حامد بن العباس (الكلوذاني)	٢٦٠ر٠٠٠ ،، (١١٢)	
،، ،،	أحمد بن محمد البسطامي	٣٠٠ر٧ ،،	
،، ،،	علي بن الحسن الباذيني (الكاتب)	١١ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	أبو الفضل محمد بن أحمد بن بسطام	٥٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	محمد بن عبدالله الشافعي	٣٠ر٠٠٠ ،،	عما تصرف فيه لعلي بن عيسى

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٣١١هـ/٩٢٣م	محمد بن على بن مقلة	٨٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	أبو طاهر ، محمد بن الحسن	١٠٠ر٠٠٠	
،، ،،	الحسن بن أبي عيسى الناقد	١٣ر٠٠٠	وديعة لعلى بن عيسى
،، ،،	الحسن بن أبي عيسى	٤ر٠٠٠ ،،	صلحا عن نفسه
،، ،،	ابراهيم بن أحمد المادرائى	٢٠ر٠٠٠	
،، ،،	عبدالواحد بن عبيد الله بن عيسى	٣٦ر٣٣٠ ،،	عن بقية مصادرة والده
،، ،،	أحمد بن يحيى (الكاتب)	١٠ر٠٠٠ ،،	عن مصلحة وجبت عليه
	ابراهيم بن أحمد بن ادريس (الجهبذ) (١١٣)	٦ر٠٠٠ ،،	صلحا عن نفسه
،، ،،	محمد بن عبدالسلام بن سهل	٤ر٠٠٠ ،،	وديعة لمحمد بن على ولابراهيم المادرائى صلحا عن نفسه
،، ،،	عبدالوهاب بن أحمد بن ماشاء الله	٤٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	على بن حسن الباذينى	٢٠ر٠٠٠ ،،	صلحا عما تصرف فيه بالموصل عن نفسه
،، ،،	محمد بن عبدالله بن الحارث	١٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	محمد بن أحمد بن حماد	٢٥٠ر٠٠٠ ،،	عماتصرف فيه بالموصل
،، ،،	ابراهيم بن أحمد المادرائى	١٥ر٠٠٠ ،،	عن الباقى عليه من جملة خمسين الف دينار
،، ،،	أبو عمر ، محمد بن أحمد الجرجرائى .	١٠٠ر٠٠٠ دينار	عن ضمانه من مصادرة ياسر بن اسحاق عن أحمد بن محمد بن قرقر
،، ،،	أبو عمر بن الصباح	٣٠٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	على بن محمد الحوارى	٧٠٠ر٠٠٠ ،،	

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٣١١هـ/٩٢٣م	عبدالله بن أحمد اليعقوبى	١٠٠ر٠٠٠ درهم	
،، ،،	هارون بن أحمد الهمذانى	٧ر٠٠٠ دينار	
،، ،،	الحسن بن ابراهيم الخرائطى	١٠٠ر٠٠٠ درهم	صلحا عما اقتطعه من مال الرئيس
،، ،،	الحسين بن على بن نصير	١٠٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	عبدالله بن زيد بن ابراهيم	٢٠٥٠ دينار	
،، ،،	عبدالله بن زيد	١٥ر٠٠٠ ،،	صلحا عن نفسه
،، ،،	على بن محمد بن السمان	٢٥٠٠ درهم	من وراثة أحمد بن محمد ابن قرقر
،، ،،	على بن مأمون الاسكافى (كاتب ابن الحوارى)	٦٠ر٠٠٠ دينار	
.	أبو بكر ، أحمد بن القاسم الجرجانى	١٠ر٠٠٠ درهم	من ضياع على بن عيسى
،، ،،	الحسين بن سعد القطربلى	١٣٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	محمد بن أحمد بن ماسراد	١ر٥٠٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن بسطام	٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	أحمد بن محمد بن حامد بن العباس	٥٠ر٠٠٠ ،،	
	يحيى بن عبدالله بن اسحاق	٧٠ر٠٠٠ دينار	
،، ،،	حامد بن العباس (الوزير)	١ر٣٠٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	محمد بن محمد الواسطى	١٥٠ر٠٠٠ ،،	
	على بن عيسى	٣٢١ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	ابراهيم بن يوحنا (جهبذ حامد بن العباس)	١٠٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	ابو محمد ، الحسن بن أحمد المادرائى	٢ر٢٠٠ر٠٠٠ ،،	

السنة	الشخص المصادر	المبلغ	ملاحظات
٣١١ هـ/٩٢٣ م	أبو بكر ، محمد بن على المادرائى	١ر١١٠ر٠٠٠ ،،	
،، ،،	سليمان بن الحسن بن مخلد	١٣٠ر٠٠٠درهم [114]	
،، ،،	سليمان بن الحسن (كاتب ديوان المشرق)	٥٠ر٠٠٠ دينار [115]	
،، ،،	ابراهيم بن عيسى (أخو على بن عيسى)	٢٠ر٠٠٠ دينار [116]	
٣١١-٣١٢هـ/	رئيس الدواوين وكتابه وأنصاره	٧ر٥٧٥ر٦٨٠ ،، [117]	
٩٢٣ - ٩٢٤ م		٥ر٣٠٠ر٠٠٠درهم	
٣١٢ هـ/٩٢٤ م	ولدى ابن الفرات	١٠٠ر٠٠٠ درهم [118]	
،، ،،	ابن الفرات	٢٠٠ر٠٠٠ ،، [119]	
،، ،،	المحسن ابن الفرات	٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ،، [120]	
،، ،،	كاتب المحسن ابن الفرات	٣٠٠ر٠٠٠ ،، [121]	
،، ،،	زوجة المحسن ابن الفرات	٧٠٠ر٠٠٠ ،، [122]	
،، ،،	الخاقانى (الوزير)	٢٥٠ر٠٠٠ ،، [123]	
،، ،،	جعفر بن قاسم الكرخى	١٥٠ر٠٠٠ ،، [124]	
٣١٣هـ/٩٢٥م	ابو طالب النوبندجانى	١٠٠ر٠٠٠ دينار [125]	
٣١٤هـ/٩٢٦م	الوزير الخصيبى	٤٠ر٠٠٠ ،، [126]	
،، ،،	مجموع المصادرات فى عهد الخصيبى	١ر٠٠٠ر٠٠٠ ،، [127]	
٣١٥هـ/٩٢٧ م	البريديون (عمال واسط والبصرة)	٩ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم [128]	
٣١٦هـ/٩٢٨ م	مصادرات العمال فى عهد الوزير ابن مقلة	١٠٠ر٠٠٠ دينار [129]	
،، ،،	القاسم بن دينار وأحمد بن محمد ابن رستم	٦٠٠ر٠٠٠ درهم [130]	
٣١٨هـ/٩٣٠م	الوزير ابن مقله	٢٠٠ر٠٠٠ دينار [131]	
٣١٩هـ/٩٣١م	الخادم بشرى (خادم مؤنس)	٣٠٠ر٠٠٠ ،، [132]	تمت المصادرة فى عهد الوزير الحسين بن القاسم
٣١٩/٩٣١م	الوزير ، سليمان بن الحسن	٢٠٠ر٠٠٠ ،، [133]	
٣٢٠ هـ/٩٣٢ م	الوزير ، الحسين بن القاسم	٤٠ر٠٠٠ ،، [134]	

من خلال العرض السابق للجداول المالية التى تمثل المبالغ النقدية المصادرة من أصحابها يتضح مايلى :

أولا : بلغ مجموع الأموال النقدية بالدينار (٣١٧٦٨٣٦٠ دينار) وبلغ مجموع الأموال النقدية بالدراهم (٠٠٠ر٨٠٠ ر٢٤درهم) وبعد تحويل الدراهم الى دنانير على حساب سعر الصرف (١٤) درهما للدينار الواحد ، يصبح مجموع الأموال المصادرة :

(٧٨٨ر٥٣٩ر٣٣) دينار ، وهذا المبلغ يقل كثيرا عن المبلغ الذى قدره جورجى زيدان حيث قال" وبلغ مجموع ماقبضه المقتدر من اموال المصادرات (٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠) دينار (١٣٥) .

وقد يكون جورجي زيدان أدخل فى حساباته الأموال المصادرة غير النقدية كالعقارات مثلا ، أو النقود التى وجدت مدفونة تحت الأرض ولايفرق الأمر كثيرا ، فمبالغ المصادرات كانت كبيرة جدا ومرهقة للغاية .

ثانيا : يتضح لنا أن المصادرات بدأت منذ تولية الخليفة مقاليد الأمور ، أوبعدها بأشهر قليلة ، واستمرت حتى نهايه حكمه ، وكانت تبلغ أوج قوتها عندما يبعد الوزير عن الوزارة ، ففى تلك الفترة تشتد المطالبة بالأموال ويحفها صنوف التعذيب والتنكيل .

ثالثا : بلغت المصادرة قوتها وكثرتها فى سنة ٣١١هـ / ٩٢٣ م ، خلال وزارة ابن الفرات للمرة الثالثة ، فقد طغى وتجبر على كثير من الكتاب واعوانهم واستخرج منهم الأموال الطائلة .

رابعا : يلاحظ ان بعض الفئات كانت تتعرض للمصادرة اكثر من مرة فى السنة الواحدة .

القسم الثانى :

المصادرات العينية ، تعرض كثير من المصادرين الى نهب أملاكهم ، ودورهم وتجاراتهم ، وقد شملت تلك المصادرات الأقرباء والأهل ، والذرية ، فقد صودر التاجر ابن الجصاص على أمواله النقدية ، والعينية ، وكان من ضمن الأموال التى أخذت عليه البضاعات التى كان يتاجر بها ، وهى عبارة عن أقمشة وخيول ، بما قيمته (١٦ر٠٠٠ر٠٠٠) دينار [١٣٦] ، وكان ذلك فى عام ٢٩٦ هـ ٩٥٨ م أما فى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م فقد صودرت فاطمة القهرمانة على جميع أملاكها وأموالها وكان لها من مال عظيم[١٣٧] ، وفى العام نفسه ، صودر الوزير ابن الفرات ونهبت دوره ودور أهله ، وأخذ كل ماوجد لهم من الأثاث والمتاع [١٣٨] . وفى سنة ٣٠١ هـ / ٩٢٣ م صودرت أموال على بن محمد الراسبى الوالى على جند يسابور ، وكان مقدارها مليون دينار وآنية الذهب والفضة ومن الخيل والبغال الف رأس ومن الخز ألف ثوب ، وقيل : أنه كان له ثمانون طرازا ينسج فيها الثياب[١٣٩] ومرة ثانية يصادر التاجر ابن الجصاص فى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، فقد قبضت تجارته من العين والورق ، والجواهر ، والفرش والثياب والمستغلات والبساتين[١٤٠] وكان من ضمن الجواهر التى صودرت عليه سبحة من الجواهر قيمتها (٣٠٠ر٠٠٠) دينار[١٤١] .

وعندما تمت مصادرة الوزير على بن عيسى فى عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م تمت ايضا مصادرة أملاكه وأمواله واموال اهله وذويه[١٤٢] . وفى عام ٣١٢هـ / ٩٢٤م كانت مصادرة الوزير ابن الفرات فقد أخذ منه " الضياع والأقطاع والأملاك والعقار والأموال ، والغلات ، والأثاث ، والكراع [١٤٣] والجمال ولم يأخذ من أحد

من الوزراء قبله ولابعده مثل ذلك .[١٤٤]

وفى عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م أقدم الوزير ابن مقله على مصادرة ضياع الطبيب بختيشوع بن جبريل وجرى بيعها تحت اشراف الوزير بثمن بخس[١٤٥] ، وحصل للوزير نفسه أن أحرقت داره بعد أن كان يضرب بها المثل فى الحسن والجمال بما تحتويه من البساتين وانواع الطيور والحيوان وكان ذلك فى سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠ م[١٤٦] ، وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صودر أحد التجار ، وصودرت بضاعاته ، بسبب مالوحظ عليه من فضل فيما ابتاع من الضياع[١٤٧]

إدارة المصادرات :

قامت ضريبة المصادرات بالدور الأكبر فى حل الأزمة المالية الخانقة ونظرا للأهمية القصوى لهذا المورد المالى ، فقد استحدثت له ادارات متعددة ،ففى صدر الدولة الإسلامية ، كانت (دار الإستخراج)كفيلة بإدارة الأموال المستخرجة من الموظفين الذين يختلسون أموال الجبايات ، ولايؤدونها للدولة فأنشىء لهم (دار الإستخراج) [١٤٨] وفى الدولة العباسية تحورت دار الإستخراج الى (ديوان الإستخراج) ، " ومهمته متابعة أخبار الوزراء والكتاب والعمال والولاة والمهتمين بالرشوة لكى تحصى أسماؤهم وتحدد أوضاعهم ، ثم تصادر أموالهم التى جمعوها من الحرام "[١٤٩] وفى عهد المقتدر كثرت المبالغ المصادرة ، وتعددت المصادرات مماجعل الدولة العباسية تستحدث ديوانا خاصا للإشراف على استيفاء أموال المصادرات سمى بـ (ديوان المصادرات) وعندما تكون المبالغ المصادرة من شخص واحد كثيرة ، فان الأمر يتطلب استحداث ديوان خاص لإدارة تلك الأموال والممتلكات المصادرة مثل دواوين (المقبوضات والمخالفين ، والمرافق) ونشرح

طبيعة عمل كل ديوان على حده وعلى النحو التالى :

ديوان المصادرين :

لقد أنشىء ديوان المصادرين للإشراف على جمع واستيفاء أموال المصادرات سواء المنقولة أم غير المنقولة التى كانت تقرر بعد أن يتعهد الأشخاص المصادرون بدفعها .(١٥٠)

وكان يتولى ديوان المصادرين رجال ثقاة ، ومن المقربين إلى الوزير وتلك القرابة ، كانت وبالا عليهم ، لأنهم كانوا يبعدون بمجرد ابعاد الوزير ، وعندما تظهر خيانتهم ، كانوا يتعرضون للمصادرة (١٥١) ، ونعطى على ذلك مثالا : فقد كان المحسن ابن الفرات ، يتقلد ديوان المصادرين أثناء وزارة والده للمرة الثالثة (٣١١ - ٣١٢ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤م) لقد تعرض للمصادرة والتعذيب والقتل .(١٥٢)

لقد كان ديوان المصادرين يتولى استلام الأموال المصادرة ، ثم تذهب الى أحد بيتى الأموال (الخاصة او العامة)(١٥٣) حسب رأى الخليفة أولا ، ثم حسب حاجة الدولة الى الأموال ثانيا ، إلا أن الوزير ابن الفرات لم يتبع هذا الأسلوب ، ففى أثناء وزارته للمرة الأولى (٢٩٦- ٢٩٩ هـ / ٩٠٨ - ٩١١ م) وكل الى شخصين استلام اموال المصادرات ، وأمر أحد كتابه بمراجعة الحسابات ، دون صاحبى بيت المال ، وبعد النظر فى الوارد والمنصرف يأمر صاحب بيت مال العامة باستلام الباقى(١٥٤) ، وكان النظام المتبع أن توضع خطوط المصادرين فى خزائن الوزارة ، وقد شذعن هذا التنظيم الوزير الخصيبى (٣١٣ - ٣١٤هـ / ٩٢٥-٩٢٦ م) الوزراء ليتسلمها وزير عن وزير وأن تكتب نسختين نسخة للديوان ونسخة عند الوزير (١٥٥) لأن بقاءها عند صاحب الديوان بنسخة واحدة قد

تكون عرضه لان تباع وبذلك يحصل ضرر لبيت المال(١٥٦) .

ديوان المرافق :

يعتبر هذا الديوان من الدواوين المهتمة بشؤون الأموال المصادرة أنشأه الوزير علي بن محمد بن الفرات أثناء وزارته الثانية (٣٠٤ - ٣٠٦هـ / ٩١٦- ٩١٨ م) وهذا الديوان أنشيء من أجل استيفاء الأموال المصادرة من الوزير المخلوع علي بن عيسى ومن أخوته وعماله وكتابه(١٥٧) ، وتقلد العمل في ديوان المرافق هارون بن عمران (١٥٨) الذي تعهد باستخراج المرافق التي عند علي بن عيسى وأعوانه(١٥٩) .

ديوان المقبوضات :

كذلك يعد هذا الديوان من الدواوين المهتمة بشؤون الأموال المصادرة أنشأه الوزير حامد بن العباس (٣٠٦ - ٣١١ هـ / ٩١٨ - ٩٢٣ م) وقام بتنفيذ العمل فيه علي بن عيسى ، وهذا الديوان أنشيء لإدارة الأموال المقبوضة من أم موسى القهرمانة عندما تمت مصادرتها في عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م وقد تقلد العمل في هذا الديوان ابو شجاع الكاتب (١٦٠) ، وتقلد الزمام عليه ابو عبدالله اليوسفي الكاتب (١٦١) ، وقام ابو شجاع الكاتب باستخراج الأموال الكثيرة ، والجواهر النفيسة والثياب والكسوة والفرش ، والطيب ، حتى بلغ مجموع ماصودر من أم موسى من الأموال النقدية مبلغ مليون دينار (١٦٢) .

ديوان المخالفين :

يعتبر - ايضا - من الدواوين ذات العلاقة بالمصادرات أنشأه الوزير الحسين بن القاسم (٣١٩ - ٣٢٠ هـ / ٩٣١ - ٩٣٢م) وتقلد أعماله الكاتب محمد بن

جنى وقد أنشىء هذا الديوان لمصادرة أملاك قائد الجيش مونس المظفر ، وذلك اثناء تأزم العلاقات بين الخليفة المقتدر وبين قائد الجيش مؤنس في عام ٣١٩ هـ/٩٣١ م . وفى أعقاب تأزم العلاقات استغل الوزير ذلك وأصدر أوامره " بقبض أملاك مؤنس وضياع أسبابه " ، [١٦٣] وقد نال اعجاب الخليفة ماأقدم عليه الوزير الحسين بن القاسم وارتفعت منزلته عنده فأصدر أمره بأن يلقب بـ " عميد الدولة " وأمر أن يضرب لقبه علي العملة [١٦٤].

ومن الملاحظ أن هذه الدواوين الثلاثة كانت مؤقتة تزول بزوال الوزير ، أو بعد عملية تنظيم استلام الأموال من قبل ديوان المصادرين بحيث أن الأموال التى كانت تصادر ، كانت من الكثرة بمكان بحيث لايستطيع ديوان المصادرين استلامها ورعايتها ، فينشأ دواوين مؤقتة تقوم برعاية الأموال المصادرة حتى يتم تسليمها لديوان المصادرين بعد مراجعتها وتنظيم استلامها .

أثر المصادرات على استقرار الملكية :

لقد شكلت المصادرات مصدرا إضافيا من مصادر التوسع فى امتلاك الأسرة العباسية للضياع وتكوين الملكيات الواسعة من الأراضى الزراعية والعقارية فكانت المصادرات سلاح ذو حدين فهى من جهة كانت أكبر خطر على الملكية الفردية " [١٦٥] وكانت تصيب المثرين ولاسيما الموظفين منهم [١٦٦] " فقد منعت تراكم الثروة المفرط لدى بعض الأشخاص وقللت من التباين الإقتصادى [١٦٧] ، هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فقد عمل ذهاب الأموال المصادرة للخزينه على اعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب من جهة واستفادة الشعب منها فى بعض الأحيان عن طريق الخدمات التي تقدمها الدولة لهم " [١٦٨] وقد ذكر جورجى

زيدان بأن نظرة الخليفة تجاه الأموال الفردية المصادرة بأنها حق مغتصب من بيت المال وبذلك فالخليفة يرى ان استرجاعها لايعد جورا ولاإجحافا بحق أولئك المصادرين [١٦٩]، وهذه النظرة التى أوردها جورجى زيدان فيها شيء من المغالطة لأنه ليس كل الأموال المصادرة كانت حقوقا مغتصبة من بيت المال فقد لمسنا من خلال العرض السابق ان المصادرات طالت اقواما لايمتون الى الدولة بصلة لارسمية ولاخلاف ذلك ، امثال مصادرة التجار واقرباء واهل واولاد المصادرين وغيرهم فقد وصلت المصادرة لدرجة التعسف غير المعقول ، فقد أقدم الوزير الخصيبى (٣١٣-٣١٤هـ/ ٩٢٥ - ٩٢٦ م) على مصادرة اموال الناس وقال صاحب كتاب الصلة فى ذلك " ولم يدع أحد مالاأحس به الا أخذه بأتعس مايكون الأخذ " [١٧٠] ففى مجال الاعتداء على الملكيات الفردية ، نرى ان التاجر ابن الجصاص تعرض للمصادرة مرتين الأولى عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م والثانية عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، وفى كلا الفترتين صودرت تجارته وممتلكاته ، ففى المرة الأولى أخذ منه ماقيمته (١٦،٠٠٠،٠٠٠) دينار [١٧١] وفى المرة الثانية لم يبق له من الأموال شيئا سواء المنقولة او غير المنقولة وفى عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م صودرت املاك احد التجار بسبب مالوحظ عليه من فضل فيماابتاع من الضياع . [١٧٢]

وفى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م صودرت اموال القهرمانة فاطمة "وأخذ ماعندها من مال " [٧٣] وفى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م صودرت أملاك القهرمانة أم موسى واستخرج منها مليون دينار .

وهناك من تعرض للمصادرة من الوزراء بغير حق ، وقد شهدت بذلك جل المصادر وهو الوزير على بن عيسى بن الجراح ، فقد تعرض للمصادرة ولنهب املاكه

وتعرض للتعذيب والطرد من بغداد لا لأنه نهب واختلس من بيت المال وانما لانه حاول ان يسد عجز الدولة المالى من خلال التنظيمات الداخلية والتى تقضى باسقاط بعض المصروفات والنفقات التى لايرى ضرورة لها ، فوقف الخدم والحشم واهل البلاط فى وجهه فوشوا به عند الخليفة ، فتعرض للمسألة وهو ولايستحق ذلك (١٧٥) ، وفى مجال الاعتداء على الاملاك الفردية نرى ان الوزير ابن الفرات قد نهبت دوره وامواله ، هو وابنه وزوجته وكاتبه اكثر من مرة بل تقريبا ثلاث مرات حتى قيل " لم يأخذ من أحد من الوزرا ؟ء قبله ولابعده مثل ذلك ". (١٧٦)

وفى عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م تعرضت ثروة الراسبى للاعتداء والمصادرة وكان مقدارها (١،٠٠٠،٠٠٠) دينار بالاضافة الى آنية الذهب والفضة والخيل والبغال وانواع الأقمشة (١٧٧) ، وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م تعرضت املاك الوزير حامد بن العباس للمصادرة والنهب والاعتدا وعلاوة على ذلك فقد حياته (١٧٨) ، وشمل الاعتداء على املاك الأطباء، فقد اعتدى الوزير ابن مقلة على ضياع الطبيب بختيشوع وباعها بثمن بخس مع انها تساوى اكثر من عشرة ملايين دينار(١٧٩) .

وازاء الهروب من خطر المصادرات نشأت سنن غير مرغوب فيها منها ان من خاف على ماله لجأ الى حيلة ليخفوا ثروتهم عن العيون فمثلا اودعت الاموال عند اشخاص لايشتبه فيهم فقام الوزير ابن الفرات بوضع امواله عند القاضى ابى عمر (١٨٠) كماوضع كاتبه (٧٠،٠٠٠) عند أناس آخرين (١٨١) .

ومن السنن غير المرغوبة ، نشأت عادة دفن النقود ، وكانت من أخطر الامور التى جرت وبالا مدمرا على الأقتصاد العباسى ففى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، عندما صودر التاجر ابن الجصاص و " حفرت داره فوجدت له فى بستانه أموال

جليلة مدفونة فى جرار خضر وقماقم مرصعة الرؤوس فحملت بهيئتها الى دار المقتدر " [١٨٢] وفى عام ٣١١ هـ / ٩٢٣م اعترف الوزير حامد بن العباس انه دفن (٥٠٠،٠٠٠) دينار [١٨٣] ، ووجد له فى بئر المستراح ببغداد (٤٠٠،٠٠٠) دينار [١٨٤] ، وكان المتمردون فى عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قد أخرجوا من تربة السيدة ام المقتدر بالرصافة (٦٠٠،٠٠٠) دينار حيث كانت مخبأة هناك [١٨٥].

" وكان لدفن النقود أثر اقتصادى سيء ، اذ فقدت بذلك كميات كبيرة من النقود الذهبية والفضية بوفاة أصحابها ونتج عن ذلك حجز كميات كبيرة من النقود للتداول ممايؤدى إلى عرقلة الحركة التجارية وإلى اضعاف نمو المؤسسات الصيريفية " [١٨٦] ، وتشير عادة دفن النقود الى حالتين :

الأولى : أن المجتمع لم يعد يدرك تماما أهمية تشغيل الأموال ، وهذا يبدو أنه غير وارد بحكم كون العرب تجارا منذ الأزمنة القديمة .

الثانية : عدم استقرار أحوال الدولة العباسية (خلال حكم المقتدر) وهذا واردبلاشك لعدم وجود الزمن والاطمئنان . " وفى كلا الحالتين شل للحركة التجارية ". [١٨٧]

وماقيل عن الأملاك العقارية ، يمكن أن يقال عن الأموال النقدية فيظهر لنا جليا ان المصادرات كانت تتم بطريقة عشوائية ، ولم تكن هناك نسب محددة لمبالغ المصادرة ، ولم تكن حسب قدرة الشخص المالية فقد يدفع الشخص المصادر جزءا من المبلغ مقدما ويكتب خطوطا بالمبالغ المتبقية تدفع على شكل دفعات مقسطة ، فقد صودر ابن الفرات فى عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م على مبلغ (٧٠٠،٠٠٠)

دينار ، وكان دخله من ضياعه (١٫٥٠٠٫٠٠٠) دينار فان مصادرته تبلغ ٤٢٪ من دخله واحيانا بضطر المصادر الى بيع املاكه وجميع مقتنياته مثل الوزير حامد ابن العباس عندما صودر عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م . وهذا يعني ان المصادرة تجاوزت كل الدخل .

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا ان المصادرات سببت ارباكا للناس واصبح الكل يخاف على أمواله وممتلكاته ، فقد وصل الحال - كما لمسنا - أن بعض الوزراء كان يصادر أي شخص يحس أن عنده اموال ومن هنا اثرت المصادرات على الملكيات وخاصة من لهم صلة قرابة بالشخص المصادر سواء كانت المصادرة ذات سند شرعي او خلاف ذلك ، فقد لمسنا ان المصادرات طالت فئات لاعلاقة لهم بأجهزة الدولة الرسمية .

الخاتمة :

تعد ضريبة المصادرات من الضرائب التعسفية التى ماانزل الله بها من سلطان والتى كانت تفرض او تؤخذ نظير دوافع سياسة او شخصية او اقتصادية بحته .

- وقد كثرت المصادرات حينما انعدمت وسائل الرقابة المالية فعمت الفوضى الإدارية وتوالت المؤامرات من قبل الوزراء والكتاب والحاشية على بعضهم البعض ، ولم يعد أحد يطمئن على نفسه وماله وتسبب عن هذا حدوث حركات تمردية استهدفت قطع علاقاتها بمركز الخلافة . الامر الذى ادى الى ضياع وحدة الدولة .

- لقد أدت المصادرات الى أمور غير مرغوب فيها فالوزراء والموظفين واعوانهم صاروا مضطرين الى جمع الاموال بوسائل غير مشروعة استعدادا لليوم الاسود (يوم المصادرة والتنكيل).

ثم ان المصادرات ادت الى خلق روح الكراهية والحقد والانتقام ، فكان بمجرد ان يأتى الوزير الجديد الى كرسى الوزارة يبدأ فى تصفية حساباته مع الوزير السابق وأعوانه وخاصه ممن تولى الوزارة لاكثر من مرة فيعود ومعه اعوانه وهم مشبعون بروح الانتقام وهذا بدوره يؤدى بلاشك الى اضطراب الامن وانتشار الظلم ويزيد ايضا فى الاحقاد والضغائن ، وحبك المكائد للايقاع بالخصوم ومن هنا تولدت روح الكراهية والانتقام .

- لقد ادت المصادرات الى الاعتداء على الملكيات الفردية ونهبت اموال الناس فى عهود بعض الوزراء وتسلط آخرون على ممتلكات وعقارات المصادرين حتى ان الامر قد امتد ليشمل اناسا غير رسميين ليست لهم علاقة بمؤسسات للدولة .

واخيرا لقد اصبحت المصادرة فى عصر الخليفة المقتدرة عادة متبعة يتم بموجبها استخراج الاموال بالقوة والعنف وكان حب المال هو الدافع الى ذلك وان تعارضت اساليبها مع الشرع والعرف والاخلاق .

" الهوامش والتعليقات "

(١) صالح العلى : التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى ص ١٢٤ .

(٢) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٦ .

(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٧ ، ص ٢١٦.

(٤) الذهبى : دول الاسلام ، جـ١ ص ١٣١ .

(٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٨ ، ابن دحية : النبراس ، ص ١٠٩.

(٦) عن موضوع فساد نظام الوزارة يمكن الاطلاع على أهم ماكتب فى ذلك .
الصابى : الوزراء مسكويه :تجارب الأمم ، جـ١ ، ابن الطقطقا : الفخرى .

(٧) عريب : الصلة ص ٤١ ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٦٧ .

(٨) مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ، ص ٢٦ / ٢٧ / ١٣٧ . عريب : الصلة ، ص ٧٢ . الصابى : الوزراء ، ص ٤٠ / ٦٩ / ٧٠ .

(٩) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٦٥ .

(١٠) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص ٢٩٢ . التنبيه ، ص ٣٢٧ .

(١١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٤٤٧ .

(١٢) الرازى : مختار الصحاح . ص ٣٥٨ .

(١٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ١ ، ص ٢٢٠.

(١٤) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، جـ١ ، ص ٤١٢ .

(١٥) الصابى : الوزراء ، ص ٤٤ . مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ،ص٨

(١٦) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٦ / ٢٨٧ .

(١٧) الصابى : الوزراء ، ص ١٥٢ ، مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٢٨ ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(١٨) الصابى : الوزراء ، ص ٢٤٥.

(١٩) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٥٧ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ، ص ٤٣ .

(٢١) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧٣ .

(٢٢) عريب : الصلة ، ص ١٢٧ / ١٢٨ .

(٢٣) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، جـ١ ، ص ٤١٥ .

(٢٤) محمد بن عبدون ، من الأهواز ، كان من كتاب الدواوين الحذاق ، طمع فى منصب الوزارة ، فأدى ذلك الى مصادرته وإبعاده عن الدواوين حتى جاء عهد الخليفة الراضى بالله فقلده دواوين الأزمة ، عريب : الصلة ، ص ٢٧ .

(٢٥) الصابى : الوزراء ، ص ٣١ .

(٢٦) ام موسى : هى بنت العباس بن محمد بن سليمان بن محمد بن ابراهيم الإمام ، والقهرمانة : تعنى الوكيل . كان لها اليد الطولى فى ادارة شئون الدولة . مجهول : العيون ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ١٦٦ .

(٢٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٦٧ .

(٢٨) خوله شاكر : بيت المال ، ص١٩٦

(٢٩) اليوزبكى : الوزارة ، ص ١٥٧ .

(٣٠) م . س .ن : ص ١٥٨ . ترمز هذه الأحرف الثلاثة إلى اختصار جملة (المصدر السابق نفسه) . م : المصدر . س . السابق . ن : نفسه.

(٣١) مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ، ص ١٧.

(٣٢) عريب : الصلة ، ص ٢٢ .

(٣٣) مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٦٥ .

(٣٤) الأزدى : اخبار الدول المنقطعة ، ص ٢١٤ / ٢١٥ .

(٣٥)صلاح الدين المنجد : بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١١٨ .

(٣٦) الكبيسى : المقتدر بالله ، ص ٥٥٥.

(٣٧) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٦٢.

(٣٨) الأزدى : اخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢٧ .

(٣٩) الصابى : الوزراء ، ص ٣٤٢ .

Sourdel : Le Vzirat , Abbassde, L . 448 .

(٤٠) جورجي زيدان : التمدن الاسلامى ، جـ ١ ، ص٤١٦ .

(٤١) الكبيسى : المقتدر بالله ، ص ٢٤١ .

(٤٢)الصابى : الوزراء ، ص ٣٨

(٤٣) عريب : الصلة ، ص ٣٩ .

(٤٤) الكبيسى : المقتدر بالله ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٤٥) عـريب : الصلة ، ص ١٦٤ ، ولـم تطل أيام وزارة الكلوذانى أكـثـر من شهرين وثلاثة أيام .

(٤٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص ١٤٥ .

(٤٧) مسكويه : تجارب الامم ، جـ١ ، ص ١٢٨ .

(٤٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٣٨ .

(٤٩) عريب : الصلة ، ص ٦١ .

(٥٠) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٨٠ .

(٥١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٤٥.

(٥٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ٢٠٢.

(٥٣) الصابى : الوزراء ، ص ٣١ .

(٥٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٤٧ .

(٥٥) الصـــابى: الوزراء ،ص ٢٤٥، ٢٤٦ ، ابن الجــوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص١٧٣

Bown : Ali Ben Isa . P . 225

(٥٦) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧١ .

(٥٧)مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٤٥ .

(٥٨) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ٢٠٢ .

(٥٩) م . س . ن : جـ ٦ ، ص ١١٢ .

(٦٠) م . س . ن : جــ٦ ، ص ١٦٧ ، ابن الأثيـــــر : الكامل ، جــ٦ ، ص ١٧٢

ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ١٤٥ .

(٦١) Bown : Ali Ben Isa . P . 198 .

(٦٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(٦٣) فهمى عبدالرازق : العامة فى بغداد ، ص ٣٧ .

(٦٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(٦٥) عريب : الصلة : ص ١٦٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٨ .

(٦٦) التنوخى : نشوار المحاضرة ، جـ١ ، ص ٢٥ . ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ٨٢ .

(٦٧) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٣١٠ .

(٦٨) السامرائى : الإدارة المالية فى الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٥٤١ .

(٦٩) م . س . ن : جـ٢ ، ص ٥٢٩ .

(٧٠) عريب : الصلة ، ص ١٢٧ / ١٢٨ .

(٧١) الصابى : الوزراء ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٧٢) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٨.

(٧٣)صلاح الدين المنجد : بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١١٨ .

(٧٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص ١٤٥ .

(٧٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير : الكامل ، جـ٦ ص ١٣٩ .

(٧٦) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٦٧ .

(٧٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ١٧٩ . ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧٠ .

(٧٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٥٥ .

(٧٩) م . س . ن : جـ١ ، ص ٢٠٣ .

(٨٠) م . س . ن : جـ١ ، ص ٨٣ .

(٨١) مجهول : العيون والحدائق ، ص ٢٤٧ .

(٨٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(٨٣) عريب : الصلة ، ص ١١٢ .

(٨٤) م . س . ن : ص : ٦٩، مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص١٣٣ .

(٨٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٨٩ .

(٨٦) Bowen : Ali Ben Isa . P . 198

(٨٧)الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢٧ ، الصابى : الوزراء ، ص ٢١٠ .

(٨٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ٢٠٣ ، وتعد دار الوزير ابن مقله من أجمل الدور العباسية ، وقد أنفق على تشييدها (٢٠٠ر٠٠٠) دينار ، وكان يحيط بها بستانا جميلا ، به مكان خاص لتربية الطيور والحيوانات تضم أغرب وأجمل أنواع الطيور والحيوانات . انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٩ .

(٨٩) الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢٧ .

(٩٠) ابن الأثير : الكامل ، ص ٦ ، ص ١٧٤ .

(٩١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٢٢٨ .

(٩٢)مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٠٤ .

(٩٣) م . س . ن : جـ١ ، ص ١٣٨ .

(٩٤) الكبيسى : المقتدر بالله ، ص ٥٥٥، السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٩ .

(٩٥) الصابى : الوزراء ، ص ٣٣ ، ٥٤ ، مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٠٩.

التنوخى : الفرج بعد الشدة ، جـ١ ، ص ١٢٧.

(٩٦) التنوخى : نشوار المحاضرة ، جـ٨ ، ص ٢٥ .

(٩٧) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٨ .

(٩٨)مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٨ .

(٩٩) م . س . ن : جـ١ ، ص ١٤ .

(١٠٠) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ، جـ١ ، ص ٢٧١ ، بينما ذكر ابن كثير مبلغا اكبر من ذلك بكثير حيث قدر المصادرة بستة ملايين دينار وأعتمدنا رواية الكتبى لقلة مبلغها الذى كان فى حدود المقبول والمعقول ، لأن ابن كثير قد بالغ فى الرقم ، فهناك فرق كبير بين ستة آلاف دينار ، وستة ملايين دينار ، ولعل المبالغة فى رقم ابن كثير ناتجة عن خطأ فى نسخ المخطوط ، أو فى طباعته . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ١٠٧ .

(١٠١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ص ١٢٦ ، وقد ذكرها مسكويه بنصف

مليون دينار ، جـ١ ،ص ٣٤٠ .

(١٠٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص ٣١٠ ، وقد اختلفت الروايات حول المبالغ المصادرة من ابن الجصاص ، فقد ذكر مسكويه بأنها أربعة ملايين دينار ، جـ١ ، ص ٣٥ ، وذكر عريب بأنها ستة ملايين دينار ، ص ٤٨ ، وذكر ابن الجوزى بأنها كانت ستة عشر مليون دينار ، جـ٦ ، ص ١٢٧ ، وقد اعتمدنا رواية المسعودى لسبقه فى نقل الرواية من جهة ، ثم لتقارب روايات مسكويه ، وعريب مماذكره المسعودى من جهة أخرى ، اما مبلغ ابن الجوزى فيبدو انه قد اشتمل على جميع الأموال المصادرة النقدية والعينية مجتمعة .

(١٠٣ ، ١٠٤) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٦٤ / ٦٦.

(١٠٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٦٧ .

(١٠٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٩٣ .

(١٠٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٨٠ .

(١٠٨) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٠٢ ، بينما ذكر ابن الجوزى بأن مقدار المصادرة كان (٠٠٠ر٣٠٠ر١) دينار ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ ، بالاضافة الى الأموال التى وجدت مدفونة فى بئر المستراح ببغداد ، ومبلغها (٠٠٠ر٤٠٠) دينار ، انظر ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٨٣ / ١٨٤.

(١٠٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

Jurgi Zaydan : History of Islamic Civilization .p.210

(١١٠) ابن الطقطقا : الفخرى ، ص ٢٧١ .

(١١١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(١١٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٠٠ .

(١١٣) الجهبذ : هو الشخص الذى يتولى رئاسة مجلس الجهبذ فى ديوان الخراج والجهبذة ضريبة تعسفية ليس لها أصل ، ويطلق مصطلح الجهبذ على الصراف الصابى : الوزراء ، ص ٣٧ / ٤٨ .

(١١٤) هذه قائمة وجدت فى ديوان المغرب من الدواوين المالية فى عهد المقتدر تضمنت زسماء من تمت مصادرتهم ابان وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١ - ٣١٢ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤م) بداء من أحمد بن محمد البسطامى وانتهاء بسليمان بن مخلد .

وردت هذه القائمة فى كتاب الوزراء للصابى ، ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .

Jurgi Zaydan : History of Islamic Civilization .p.211

(١١٥) الصابى : الوزراء ، ص ٤٤ .

(١١٦) م . س . ن : ص ٥٠.

(١١٧) Bowen : Ali Ben Isa . p . 225 .

(١١٨) ابن مخلدون : العبر ، جـ٣، ص ٧٧ .

(١١٩) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٨٩ .

(١٢٠)ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٧٧ .

(١٢١) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٢٨ .

(١٢٢) م . س .ن : جـ١ ، ص ١٤١ .

(١٢٣) م . س .ن : جـ١ ، ص ١٤٤ .

(١٢٤) م . س .ن : جـ١ ، ص ١٤٤ .

(١٢٥) م . س .ن : جـ١ ، ص ١٤٧ .

(١٢٦) م . س .ن : جـ١ ، ص ١٤٧ .

(١٢٧) م . س .ن : جـ١ ، ص ١٥٠ .

(١٢٨) م . س .ن : جـ١ ، ص ٢٠٨ .

(١٢٩) الكبيسى : المقتدر بالله ، ص ٢٢٣ .

(١٣٠) م . س .ن : ص ٢٢٣ .

(١٣١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٠٩ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ، ص ١٦٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٧٨٧ ، بينما ذكر مسكويه رقما كبيرا مبلغه (٢٫٠٠٧٫٠٠٠) دينار ، جـ١ ، ص ٢٠٩ . ويبدو أن هذا الرقم فيه مبالغة كبيرة جدا . وقد اعتمدنا المبلغ المثبت فى الجدول نظرا لتواتر رواته واتفاقهم على مبلغه .

(١٣٢) عريب : الصلة ، ص ١٦٧ .

(١٣٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٢١٢ .

(١٣٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٢٠.

(١٣٥) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ، جـ١ ، ص ٤١٦ .

(١٣٦) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ، جـ١ ، ص ٢٧١ . التنوخى : نشوار المحاضرة ، جـ١ ص ٢٥ .

(١٣٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١١٢ .

(١٣٨) الطبري : تاريخ ، جـ١٠ ، ص ١٤٥ ، حتى ان الخليفة سمح للجند والعوام من نهب دوره ودور أبنائه .

(١٣٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٢٦ .

(١٤٠) المسعودي : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص ٣١٠ .

(١٤١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦، ص ٧٠.

(١٤٢) عريب : الصلة ، ص ٦١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٣٨ / ١٤٧.

(١٤٣) الكراع : من معانى الكراع انه كان يطلق على الخيل والبغال والحمير. الصابى : الوزراء ، ص ٢٣ .

(١٤٤) الصابى : الوزراء ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٠٩ .

(١٤٥) السامرائى : الإدارة المالية فى الإسلام ، جـ٢ ، ص ٥٢٩ .

(١٤٦) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٢٠٣ . مجهول : العيون والحدائق ، جـ٤، ص ٣٥١، ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٠٩ .

(١٤٧) مسكويه: تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٢٣١ .

(١٤٨) صالح العلى : التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية فى البصرة ، ص ٢٢٨ .

(١٤٩) صبحى الصالح : النظم الإسلامية ، ص ٣١٧، اليوزبكى : دراسات فى النظم الإسلامية ، ص ١٤٥ .

(١٥٠) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٩٠ .

(١٥١)مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٢١ .

(١٥٢) الصابى : الوزراء ، ص ٣٣٢ .

(١٥٣) بيت مال الخاصة : هو المحل الذى تحفظ فيه أموال الخلفاء وحاشيتهم وقد أنشىء لسدنفقات الخليفة وحاشيته ، ويعتمد فى دخله على الضياع السلطانية ، وبعض أموال المصادرات.

بيت مال العامة : هو المحل الذى تحمل إليه الأموال من الأقاليم لتعد للمصلحة العامة .

انظر : الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٢٩ .

(١٥٤) التنوخى : نشوار المحاضرة ، جـ٨ ، ص ٢٤ ، السامرائى : المؤسسات الادارية ، ص ٢٩١ .

(١٥٥) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ١٥٥ .

(١٥٦) Sourdel : le Vzirat , Abbassde p . 440 .

(١٥٧) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ٤٢ . السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٩٩ .

(١٥٨) الصابى : الوزراء ، ص ٣٨ .

(١٥٩) م . س .ن : ص ٢٨ / ٣٧ / ٩٢ .

(١٦٠) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٥٤ . الصابى : الوزراء ، ص ٣١١ .

(١٦١) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٣٠١ .

(١٦٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٣٠ .

(١٦٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ٢٢٢ ، الهمدانى : التكملة ، ص ٨٣ .

(١٦٤) م . س .ن ص ٨٣ . السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٣٠٣ .

(١٦٥) السامرائى : الإدارة المالية فى الإسلام ، جـ٢ ، ص ٥٢٣ .

(١٦٦) الصابى : الوزراء ، ص ٣٣٣.

(١٦٧) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٢٥٨.

(١٦٨) السامرائى : المؤسسات الإدارية ، ص ٢٩٠ .

(١٦٩) جورجى زيدان : التمدن الاسلامى ، جـ٢ ، ص ١٦٦ . الكبيسى : المقتدر ص ٥٥٥ .

(١٧٠) عريب : الصلة . ص ١٢٧ / ١٢٨ .

(١٧١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ٨٢ .

(١٧٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ٢٣١ .

(١٧٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١١٢ .

(١٧٤) م . س . ن : جـ٦ ، ص ١٦٧ .

(١٧٥) وتعرض أخويه ، ابراهيم وعبدالله وابنه للمصادرة ونهب املاكهم ودورهم وحوسبوا محاسبة عسيرة ، انظر : عريب : الصلة ، ص ٦١ . ابن الجوزى : المنتظم جـ٦ ، ص ١٤٧ .

(١٧٦) م .س . ن : جـ٦ ، ص ١٠٩ .

(١٧٧) م . س . ن : جـ٦ ، ص ١٢٦ .

(١٧٨) م . س . ن : جـ٦ ، ص ١٧٣ .

(١٧٩) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٢٠٠

(١٨٠) م . س . ن : جـ١ ، ص ٦٧ .

(١٨١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، جـ٨ ، ص ٥٣.

(١٨٢) عريب : الصلة ، ص ٤٨ .

(١٨٣) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ص ١٠٢ .

(١٨٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ٦ ، ص ١٨٣ .

(١٨٥) مجهول : العيون والحدائق ، ص ٣٤٢.

(١٨٦) الدورى : تاريخ العراق الإقتصادى ، ص ٢٦٠ .

(١٨٧) الكبيسى : المقتدر ، ص ٢٤٥ .

المصادر والمراجع

اولا : المصادر :-

ابن الاثير : ابو الحسن على بن أبى الكرم ، محمد بن عبدالكريم الجزرى : (ت ٦٣٠ هـ) :- " الكامل فى التاريخ " ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٥٣هـ.

ابن الجوزى : ابو الفرج ، عبدالرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ).
" المنتظم فى تاريخ الملوك والامم " حيدر آباد ، ١٣٥٧ هـ

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر " دار الكتاب اللبنانى ، المطبعة الباسلية ، بيروت ، ١٩٥٧ .

ابن دحية : مجد الدين ، عمر بن حسن بن على (ت ٦٣٣ هـ)
" النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس " تحقيق ، المحامى عباس الغزاوى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٦٥ هـ .

ابن شاكر الكتبى : محمد بن احمد (٧٦٤ هـ)
" فوات الوفيات " تحقيق ، محمد محى الدين عبدالحميد ، نشر : مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥١ م .

ابن الطقطقا : محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)
" الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية " دار بيروت

للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ .
ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) " البداية والنهاية فى التاريخ " مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢ م
ابن منظور : جمال الدين ، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١ هـ)
" لسان العرب " نشر : دار صادر ، ودار بيروت ، طبعة دار لسان العرب بيروت ١٣٨٩ هـ .
الازدي : جمال الدين ، ابو الحسن ، على بن ابى منصور (ت ٦١٣ هـ)
" اخبار الدول المنقطعة ، تاريخ الدولة العباسية " تحقيق د . محمد بن مسفر الزهرانى ، مطبعة العانى ، القاهرة ١٤٠٨
نشر : مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
التنوخى : ابو على ، المحسن بن ابى القاسم على بن محمد (ت ٣٨٤ هـ)
" جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة " جـ٨ من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، مطبعة ابن زيدون دمشق ، ١٩٣٠ م.
التنوخى : " الفرج بعد الشدة " الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
الخطيب البغدادى : ابو بكر ، احمد بن على (ت ٤٦٣ هـ)
" تاريخ بغداد او مدينة السلام " دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٣١ م .
الذهبى : شمس الدين ، ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ)

" دول الاسلام " مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،١٣٦٤ هـ
الرازى : محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر (ت ٦٦٦هـ "
" مختار الصحاح " نشر : دار الكتب العربية ، بيروت .
الصابى : ابو الحسن ، الهلال بن المحسن بن ابراهيم بن زهرون (ت ٤٤٨هـ)
" الوزراء او تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء " تحقيق : عبد الستار احمد فرج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
الطبرى : ابو جعفر ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) " تاريخ الرسل والملوك "
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م القاهرة
عريب ، بن سعيد القرطبى ، (ت ٣٦٩ هـ)
" صلة تاريخ الطبرى " تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع ونشر : دار المعارف بمصر ، القاهرة .
مجهول : " العيون والحدائق فى اخبار الحقائق " باعتناء دى خويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٧١ م .
المسعودى : ابو الحسن ، على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ)
" مروج الذهب ومعدن الجوهر " تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد نشر : دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٣ هـ
المسعودى : " التنبيه والاشراف " باعتناء دى خويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٨٣ م .

مسكويه : ابو على ، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ)
" تجارب الامم " ، جـ١ ، مطبعة التمدن الصناعية بمصر ، ١٣٣٢ هـ .
الهمدانى : محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١ هـ)
" تكملة تاريخ الطبرى " تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم طبع ونشر : دار المعارف ، القاهرة .

ثانيا : المراجع :-

ادم متز : " الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى او عصر النهضة فى الاسلام " ترجمة : عبدالهادى ابو ريدة . طبع ونشر : دار الكتاب العربى ، بيروت ومكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ .
جورجى زيدان : " تاريخ التمدن الاسلامى " مؤسسة خليفة للطباعة منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .
خوله شاكر الدجيلى : " بيت المال نشأته وتطوره " مطبعة وزارة الاوقاف بغداد ، العراق ، نشر : جامعة بغداد ، ١٣٩٦ هـ .
الدورى ، عبدالعزيز : " تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى " . دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ م .
السامرائى : حسام الدين : " المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية "
دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ
السامرائى : " الادارة المالية فى الاسلام ، بحث تطور ملكية الارض فى العصور العباسية " جـ٢ ، طبع ونشر : المجمع الملكى لبحوث

الحضارة الاسلامية الاردن ، عمان ، ١٩٨٩ م .
صالح العلى : " التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول الهجرى " طبع ونشر : دار الطليعة ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م .
صبحى الصالح : " النظم الاسلامية " دار الملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٦ هـ .
صلاح الدين المنجد : " بين الخلفاء والخلعاء " دار الكتاب الجديد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ م ، بيروت .
فهمى عبدالرازق سعد : " العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين " الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد : " الخليفة المقتدر بالله ، ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ " مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ١٣٩٤ هـ .
اليوزبكى ، توفيق سلطان : " الوزارة ، نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية " مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ ، نشر : وزارة التربية والتعليم العراقية .

ثالثا : المراجع الأجنبية :-

Bown , H . " The Life and Times of Ali Ben Isa , The Good Vasier " Cambridge , 1928 .

Sourdel D . : " Le Visirate Abbassides , 749 A936 (132 A 324 de Heqiere " 3 Vol . : Damascus , 1959

Jurji Zaydan : " History of Islamic Civilization " Translated by D . S . Margoliouth , Published by : Nusrat Ali Nasri. Kitab Bhavan . (R ep . 1981) .

لمعان الضوء فى دياجير الظلام
دراسة لعهد الصدر الأعظم محمد كوبريلي
١٠٦٦ هـ - ١٠٧١ هـ
١٦٥٦ م - ١٦٦١ م

تأليف
د . يوسف بن على بن رابع الثقفى
الأستاذ المشارك فى التاريخ الحديث بكلية الشريعة
بجامعة أم القرى
. مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهى عصر القوة والمجد والسؤدد فى الدولة العثمانية بوفاة السلطان سليمان القانوني عام ٩٧٤ هـ - ١٥٦٦ م ، وبدأ بعده عصر الضعف والتفكك ، انتهي العصر الذى وصلت فيه الفتوحات العثمانية الى أواسط أوربا ليأتى بعده عصر التفكك ومنافسات داخلية ساهمت في ضعف الدولة وتدهور الأوضاع فيها حتى أصبحت مستهدفة لأعدائها في الداخل والخارج وأصبحت في موقف الدفاع بعد أن كانت في موقف الهجوم .

أن الفترة الزمنية التي سبقت تولى حكم كوبريلي منصب الصدارة العظمى (*) في حكومة الدولة العثمانية شهدت مآسي كثيرة مؤثرة . فالادارة تفشت فيها مظاهر الفساد وعدم الضبط ، والجيش الذى كان يفتح في أوربا تحت راية الاسلام قادته يتخبطون في المؤامرات الداخلية وتنصيب سلطان وعزل آخر ، والعامل الديني الذى كان المحرك الأول للفتوحات العثمانية في أوربا لم يعد كما كان حيث أصبح رجال الدولة من سادة وجنود مهتمون بجمع المال وملذات الدنيا . [1]

لقد انتشرت الفوضي في الأقاليم ، وسيطر بعض الثوار على مناطق كثيرة ، وازداد نفوذ القواد الانكشاريين ، وأكثر الموظفون من أخذ الرشوة ، وأصبح النفوذ

(*) الصدارة العظمى هي الديوان العالي أو ديوان الهمايوني في اسطانبول والذى يتكون من الوزراء والمفتى ؛ والسلطان لا يجلس معهم في الديوان ولكنه يجلس في مكان يطل منه عليهم ، فيرى ويسمع ما يدور فيه ، وعلى أعضاء أن يرفعوا أصواتهم ويفصحوا في عباراتهم لكي لا يخفى على السلطان شيء ولكي يعرف الأصلح والأنفع منهم ، ورئيس هذا الديوان يسمى ب " الصدر الأعظم " .

" اتحاف الملوك الألباب " مؤلف مجهول ترجمه من الفرنسية خليفة محمود ص ٣٦٦

(١) اتخاف الملوك الألباب ، لا يعرف مؤلفه ، ترجمه من الفرنسبة خليفة محمود ، ص ١٧٩ .

السلطاني فى أيدى نساء القصر ، وزادت أطماع الدول الأجنبية في أملاك الدولة . [1]

يقول المؤرخ العثماني اسماعيل سرهنك :

" قد كانت أحوال الدولة في ذلك الوقت (يقصد النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادى) في أشد المضايقة ، وماليتها على شفا الافلاس ، وجنديتها البرية التي دبت بينها عوامل التحزب والانحطاط، وأباد البنادقة أساطيلها في عدة وقائع واستولوا على عشر جزر مهمة ببحر الأرخبيل ، كل ذلك والدولة في حالة سبات وخمول ، لا تتمكن من رتق فتق الا وقد فتح فيها فتوق ، ولا تقدر على سد شق الا واتسعت منها شقوق حتى قيض الله لها رجلا شهما حازما ، ووزيرا عالي الهمة نادرا ألا وهو كوبريلي محمد باشا ، وكان من الذين حنكتهم التجارب ودربتهم الأيام . ولما قبض علي مسند الصدارة شمر عن ساعد الجد لسد الخلل ورأب الصدع فتمكن من مراده لكونه كان يريد في الحقيقة الاصلاح ويبتغي بكل جوارحه النجاح ، وهكذا كل أمر خلصت له النية وحسنت فيه الطوية فأخذ في استئصال عروق الفساد ، والتفت الى توطيد دعائم السلطنة ، وتحسين نظام الادارة، وتقوية الجنود البرية والبحرية ، ، وترتيبها وتدريبها ، وغير ذلك من الأعمال المفيدة والآراء السديدة ، حتي اكتسبت الدولة حياة جديدة وطريقة حميدة » . [2]

---

(١) Kinross . Lord , The Ottoman Centuries . The Rise and Fall Of the Turkish Empire , P. 329

محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩

(٢) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٧ / ١٦٨

انه بلا شك أن هذه المقولة تعطينا الصورة واضحة بأن الفترة الذهبية للدولة العثمانية انتهت - كما أشرنا - بوفاة السلطان سليمان القانوني ، وأن الدولة مرت بعد ذلك في دياجير ظلام شديد الظلمة ، ثم لاح للأعيان بريق من الأمل وضوء لامع استمر فترة زمنية قصيرة بالنسبة لعمر الدولة العثمانية ؛ وكان هذا اللمعان على الرغم من قصر مدته له أهمية عظيمة لا سيما وأنه أدى الى تغيرات حاسمة وبناءة في كيان الدولة العثمانية في زمن قياسي ، وهذا ما سنناقشه في هذه الدراسة المتواضعة علنا نصل الى معرفة الدور الحاسم الذى لعبه هذا الوزير - محمد كوبريلي - في الحفاظ على سمعة الدولة العثمانية وتماسكها بعد أن كانت على شفا حفرة الانهيار ، وعلنا نصل أيضا الي توكيد ما ذهبنا اليه في عنونة هذه الدراسة بـ " لمعان الضوء في دياجير الظلام " خاصة وأن ما حققه هذا الوزير من أعمال عظيمة في زمن قياسي جعلني لا أتردد في تسمية فترة حكمه بالعنوان المشار اليه.

ان مما زاد الأمر سوءا في الدولة العثمانية قبل تولي محمد كوبريلي منصب الصدارة هو قيام السلاطين العثمانيين بقتل اخوانهم ومنافسيهم على العرش ، وازدياد القادة العسكريين ، والقضاء على محاولات الاصلاح التي حاول أن يقوم بها بعض السلاطين . ففي عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م قتل السلطان وزيره الصدر الأعظم [١] ، وشهد عام ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م اعدام السلطان ابراهيم [٢] وتولية ابنه الصغير محمد الرابع عشر الخلافة العثمانية ، وخلال الثمان سنوات

---

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٣٤

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٩ ، محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩

الأولى لحكم الصبي(*)عانت الدولة من تمرد وعصيان الانكشاريين والسباهيين . كل هذه الأمور ساعدت على وقوع الدولة تحت التهديد الخارجي ، لا سيما وأن القيادة البحرية العثمانية لم تكن بالمستوى الذى كانت فيه في الماضي ، وهذا ما دفع البنادقة الي التحكم في شواطيء البحر المتوسط كما أرادت . (١)

وفي حقيقة الأمر أن البندقية استغلت تدهور الأوضاع في الدولة العثمانية فحاصرت المضايق وساحل بحر ايجة وموانيء المورة ، وعندما حاولت الدولة العثمانية مقاومتهم انهزم الاسطول العثماني وأسر البنادقة الفا من رجال الجيش العثماني وخسروا ست سفن مسجلين بذلك هزيمة نكراء للعثمانيين . (٢)

لم يتوقف البنادقة عند هذا الحد بل قاموا بتعزيز قواتهم في جزيرة كريت واستولوا على تيندوس (Tenedos) وليمنوس(Lemmos) (٣) من أهم المدن المطلة على المضائق مما أثر على وصول الامدادات الى اسطانبول ، وأساء أيضا الي مشاعر المواطنين العثمانيين،خاصة وأن خطوط الملاحة الموصلة الي مصر

(*) أدلى أحد الذين شاركوا في الاطاحة بالسلطان ابراهيم بتصريح قال فيه : " انه من الممكن مع ارتقاء العرش سلطان حدث أن يشغل الصدارة العظمى رجيل خصيف في مقدوره أن يضع الأمور في نصابها " .

" عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، جـ ١ ، ص ٢١٠ " .

(١) Kinross , Lord , The Ottoman Centuries ; P . 231

علي حسون ، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، ص ١٠٥ .

(٢) Ibid . P . 231 . , Shaw , Stanford , History Of the Ottoman Empire and Modern Turkey , P . 207

(٣). Creasy . Edward , S . History Of the OttomanTurks , P . 276

محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٠ .

وكريت أصبحت مقطوعة وأصبح مضيق الدردنيل مرة ثانية تحت رحمة البنادقة ومغلق أمام البحرية العثمانية . [١]

تحت هذه الأزمات ، وتحت هذه الظروف التي بدأت الأسعار فيها بالارتفاع مع قلة في الطعام ، بزغ فجر جديد عندما بادرت طرخانة (Turkhane) [*] والدة السلطان الصغير المعروفة باسم " السلطانة الوالدة " بدعوة أهم رجل في القصر العثماني لتولى منصب الصدارة العظمى.، ولمباشرة أعماله ، وانقاذ ما يمكن انقاذه مما لحق بالدولة من مآسي ومشاكل داخلية وخارجية . ومما روى عنها في هذا الشأن، قبل تولى محمد كوبريلي هذا المنصب ، أنها راقبت ذات مرة الديوان الهمايوني تحت رئاسة الصدر الأعظم جوردج (GourdJ) البالغ من العمر المائة ، فأدركت أنه مجرد ألعوبة في أيدي الوزراء وبعيدا عن الكفاءة الادارية ، مما جعلها تفقد أعصابها وتصيح قائلة : " ياأبتي إن المسألة ليست لحية ذات شعر أبيض أو أسود ، أن المسألة أعمق من ذلك بكثير ، أنها تحقيق الحكم الصالح وإبداء الآراء السديدة.[٢]

---

(١) جلال يحيى ، تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة ، ص ٤٣٨ .

(*) سيدة روسية الأصل نافست جدة السلطان لأبيه منافسة شديدة على السلطة ونجحت في النهاية " عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ .

(٢) الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، جـ١ ، ص ٢٣٦ .٢٤

هذا الرجل هو محمد كوبريلي نسبة إلى القرية التي تربى فيها واسمها "كوبريلي"(*) ، وقيل أنه ولد في قرية البانية اسمها " رودنك ": قرب " برات " وذلك عام ٩٧٨ هـ من أسرة غير معروفة ، ثم ذهب إلى قرية " كوبريلي " وسط الأناضول (٢) ، وأخذ فيها تيمارا (**) وتزوج بنت السنجق (***) وهذا هو سبب تسميته نسبة الى القرية التي نشأ بها .

بدأ محمد كوبريلي حياته في القصر العثماني كطباخ ثم أصبح كبير الطباخين ثم رئيسا للخدم ، فمربي للصقور حتى وصل بمساعدة نساء القصر الى وظيفة سنجق في دمشق ثم طرابلس وأخيرا في القدس . (١)

وعندما بلغ السبعين من عمره أو الثمانين كما ذكرت بعض المصادر وبنصيحة من السلطانة الوالدة ، تم تعيينه في منصب الصدارة العظمى التي تعادل رئيس الوزراء اليوم . (٢)

(*) مدينة صغيرة في آسيا الصغري وقد نزح اليها جده من البانيا ، وعرفت عائلته بهذا الاسم نسبة الي هذه القرية :

" Eversly . L . The Turkish Empire " , P . 179

(**) التيمار : هو الاقطاع الأصغر وهو عبارة عن الأرض التي يمنحها السلطان بهدف استثمارها على أن يقدم صاحب التيمار خدمة للدولة مثل ضرائب أوفرسان أو بحارة للأسطول .

أحمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة ، جـ ٥ ، ص ٦٧٥ .

(***) سنجق بمعنى راية ، ويطلق هذا الاسم على حاكم الولاية أو المدينة ، وللسنجق مميزات خاصة منها أن تعزف الموسيقى له أثناء دخوله وخروجه لمقر عمله ،

عبد الوهاب بكر ، الدولة العثمانية ومصر ، ص ١٧ .

(١) Eversly . L . The Turkish Empire , P . 180 .

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥١٦ .

وعلى الرغم من وجـود بعض المخلصين للدولة والمؤيدين الذين سـعـوا من أجل تعـيين محـمـد كوبريلي في هذا المنصب ، ألا أن هناك فئات في القصـر العـثـمـاني وخاصـة من ذوى المصالح الشـخـصية لم يرق لهم هذا التـعـيين وحاولوا الأشـاعـة بأن رجل في السبعين من العمر لا يعرف القراءة والكتابة من الصعوبة بمكان أن يمسك زمام الأمور ويدير شئون الدولة بطريقة صحيحة . (١)

ويبـدو أن دافع الغـيـرة هو الذى جعلهم يقـولون بذلك لا سـيـمـا وهم يعلمـون أن محمد كوبريلي مشهود له بالأمانة والسمعة الحسنة خلال سنوات عمله في القصر والمناطق التى حكمها .

ومما يدل على تميزه عن منافسيه وأن مـا قـام به أعداءه انما كـان ذلك بدافع الغـيـرة فـقط ، انه عـنـدمـا طلب منه أن يشـغـل هذا المنـصـب ، رفـض قـبـوله الا بشـروط معينة ، خاصـة وقد أدرك أن اصلاح الأمور في الدولة سوف لا تكـون في وضـعـهـا الصـحـيـح مـا لـم تـطـلـق لـه حـريـة الـعـمـل دون تدخل الـسـلطـان. وكـان شروطه الـتـى

---

(١) Norman, Itzkowitz, Ottoman Empire and Islamic Tradition, P. 78.

أوردتها معظم المصادر التاريخية على النحو التالي : [1]

- أن لا يقبل السلطان أو ينفذ أى طلب أو مكاتبات ما لم تكن مصادق عليها من قبله .
- لا يحق لأي موظف أو وزير أن يتصرف في أمرها دون علمه .
- يختص بالنظر في التعيين في الوظائف والغاءها صغرت الوظيفة أم كبرت .
- لا يجوز للسلطان أن يسمع للوشاية ضده من أعداءه وتكون ثقة السلطان فيه مطلقة .

وعلى الرغم من أن هذه الشروط تحد إلى حد كبير من صلاحيات السلطان وأمه الوصية عليه ، الا أن الوضع المتدهور في الدولة - كما يبدو - وعدم وجود الرجل المناسب لهذا المكان جعل السلطانة طرخانه تنقاد لشروطه وتوافق عليها وتقسم أمام الملأ نيابة عن ابنها البالغ من العمر خمسة عشر عاما [2] آنذاك - حسب

---

(١) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولة علية عثمانية ، ص ٩٣ .
عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٦٧ .
Kinross , Lord , The Ottoman Centuries , P . 180
محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيده ، ج ٦ ، ص ٣٧١ / ٣٧٢ .
(٢) Eversly , L . The Turkish Empir , P . 180

طلبه - أن شروطه ستكون في موضع الاعتبار والتنفيذ . (*)

ثم أعقب ذلك مصادقة مفتي الدولة على هذه الشروط لتأخذ بذلك صفتها الشرعية ، وتم استقبال الوزير في موكب رسمي حتي مقر السلطان الصغير الذى أعلن بدوره موافقته على الشروط وتأييده للقسم الذى أدته أمه . (١)

أطلق على الوزير محمد كوبريلي مسمى الصدر الأعظم ، وبدأ بعد تعيينه يمارس عمله وأصبحت شئون الدولة واصلاحها منذ تعيينه تحت تصرفه بدون تدخل من السلطان وأمه .

وأشار المؤرخون الى أن تجاربه الطويلة في خدمة القيادات الرسمية والصدور العظام ، وتنقله في وظائف مختلفة قبل توليه هذا المنصب ، كل ذلك ساعد على نجاح ادارته ، وجعلته يعرف عن يقين أمراض الدولة التي تعاني منها وكيفية التعامل معها . أيضا ساعدته تجاربه الطويلة على معرفة الرجال وما يقوم به شلة القصر من أعمال فأصبح رجل التجربة والحكمة ، يتصرف بعقل متيقظ ، رحيم

(*) يبدو أنها على يقين من اخلاص وزيرها الجديد ورغبته في خدمة الدولة بعيدا عن تحقيق المصالح الشخصية مقارنة بغيره من الصدور العظام والا لما سارعت بإعلان موافقتها أمام الرعية حتى لا ينفلت زمام الأمر ويرفض العمل .

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٦٨ .

Kinross Lord , The Ottoman Centuries , P . 332 .

وقت الرحمة متنبه لمراقبة المستهترين ، وضاربا بيد من حديد على كل من يريد الاخلال بالأمن ، وملتزما بالهدوء وضبط النفس ومعاملة الرعية بالعدالة دون تمييز في المناصب . (١)

بهذه الحيوية وهذه المواصفات وهذه القوة التي تم بها تعيينه في الصدارة العظمى بدأ الوزير محمد كوبريلي يمارس صلاحياته مبتدأ بتصحيح بعض الأوضاع في الداخل ثم الاهتمام بالشئون الخارجية .

وابتدأ اصلاحاته الداخلية بمراقبة المتهاونين في أداء أعمالهم واستبدال من يثبت ادانته دون النظر الى مكانته الوظيفية ، وليس أدل على تنفيذ قراراته أن من بين من وجدهم متهاونين وتم استبدالهم : قائد الأسطول العام / زعيم الجيش الانكشارى / وشيخ الاسلام . (٢)

وفي داخل القصر لاحظ أن بعض العاملين يسيئون استخدام وظائفهم فأصلح من شأنهم واستبدل بعضهم بغيرهم ، وكان من أولئك رئيس الخصيان الأسود مستشار والدة السلطان حيث نفاه إلى مصر عندما لاحظ اخلاله بمسؤولياته . (٣)

وعندما لاحظ محمد كوبريلي انتشار البدع والخرافات في الأوساط الشعبية ومدى تأثيرها في خلق أزمات داخلية متعددة،رأى أنه من الأفضل العودة الى أيام

---

(١) Norman, Itzkowitz, Ottoman Empire and Islamic Tradition. P. 77.
Kinross , L . The Ottoman Centuries , P . 332 .

(٢) صدر أسيق كامل ، تاريخ سياسي ، دولة علية عثمانية ، ص ٩٢ .

(٣) Norman Itzkowitz , Ottoman Empire and Islamic Tradition, P . 77 .
Eversly , L . Turkish Empire , P . 180 .
عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٦٨ / ٦٩

المجد والسؤدد ، الى أيام السلطان سليمان القانوني عندما كانت الشريعة الاسلامية هي الفيصل في المعاملات ، وكانت الدولة ملتزمة بتطبيقها في كل شئون الحياة . واتخذ لتنفيذ ذلك قرار يقضي بالاعدام أو الاعفاء من الوظيفة لكل من يقف ضد هذه الدعوة الاصلاحية . (١)

وشملت اهتمامات محمد كوبريلي الداخلية ميزانية الدولة (٢) ، فأمر على الفور بالغاء المصروفات الاضافية وأبقى على الضروريات فقط ، وأمر بمصادرة الأملاك الخاصة (*) وأن تعود فوائدها الى خزينة الدولة .

أما اهتمامات الوزير محمد كوبريلي بشئون الدولة الخارجية والثورات الداخلية فتتمثل في الصراع العثماني / البندقي حول مضيق الدردنيل ، واخضاع التمرد في ترانسلفانيا ، والقضاء على ثورة حسن أباظة .

فبالنسبة للصراع العثماني / البندقي ، فقد أدرك محمد كوبريلي أن خطر البنادقة عليهم زاد عن حده ، وأن الوضع التجارى في دولته سيبقى تحت رحمة الأعداء طالما بقيت المضائق مهددة . ولذلك رأى أن فك الحصار قد لا يحدث ما لم يعيد للاسطول العثماني نشاطه ، وعلى الفور اسند مهمة بناء الاسطول الى القائد طوبال محمد باشا ، والذى تمكن من تجهيز اسطول عظيم مجهز بالأدوات اللازمة .

---

(١) محمد فريد بك المحامى ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥١٧ .

(*) لم تحدد المصادر هوية هذه الأملاك الخاصة ، وأننى أشك فى حدوث مثل هذه الحالة لا سيما اذا أخذنا في الاعتبار رغبة الوزير فى العودة الى تطبيق القوانين الاسلامية وعدم معارضة الاسلام للملكية الخاصة : هذا من جانب ، ومن جانب آخر هذه المعلومة لم ترد في المصادر الاسلامية وانما أوردها المؤرخون الغربيون مما يجعلنا نشك في صحة مثل هذه الرواية .

ثم ان الصدر الاعظم محمد كوبريلى قاد الجيش بنفسه ولكن الجولة الاولى لم تكن في صالحه حيث غرق بعض سفنه وهرب البعض الآخر وبدأ البنادقة يقذفون العمارة العثمانية بالمدافع ثلاث أيام بلياليها ، وقرر قائد الأسطول البندقي طوماس موشنجو (Thomas Mocenigo) القبض على الدونا العثمانية الراسية بجوار " قوم برون " . [1]

عند هذه النقطة الحاسمة تقدم أحد رجال البحر العثماني ويدعى محمد وصوب مدفعيته نحو السفينة التي يقودها طوماس فأصاب ، بقدرة الله تعالى ، مخزن بارود في السفينة مما أدى الي انفجارها وقتل القائد ونحوألفا من أصحابه ، وتضرر كثير من السفن القريبة منها واضطرت البقية العودة تجر أذيال الهزيمة تاركين ورائهم بعض سفنهم . [2]

وتابع الوزير حلاوة النصر ، فأجزل العطايا لرجاله المنتصرين ثم أمرهم بمواصلة الكفاح تحت قيادة طوبان محمد باشا ضد البنادقة حتى تمكنوا من تحرير جزيرتي ليمنوس(Limnos)وتينيدوس(Tenedos) بعد أن حاصروهما نحو ستين يوما .

بعد ذلك عاد الوزير الي اسطانبول وفي عام ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م بعد أن تم تحرير الجزيرتين عزل طوبان محمد باشا من القيادة وعين محافظا لجزيرة (سافز)ثم

---

(١) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٦٨ .

محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيده ، جـ ٧ ص ٩٥ / ٩٦ .

(٢) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٧٣ .

حصل على " جزاء سنمار " حيث أعدم بسبب اعتقاد السلطان العثماني بأنه قائد جبان. [1]

ومع أن العثمانيين انتصروا على أعدائهم بفضل الله ثم بالاستعداد للمعركة امتثالا لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)[2] ، الا أن المؤرخين الغربيين - كعادتهم - أوردوا خبر انتصار العثمانيين وكأنه بسبب إنفجار مخزن للبارود على احدى السفن الايطالية دون ذكر التصويب بالمدفع العثماني . [3]

وبهذا الانتصار أعيدت الثقة في الجيش العثماني والبحرية العثمانية ، وبهذا الانتصار ازدادت مكانة الصدر الأعظم في أعين الناس ، مما زاد في طموحاته وآماله ، وبدأ يطمع في إعادة تلك الأمجاد القديمة التي دقت فيها الدولة العثمانية أبواب : فيينا " سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م .

وعلى الرغم من هذه الطموحات والآمال ، فان الصدر الأعظم لم يتابع حلاوة النصر على خصومة البنادقة وذلك بسبب موقف جورج راكوزى [*] (George Rakozy) أمير ترانسلفانيا الذى أعلن تمرده على السلطان العثمانى وأعلن استقلال بلاده عن التبعية العثمانية . زد على ذلك أن راكوزى أعلن نفسه زعيما بروتستانتيا واتحد مع ملك السويد وأمراء الأفلاق والبغدان

---

(١) المصدر السابق .

انظر أيضا : عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٧٣ .

(٢) سورة الأنفال ، آية رقم ٦٠ .

(٣) Shaw,S.History Of the Ottoman Empire and Modern Turkey.p210

Eversly , L . The Turkish Empire . P . 180 .

(*) يلفظ فى بعض المصادر العثمانية " راقوجي " . محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق تاريخ عثمانيدة ، جـ ٧ ، ص ١٠٦ ، وراقوكس ،

صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، جـ ٢ ، ص ٩٤ .

بهدف فتح هنغاريا واقتسام بولندا مع روسيا .[1]

ويبدو أن راكوزى رأى أن ضعف الدولة العثمانية وتدهور الأوضاع فيها قبل وزارة محمد كوبريلي ، قد يساعده على الاستقلال بحكم ترانسلفانيا والغاء التبعية العثمانية ، ولكنه في حقيقة الأمر تناسى أنه أعطى لنفسه حجما أكبر منه الأمر الذى سيؤدى به الى الفشل في النهاية . أضعف الى ذلك أن محاولته هذه جعلت الصدر الأعظم يعطى القضية اهتماما خاصا لا سيما وأن رغبة راكوزى في اقتسام بولندا مع روسيا لا يتفق مع السياسة العثمانية في أوربا ويوثر في نفس الوقت على العلاقات العثمانية / الأوربية بصفة عامة .

فعندما تعرضت بولندا للغزو من كل جانب بادرت الدولة العثمانية بالتدخل حفظا للتوازن ومحاولة للحد من طموحات راكوزى وأطماعه التوسعية .

وكان أولي المواجهات مع راكوزى في عام ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م عندما أرسل الصدر الأعظم قوة كبيرة من التتار قام أفرادها بالدخول الى ترانسلفانيا ومن ثم نهبها [*] مما ادى إلى انسحاب راكوزى من وارسو (Warsaw) الى فستولا(Vistula) حيث هزم فيها هزيمة نكراء .

(١) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولت عثمانية ، جـ ٢ ، ص ٩٤ .

كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥١٧ .

(*) المصادر الأوربية أمثال " شو " وغيره تشير إلى أن التتار اكثروا فى النهب والقتل في مدينة ترانسلفانيا مستغلين زهوة الانتصار . ويظهر أن ذلك مجرد تحامل على الدولة العثمانية ، واذا حدث أن تصرف البعض بعمد أو غير ذلك فلا يجب أن نعمم ونثبت حقائق قد تكون مقصودة ، وبينما المصادر العثمانية لم تشر إلى ذلك .

Shaw, S. History Of the Ottoman Empire and Modren Turkey, P. 210.

اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٧٠ / ١٧١ . محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣١ . عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ،

ثم كانت المواجهة الثانية بقيادة محمد كوبريلي على رأس حملة كبيرة كان من نتائجها استسلام مدينة فهر فار (Fehervar) عاصمة راكوزى ومن ثم هروبه الى النمسا .

بعد أن تحقق النصر على راكوزى ، رأى الصدر الأعظم الالتزام بسياسة هادئة غير منفرة ، فوافق على الفور أن يكون حكم ترانسلفانيا لأمين خزانة (*) راكوزى ، بارسي ايكوس (Barcsay Ekos) واشترط عليه أن يكون تابعا للدولة العثمانية وأن يدفع أربعين ألف دوكا كل عام ، وأن تكون المواقع الأمامية في ترانسلفانيا تحت تصرف الجيش العثماني [1] ويبدو أن الشرط الأخير قصد به أن تستخدم تلك المنطقة مقرا دائما للقوى العثمانية وتوظيفها لصد أى ثورة أو محاولة استقلال في المستقبل .

ورغم هذه السياسة التى تم بها تعيين بارسي ايكوس ، فقد قامت معارضة من قبل أنصار راكوزى الذين يبدو أنهم لم يتقبلوا طريقة التعيين فما كان منهم إلا اعلان المعارضة خاصة بعد أن حصلوا على تأييد رسمي ومساعدات عسكرية من الهابسبرج واتفقوا على ترشيح أحد قواد راكوزى واسمه كيمنى جانوز (Kemeny Janos) حاكما لهم مستقلا عن الحكم العثمانى . [2]

(*) يبدو أن الوزير محمد كوبريلي نهج هذه السياسة حتى يتقبل الناس هذا القرار بالرضى طالما أن خليفة راكوزى من أتباعه ولكنه من جهة أخرى حقق الهدف حسب الشروط التي اشترطها عليه أثناء تعيينه .

(١) محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عشمانيده . جـ ٧ ، ص ١٢١ / ١٢٢ اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .
محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١ .

(٢) Naima , Annales Of The Turkish Empire , Vol . VI, P . 340

ولكن لم يمض وقت طويل ، حتى انطبق على كيمني وأتباعه قول المثل : " يا حافر حفرة السوء احذر تقع فيها " حيث وقف نبلاء ترانسلفانيا ضده وقتلوه ورشحوا مكانه رجلا من بني جنسهم وهو ميخائيل أبا في والذي حكم ترانسلفانيا مدة عشرين عاما ، التزم خلالها بمبدأ الحياد وأعترف بتبعيته للدولة العثمانية ، وكأن ما حاول القيام به سلفه لم يكن . (١)

وما كاد الوزير محمد كوبريلي ينتهي من أزمة راكوزي حتى يتورط في مشكلة داخلية جديدة وهي ثورة حسن أباظة ، تلك الثورة ،التي عرقلت مساعي الدولة في تثبيت النظام والاستقرار في ترانسلفانيا وساهمت في تأجيل وصول العثمانيين الى جزيرة كريت ومن ثم فتحها .

ظهرت هذه الثورة في سوريا والأناضول من أمهات المناطق الداخلية في الدولة العثمانية ، وبقيادة رجل كانت له أطماع رئاسية على الرغم من كونه معين على وظيفة سنجق . (٢)

بدأ زعيم هذه المقاومة ، حسن أباظة ، باعلان تمرده ضد السلطان في منتصف عام ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٨ م . وطالب أول ما طالب بقتل الصدر الأعظم وتعيين طيار زاده أحمد باشا مقابل تبعيته ومبايعته للسلطان العثماني ، وساعده في مواصلة التمرد انضمام القوات التي أرسلها الصدر الأعظم إليه لاخضاعه ، وكذلك تأييد بعض من حاشية السلطان ممن كانوا يكرهون الصدر الأعظم ويرغبون

(١) عبد الرحمن شرف . تاريخ دولت عثمانية ص ٨١ ، على حسون ، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، ص ١٠٥ ، كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥١٧ .

Shaw,S. History Of The Ottoman Empire and Modern Turkey, P.210 .

(٢) Naima , Annals Of The Turkish Empire , Vol . 6 , P . 342

في تحقيق المال والمناصب ومآرب أخرى ، خاصة من أولئك الباشوات المعزولين بقرار من الصدر الأعظم . [1]

انخدع حسن أباظة بتأييد بعض رجال القصر فتقدم بجيشه حتى وصل إلى مضيق البوسفور ، مما أدى إلى انتشار الرعب والقلق في نفوس الأهالي في العاصمة ، وتوجيه النداء للصدر الأعظم ، للعودة من ترانسلفانيا ومواجهة هذه الحالة الطارئة . [2]

لم يكن الأمر من السهولة بمكان في نظر الصدر الأعظم ، ذلك أن هذه الحركة المزعجة التي تسببت في توقف الجيش العثماني في الجانب الأوربي ، لابد وأن يعاقب مدبرها أشد العقاب . فما كان من الصدر الأعظم الا أن اتخذ التدابير اللازمة للمواجهة الحاسمة مع الثوار والقضاء عليهم ، ومن ذلك قيامه بصرف رواتب ستة أشهر للجنود مقدما تشجيعا لهم وحثا لهم على الاخلاص والالتزام ، اضافة الى قيامه بارسال الجواسيس حول الأناضول والاتصال ببعض مؤيدى الثورة واغرائهم بالانضمام الى الصدر الأعظم . [3]

كان لهذه التدابير أثرها الفعال على الثوار ، وكانت بمثابة الانذار بالخطر المرتقب ، مما أدى إلى هروب بعض رجال حسن أباظة ، وأدى أيضا الى فوضى واضطراب في صفوف الثوار ، اضافة الى النقص الواضح في المؤن والمواد الغذائية عندهم .

---

(١) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .
Naima , Annals Of The Turkish Empire , Vol . 6 , P . 342
محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيده ، ج ٧ ص ١٣٠ .

(٢) نفس المصادر

(٣) صدر أسبق كامل ، تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، ج ٢ ، ص ٩٥ / ٩٦ .

هذه الأمور التي ظهرت للعيان وأنذرت الثوار بالخطر جعلت حسن أباظة يشعر بالاحباط وأن الأوضاع في غير صالحه ، ونجاحه ميؤس منه ، فبدأ بالانسحاب من بورصه (Bursa) الى أسكى شهر (Eskisehir) وفي نفس الوقت أرسل عدد من رجاله للانضمام إلى القصر والحصول على الرواتب ومحاولة مساعده الصدر الأعظم ، وأخيرا طلب من الصدر الأعظم منحه هدنة لحل المشاكل فيما بينهما . (١)

ويبدو أن هذه المحاولات اليائسة من ثائر عاجز عن تحقيق أهدافه لم تحقق تقدما يذكر ، لا سيما وأن الصدر الأعظم أذكى من خصمه وأدرك أن هذه المحاولات ما هي الا حيلة مدبرة لتجنب المواجهة الحتمية وما ينجم عنها من نتائج . وكانت الخاتمة أن تدخل شيخ الاسلام بالنصائح المؤثرة لاباظة واتباعه حتى انضم الى الجيش السلطانى عدد منهم ، ورضى أباظة بتسليم نفسه الى مرتضى باشا بمدينة حلب بعد أن أمنه على نفسه وأتباعه ، الا أنه لم يوف بالعهد بل قتله هو ورفاقه وذلك في أوائل عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م (٢) .

بعد هذه الأعمال والانجازات العظيمة التي حققها في خلال خمسة أعوام ، لم يترك الصدر الأعظم أى فرصة لكل من تسول له نفسه القيام بأى عمل يسيء إلى مصلحة الدولة أو يؤدى إلى عرقلة نشاطها العسكرى ضد أعدائها من الدول

---

(١) المصدر السابق .

انظر أيضا: Shaw , S . History Of The Ottoman Empire and modern Turkey . P . 211 .

(٢) اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٧٠ .

محمد مراد ، تاريخ أبو الفاروق ، عثمانيدة ، ج٧ ، ص ١٣٤ / ١٣٥ .

الأوربية . ففي الداخل جواسيسه في كل مكان لمراقبة من يعبث بأمن الدولة ، وفي الخارج ركز اهتمامه على فتح جزيرة كريت وعندما علم بمساعدة الفرنسيين للبنادقة في حماية الجزيرة (كريت) سرا ، اتخذ خطوات فعالة لقطع العلاقة مع فرنسا على الرغم من تلك العلاقات الودية القديمة وعلى الرغم من تلك الامتيازات التى نعمت بها فرنسا في الدولة العثمانية .

ووما يجدر ذكره أن الصدر الأعظم سبق وأن ضبط رسالة مرسلة الى المسيو "دى لاهي" سلمها أحد الفرنسيين الموظفين في بحرية البنادقة وعندما لم يستطع حل رموزها أرسل باستدعاء السفير الفرنسي الذى بدوره لم يأت معتذرا بمرضه فأناب عنه ولده، وعندما سأله الصدر الأعظم لم يراع فى جوابه آداب المخاطبة ، فأمر بسجنه في الحال ، ثم حضر والده ولم يفسر رموز الرسالة كما ينبغي ، فأرسلت فرنسا المسيو "دى بلندل " سفير فوق العادة لمقابلة السلطان وطلبه عزل الصدر الأعظم ، ولكنه لم يسمح له بمقابلة السلطان وقابله الصدر الأعظم ، ولهذا ساعدت فرنسا جزيرة كريت علنا وأرسلت إليها أربعة آلاف جندى غير المتطوعين وأمدت النمسا بالمال هدفا منها لاشغال الدولة العثمانية وانتقاما لمواقفها نحوها . (١)

ومع كل هذه الاهتمامات لهذا الوزير المخلص الا أن الكبر لم يهمله أكثر مما استحق حيث بلغ الخامسة والثمانين من العمر فخاف على الدولة من الضياع من بعده ، فبدأ أول ما بدأ بأخذ موافقة السلطان وأمه على تعيين ابنه أحمد في مكانه بعد موته،لا سيما وأنه دربه في الأعمال الرسمية ورباه تربية خاصة لمهام الوظيفة ؛

---

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٢ .

أضافة إلى أنه قبل وفاته جعل الطريق ممهدا لابنه ، فالاسطول تم بناءه من جديد ليواكب الأساطيل المعاصرة له والمضائق أبعد عنها خطر الأعداء والمناوئين والثوار في الداخل والخارج تم الانتصار عليهم وزال خطرهم ، حتى غدت الدولة قوية الجانب متماسكة بعد أن أوشكت على الانهيار .

زد على ذلك أن حرص هذا الوزير واخلاصه لهذه الدولة استمر معه حتى وهو على فراش الموت ، فقبل وفاته في سنة ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ / م [1] ترك للسلطان الوصايا التالية :

- لا تسمع لنصيحة امرأة .
- لا تسمح بأن يصبح المواطن غنيا .
- يجب أن لا تنقص خزينة الدولة على الدوام .
- استمتع بركوب الخيل واجعل الجيش دائما في حركة مستمرة .

واذا نظرنا بعين الاعتبار لهذه الوصايا ، واذا ما حللنا مقاصد هذا الوزير من هذه الكليمات في كل وصية،فاننا بلا شك سنتعرف على الأسباب التي دفعته لذكرها .

ويبدو أن الصدر الأعظم كان تأثر بظروف عصره منذ كان طباخا في القصر حتي وصل الى وظيفة " الصدر الأعظم " .

فالتوصية الأولى التى يوصى فيها بعدم السماع لنصيحة المرأة توحي بتأثره بالأوضاع العثمانية التى كثر فيها تدخل نساء القصر في شئون الدولة ، لا سيما وأنه نفسه مدين في تعيينه كصدر أعظم للسلطانة الوالدة " طرخانة " ، ثم ان بقاء

---

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٨٢ ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٣ .

الموظفين الكبار فى مناصبهم كان مرتهن برضاء الحريم السلطاني - زد على ذلك أنه كان يشعر باستحالة ممارسة اختصاصات وظيفته أمام رغبات نساء القصر حيث قال فى حديث خاص لأحد أصدقائه : " انهن لا يفكرن إلا في أنفسهن ، ولا يقدرن المسؤولية ، وأن الدولة على وشك الانهيار [٢] .

وعلى الرغم من كون المرأة عاطفية وقد تصدر أحكاما أو تتصرف بما لا يتفق مع الواقع ، الا هذه الوصية تحمل معنى العمومية ، فالنساء لسن على مستوى واحد ، ومثلهن الرجال ، واذا كانت ظروف العصر الذى عاشه الصدر الأعظم أعطاه نوع من الانطباع السيء عن المرأة ، فكم من أمثلة في التاريخ لنساء بلغن القمة في العقل والحكمة والالتزام .

أما التوصية الثانية التي يوصى فيها بأ لا يسمح للمواطن بأن يصبح غنيا ، فهى توصية عقيمة ولا تتفق مع المنطق وليس لها ما يبررها ، وتتعارض مع الشريعة الاسلامية السمحاء ، وللأسف الشديد أن بعض ساسة الدول في القرون الحديثة نهجوا هذا المنهج وكأنهم يطبقون بذلك هذه التوصية على شعوبهم .

والتوصية الثالثة التي تنص على ضرورة بقاء خزينة الدولة غير منقوصة على الدوام ، فهى توصية ايجابية ولها ما يبررها ، خاصة وأن النقص فى خزينة الدولة يشل من قوتها واستمرار ثباتها وتطورها . وقد عاصر الوزير محمد كوبريلي ما عانته الدولة من نقص في مواردها المالية زمن السلطان ابراهيم الأول " ١٠٤٩ هـ - ١٠٥٨ هـ " عندما أسرف هو ورجال البلاط في موارد البلاد المالية وزيدت فئات

---

(١) عبد الرحمن شرف ، تاريخ دولت عثمانية ، ص ٨٣ / ٨٤ .
Eversly , Lord . The Turkish Empire . P . 181 .
(٢) الشناوى ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج١ ، ص ٦٠٨ / ٦٣٣ .

الضرائب المقررة واستحدثت ضرائب أخرى لسد نفقات القصر مما أدى الى سخط الرعية وقتل السلطان سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م .

ولذلك لا نستغرب توصيته بهذه الوصية ، وكأنه يريد أن يؤكد على ضرورة الترشيد وعدم الانفاق فى غير اللازم ، وهو ما التزم به أثناء عمله في منصب الصدارة .

أما التوصية الرابعة الخاصة بركوب الخيل وحركة الجيش ، فقد عاش الوزير تجربتها بنفسه عندما كان السلطان محمد الرابع متعلقا بركوب الخيل والقنص تاركا شئون الدولة في أيدى الغير ، ويبدو أن الوزير أراد أن يهتم السلطان بأمور دولته بنفسه ولا يجعل هذه الهواية تصرفه عن ممارسة واجباته الأساسية ، فقد يعتمد على من يسيء استخدام السلطة في حالة غيابه عنها ، وكان مقصد الوزير فى ذلك جليل وتقديره للأمر عظيم .

وهكذا أيها القارىء الكريم ، أضاف هذا الوزير - محمد كوبريلي - الى انجازاته العملية توصياته الأدبية التي توحي بمدى حرصه على أمن واستقرار الدولة العثمانية حتى بعد وفاته . ولذلك فان الخمس السنوات التى حكم فيها وما شهدته من انجازات عظيمة تعتبر بحق فترة تاريخية مضيئة فى تاريخ الدولة العثمانية . فخلالها قبض على زمام الأمور وقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد للدولة سالف مجدها ، وخلالها محا آثار الفوضى وأعاد الأمن والنظام وفك الحصار على المضائق واسترجع الجزر من الأعداء حتى أصبحت الدولة في مركز مميز أمام الدول المعاصرة لها بعد أن كانت على وشك الانهيار .

وأخيرا أرجو من القارىء الكريم المعذرة في الخطأ والتقصير فجل من لا يخطىء والله من وراء القصد وهو الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢٩ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الحديث الشريف

الكتب العربية والمعربة :

- اتحاف الملوك والالباب (لا يعرف مؤلفه).
ترجمه من اللغة الفرنسية خليفة محمود .
- بروكلمان ، كارل .
تاريخ الشعوب الاسلامية . نقله الى العربية نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكى،
ط ٦ ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٤ م .
- بكر ، عبد الوهاب ،
الدلة العثمانية ومصر فى منتصف القرن الثانى من القرن الثامن عشر ،
القاهرة دار المعارف ، ط١ ، ١٩٨٢ م .
-جلال ، يحيى ،
تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة ، الاسكندرية :
دار المعارف ، ١٩٨١ م .
- سرهنك ، اسماعيل ،
تاريخ الدولة العثمانية . بيروت : دار الفكر الحديث ، ١٤٠٨ ه / ١٩٨٨ م .
- شلبى ، أحمد ،
التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،
ط١ ، ١٩٧٧ م .

- الشناوى ، عبد العزيز محمد ،

الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . ثلاث مجلدات ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعه جامعة القاهرة : ١٩٨٠ م .

- عبد الرحمن ، شرف ،

تاريخ دولت عثمانية، اسطانبول : مطبعة سي-باب عالي جاده سنده ١٣٠٩هـ .

- على حسون ،

الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، المكتب الاسلامي .

- كامل ، صدر أسبق ،

تاريخ سياسى دولت عليه عثمانية . جـ ١، مطبعة \أحمد حسان ، ١٣٢٧ هـ .

- محمد فريد بك المحامى ،

تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت : دار الجيل ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- محمد مراد ،

تاريخ أبو الفاروق ، تاريخ عثمانيده ، ط ١ ، مطبعة آمدى ، ١٣٢٩ هـ .

كتب بلغة أجنبية :

- Creasy , Edward . S .
History Of the Ottoman Turks , Beriut , 1961 .
- Eversly , G . J . S . ,
The Turkish Empire : Its Growth and Decay , London , Fisher Unwin Ltd . , 1917 .
- Naima
Annals Of The Turkish Empire , New York: Arno Press , 1973 .
- Norman , I .
Ottoman Empire and Islamic Tradition , New York , Alfred A . Knopf , 1972
- Kinross , Lord .
The Ottoman centuries : The Rise and Fall Of The Turkish Empire , London : Jonathan Cape .
- Shaw , S .
History Of the Ottoman Empire and Modern Turkey , London : Cambridge University Press .

الكرج والأتراك السلاجقة

فى عهد داوود الثانى

(١٠٨٩ - ١١٢٥ م / ٤٨٢ - ٥١٨ هـ)

دكتور

فايز نجيب اسكندر

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها

الكرج والأتراك السلاجقة
فى عهد داوود الثانى
(١٠٨٩ - ١١٢٥ م / ٤٨٢ - ٥١٨ هـ)

د . فايز نجيب اسكندر
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة بنها

أطلقت قديما على بلاد الكرج[١] اسم «هيركانى» HYRCANIE ، ثم وردت فى اللغة الكرجية تحت اسم «خارطلى» K'ART'LI ، وذكر الكرج أن «خارطلى» اسم مشتق من اسم جدهم الأول «خارطلوس» .وتربط الأساطير الكرجية القديمة بين «خارطلوس» وبين النبى نوح عليه السلام قائلة إنه «ابن طوركوم ابن جومر بن يافث بن نوح» . و«خارطلوس» هذا شقيق «هايك» البطل القومى الأسطورى الذى ينتسب إليه الأرمن[٢] . وقد أطلقت الفرس على بلاد الكرج اسم «كورجستان» GURDJISTAN أي بلاد الكر[٣] . والروس يسمون بلادهم «جروزيا»[٤] . أما المسلمون ، فقد أطلقوا على بلادهم اسم «جرزان[٥]» تارة ، و«مملكة جرجين [٦]» تارة أخرى ، و«خزران»[٧] تارة ثالثة ، و«بلاد الكرج»[٨] تارة رابعة. والاسم الرابع هو الأكثر استخداما فى المصادر الإسلامية . إلا أن اللاتين والبيزنطيين ينفردون بتسمية بلادهم «أيبيريا»[٩] IBERIE وكان سترابون[١٠] (توفى حوالى سنة ٢٥ م) STRABON أول من تحدث عنهم .

أما هيرودوت ، فقد ذكر أن أيبيريا عرفت من قبل باسم «ساسپير»[١١] . وكان الأرمن ، يسمون سكان بلاد الكرج باسم «فرك»[١٢] VIRK ، وبلادهم باسم «فراكتون»[١٣] VRACTUN .

تقع بلاد الكرج - أى أرمينية[١٤] الثانية فى المصدر الإسلامية[١٥] - علي السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز، حول المجرى الأعلى لنهر الكر KOURA ، أي فى الشمال الغربى لمجموع أرمينية وكانت تحد شمالا أرمينية الثالثة[١٦]. وعلى هذا، فحدودها الشمالية تسير بمحاذاة سلسلة جبال القوقاز؛ أما حدودها الشرقية، فهى تتاخم بلاد داغستان[١٧] الجبلية وسهول أذربيجان، وتحدها جنوبا أرمينية ومقاطعة قرص[١٨] KARS ؛ أما حدودها الغربية، فتطل علي البحر الأسود وتشمل أيضا بلاد الابخاز[١٩] ABKHASIE وجبال القوقاز . وعلى هذا تعد بلاد الكرج من البلدان الرئيسية في منطقة القوقاز[٢٠] .

وتضم بلاد الكرج أساسا واديين خصبين هما :

واد نهر الكر KOURA ووادي نهر ريونة RION . ثم هناك منحدرات الجبال بوديانها العديدة الضيقة والمنخفضة والتي تنساب نحو أنهار سلاسل جبال القوقاز فى الشمال. وهناك أيضا منحدرات جبال القوقاز الصغير وأعالي هضاب أرمينية في الجنوب[٢١] .

وعلي هذا ، سكن الكرج فى أعالى وادي نهر الكر، في اتجاه مصبه عند تفليس[٢٢]، على الضفة اليسري منه، وانتشروا حتى نهر شوروخ[٢٣] (TCHOROKH COROX) نحو ارتانوخ[٢٤] ARTANUJ وحتى مقاطعة مسختي[٢٥] MC'XET'A (MESXET'I) وبلاد الابخاز واللان[٢٦]

ALAINS والصنارية [٢٧] جيران اللان . أما على الضفة اليمنى من نهر الكر، فقد استقر الكرج في وادي كشياى[٢٨] K'C'IA وفى الأراضى التي تنساب مياهها نحو نهر الكر فى اتجاه قرص واكستيك[٢٩] 'UXT'IK. وطبقا لما ورد في الحولية الكرجية، كل الأراضي التي تنساب مياهها نحو الجنوب، وتصب فى نهر الرس[٣٠] ARAXE تعد من الأراضي الأرمنية . أما تلك التى تنساب نحو الشمال وتصب فى نهر الكر KOURA، فهى أراضى كرجية[٣١] .

نتيجة هذا الارتباط الوثيق ، يعد الشعب الكرجى أقرب الشعوب القوقازية شبها بالأرمن[٣٢] ، وأوثقها ارتباطا بهم، خاصة خلال العصور الوسطي؛ حتي أصبح يقال بحق أن الكرج والأرمن أخوة . وكان العلامة ابن خلدون خير معبر عن ذلك حين قال: «كان هؤلاء الكرج أخوة الأرمن[٣٣]» .

ولقد سكن بلاد الكرج أسر عديدة من السلالات الكرجية، فأصبحت منذ الأزمنة الغابرة مقسمة إلي عديد من المقاطعات، أهمها مقاطعة خارطلي K'ART'LI، الواقعة فى وسط بلاد الكرج الشرقية، والتي تعد قلبها النابض. وقد حظيت عاصمتها تنليس TIFLIS باهتمامات المصادر الإسلامية الجغرافية منها والتاريخية[٣٤] . واحتلت المقاطعة وعاصمتها مركز الصدارة بين مقاطعات بلاد الكرج. ويأتي بعدها في المرتبة مقاطعة كاخيتي [٣٥] KAKHETIE ، المقاطعة الثانية في بلاد الكرج الشرقية ، الواقعة شرقي نهر أرجفي [٣٦] ARAGVI ، وشرقى خارطلي علي المنحدرات الجنوبية لجبال القوقاز . ففي الوديان الخصبة في لوري[٣٧]LORI وألزاني [٣٨] ALAZANI ، وخاصة في المناطق الشاهقة الارتفاع، شعر شعب الكرج بالأمن والآمان، فعاش في رغد من العيش[٣٩]، وعمل

في ظروف اتسمت بالحرية المطلقة[٤٠] .

هذا عن أكبر مقاطعتي بلاد الكرج خارطلي وكاخيتي وأهمها علي الإطلاق.إلا أن هناك مقاطعات أقل منهما أهمية. ففي غرب جبل سورام SOURAM ، تقع مقاطعة إمريثى(IMERET'I(IMERETHIE بعاصمتها كوتاهية (كوتاييس) KOUTAIS الواقعة على نهر ريونةRION[٤١] . وتأتى بعد ذلك مقاطعة منجريلي MINGRELIE الواقعة شمال نهر ريونة علي البحر الأسود، بين مقاطعة إمريثى والبحر الأسود[٤٢]. ثم مقاطعة إجريسى EGRISI الواقعة عند مصب نهر شورروخ بين منجريلي وبلاد الأبخاز[٤٣]. أما مقاطعة سفانيثى SVANETHIE فتقع في الشمال، فى جبال القوقاز[٤٤] . وفى أقصى الغرب تقع بلاد الابخاز[٤٥] ABKHASIE بالقرب من البحر الأسود ، والمجاورة لبلاد اللان ALAINS [٤٦]. وعلي طول الشاطيء ، جنوب نهر ريونة، غربى بلاد الكرج، تقع مقاطعة جروري[٤٧] GRURIE . وفى أعماق جبال القوقاز، تقع كل من مقاطعتى مسختى[٤٨] (MESXET'I (MC'XET'A وسمسخى[٤٩] . SAMSAKHI (SAMC'XE)

بناء على ما تقدم ، فبلاد الكرج متنوعة التضاريس. إذ نجد فيها الوديان الواسعة والخصبة، والغابات الكثيفة المنتشرة فى الوديان الصغيرة الخلابة، إلى جانب المضايق العميقة، والجبال الشاهقة الارتفاع. كذلك تشتهر بلاد الكرج بخيولها الشرقية[٥٠]، وشجاعة فرسانها ، وبسالتهم ، وكرم طباعهم ، وجمال نسائهم [٥١].

ولقد أحب الكرج الحرب والنزال[٥٢] ، ويرجع ذلك أنه طوال تاريخهم إضطروا أن يقاتلوا جيرانهم الأقوياء حفاظا على استقلالهم وحريتهم ، وكبح جماح أطماع

الطامعين فى خيرات بلادهم . ولقد انعكس ذلك على تحية البعض منهم للآخر ، إذ يحيون بعضهم البعض بهذه الأقوال «فليكن النصر حليفك» ، فيرد من يسمع هذه التحية قائلا: «وحليفك أيضا»[٥٣] .

على أية حال ، كان من الطبيعى أن يتطلع المسلمون إلى فتح بلدان القوقاز، بعد أن أصبحت حدود دار الإسلام متاخمة لحدودها، وذلك عقب الفتح الإسلامى لبلاد الجزيرة وآذربيجان . وشهدت الفترة من ٦٤٠م / ١٩ هـ إلى ٦٤٦م / ٢٦ هـ تنازع المسلمين والبيزنطيين السيادة على بلاد ما راء القوقاز . وراحت بلدانها ضحية الاقتتال بين الأسدين، فتأرجحت بين السيادة الإسلامية تارة، والسيادة البيزنطية تارة أخرى . إلى أن تمكن المسلمون فى نهاية المطاف من بسط السيادة الإسلامية عليها بسطا نهائيا وذلك سنة ٦٦١م / ٤١ هـ فى أوائل عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٨٠ م) .

وكان الزعيم الأرمنى البطريق[٥٥] PATRICE ثيودور رشتونى [٥٦] THEODORE RSTUNI أول حاكم عام عينه المسلمون على بلاد الكرج وأرمينية والران[٥٧] وسيوغيا (سيونيك)[٥٨] SIOUNIE وبلاد القوقاز حتى دربند[٥٩] .

ولقد ظلت بلاد الكرج خاضعة للسيادة الإسلامية طالما كانت بلاد الإسلام فى أمن وسلام. أما إذا دب الاضطراب والاقتتال فى أعماقها - كما حدث أيام الفتنة الكبرى[٦٠] ، وعقب وفاة معاوية بن أبى سفيان ، وكذلك أواخر أيام الخلافة الأموية[٦١] - كانت الامبراطورية البيزنطية تنتظر هذه الفرصة السانحة لتعيد بلاد الكرج إلى سيادتها[٦٢]. إلا أن ملوك الكرج البجرانطيين[٦٣] حملوا على عاتقهم

مهمة توحيد البلاد وتزعم حركة الاستقلال بعيدا عن السيادة الإسلامية أو البيزنطية على حد سواء ، ونجحوا بالفعل فى بسط سيادتهم على بلاد الكرج الغربية، بينما ظلت بلاد الكرج الشرقية ، أي خارطلى وكاخيتى وتفليس وضواحيها تحت السيادة الإسلامية[٦٤]. وعين المسلمون أحد عمالهم عليها، وحمل لقب «والى» أو «أمير»، أقام فى العاصمة تفليس. وكان فى آن واحد القائد العسكرى والحاكم العام وقاضى القضاة، أى جمع فى يديه جميع السلطات من عسكرية وتنفيذية تشريعية. وتمركز الجزء الأكبر من جيش المسلمين فى العاصمة ؛ أما بقية القوات، فقد تفرقت فى المدن الكبرى والقلاع الحصينة[٦٥] .

هذه لمحة سريعة موجزة عن بلاد الكرج وخضوعها للفاتحين المسلمين وقد سبق لنا أن أصدرنا كتابا بعنوان «الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج» تناولنا فيه التفاصيل الدقيقة عن هذا الموضوع .

وإذا انتقلنا إلى الاتراك السلاجقة، فنلاحظ أن عشرات المراجع تحدثت عنهم بإفاضة، لكن الذى يهمنا فى هذا البحث ليس تكرار القديم بأسلوب مغاير، لكن الاتيان بالجديد الذى لم يرد ذكره من قبل، والمتمثل فى الاحتكاك الحربى الدائر بين الكرج والأتراك السلاجقة، فقد بدأ أول اقتتال بين الطرفين فى عهد طغرلبك (٤٤٧ - ٤٥٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٣ م) ، وتواصل بعنف أكثر فى عهد ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) ، وملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م) وقد أفردت لهذا الموضوع بحثا جديدا[٦٦]. على أية حال، خلال عهود السلاطين العظام، رجحت كفة ميزان القوى بشدة لصالح الأتراك السلاجقة. إلا أنه عقب وفاة السلطان السلجوقى ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م

استجدت ظروف قلبت موازين القوى لصالح الكرج وملكهم داوود الثانى . فبانقضاء عهد ملكشاه ، انطوت صفحة العصر الذهبى للأتراك السلاجقة، بعد أن مزقت خلافات الزعماء والقادة والأمراء وحدة السلطنة، وتنازع آل سلجوق الملك فيما بينهم وشنوا الحروب المحلية على بعضهم البعض . أما بقية الصفوف الإسلامية ، فكانت أكثر اضطرابا. هذا بينما فشلت جهود المسلمين فى ايقاف زحف الصليبيين فى بلاد الشام والأطراف المقدسة، بعد أن نجح الصليبيون فى ضع ملامح الإمارات اللاتينية وطفقوا يوسعون حدودها وسط الحشد المعادى لهم من الإمارات الإسلامية بالمنطقة. ففى شمال الجزيرة ربضت إمارة الرها الصليبية، وفى انطاكية قامت الإمارة الثانية التى أسسها بوهيمند. وفى بيت المقدس تأسست المملكة اللاتينية التى غدا لها شىء من الزعامة على بقية الإمارات، ثم أخيرا تكونت إمارة طرابلس الصليبية، ليكمل بذلك استقرار الصليبيين ببلاد الشام والأراضى المقدسة. أضف إلى ذلك ظهور إمارة أرمينية الصغرى فى آسيا الصغرى وتعاونها مع الصليبيين طوال عصر الحرب الصليبية[٦٧] . وإلى جانب هذه الإمارة الأرمنية المسيحية ، ظهرت مملكة الكرج الموحدة والتى على حد قول المؤرخ الفرنسى ماريوس كانار MARIUS CANARD كانت ثمرة من ثمار الحروب الصليبية[٦٨] .

وقد نشأت مملكة الكرج نتيجة توحيد مملكتى أيبيريا والأبخاز منذ سنة ١٠٠٨م/٣٩٩ هـ فى عهد الملك بجراط الثالث BAGRAT III ملك الكرج[٦٩] (٩٧٥ - ١٠١٤م/٣٦٥ - ٤٠٥هـ) . وازدهرت هذه المملكة ذات المسحة الأرمنية وقويت فى عهد ملكها داوود الثانى البجراطى الملقب بالبناء[٧٠] (١٠٨٩-١١٢٥م/٤٨٢-٥١٨هـ) DAVITI AGHMACHENEBELI .

حمل داوود الثانى على عاتقه عبئين أولهما : مهمة استعادة الأراضى الكرجية الخاضعة للسيادة الإسلامية؛ وثانيهما: استكمال وحدة بلاد الكرج مكملا بذلك خطوات سابقيه حنا مَروشدزى JEAN MARUCHIDZE والقربلاط (٧١) داوود DAVID LE CUROPALATE . وتحقيقا لأهدافه هذه قام بإعادة بناء مملكة الكرج داخليا قبل مواجهة الأخطار الخارجية. وأدرك بثاقب بصره وبصيرته أن الخطر الخارجى يحتل المرتبة الأكثر أهمية ، إلا أنه لابد له من جبهة داخلية قوية، لذا عمل على إعادة النظام والأمن والأمان فى ربوع بلاد الكرج ، وتوطين القبائل المهجرة من قبل السلاجقة، وإخضاع رجال الإقطاع الثائرين على السلطة المركزية، وكبح جماح رجال الدين الذين لا يقلون خطورة عن رجال الإقطاع. وأهم من هذا وذاك إعادة بناء جيش قوى وإعداده أحسن إعداد حتى يتمكن من مجابهة أعداء بلاده وانظمتهم العسكرية المتقدمة، وأولى ذلك أهمية بالغة (٧٢).

كان الجيش الكرجى قد انخفض تعداده نتيجة الحروب الكرجية السلجوقية المتواصلة . كذلك أصاب الجيش الاقطاعى الضعف والفوضى نتيجة النزاع الدائر بين كبار رجال الاقطاع والسلطة المركزية . وعلاجا لهذا القصور الاستراتيجى قسم العاهل الكرجى جيشه إلى ثلاث فرق: الأولى ، وتتشكل حرسه الخاص أى الحرس الملكى، ومهمتها تأمين سلامته وأمنه والمشاركة أيضا فى العمليات العسكرية ذات الأهمية البالغة. وأشرف على تجهيزها بأحسن وأحدث الأسلحة القتالية ولم يفته الاهتمام بتثقيفها (٧٣) .

أما الفرقة الثانية ، فقد كلفت بمهمة الدفاع عن المدن والقرى والقلاع والحصون. ثم تأتى فى النهاية الفرقة الثالثة وهى عماد الجيش وتتشكل من الغالبية الساحقة من

الجنود . أدار داوود الثانى العمليات العسكرية بنفسه، فكان قدوة لأفراد جيشه. واهتم أيضا بتحليل كل معركة حربية يخوضها ليتكشف مواضع الخلل والقصور ويعمل على علاج الثغرات . وحرص أيضا على إغداق المكافآت على المقاتلين الشجعان، بينما أجبر المتخاذلين والمتقاعصين على لبس الملابس النسائية ليستعرضهم أمام قواته(٧٤) . .

وبعد أن أتم الملك الكرجى كل هذه الاستعدادات المحسوبة والمدروسة ، قرر اجتياز مرحلة الدفاع والانتقال إلى مرحلة الهجوم، فبدأ بحشد أكبر قدر ممكن من الأعوان والحلفاء حتى يزيد من تعداد جيشه. وأدرك بعين الفاحص المدقق لمستقبل الأمور والأحداث أنه إذا جند المزارعين فى صفوف جيشه سينعكس ذلك سلبا على الانتاج الزراعى ، وسيؤثر تأثيرا سيئا على اقتصاد البلاد. وتيقن أيضا أن المزارع المجند قليل الخبرة بفنون الحرب والقتال . وبحكمته المعهودة يمم وجهه شطر القفجاق القاطنين شمال القوقاز وفكر فى توطينهم فى بلاده وتجنيدهم فى صفوف جيشه عوضا عن تجنيد المزارعين الكرج . وقد اختار القفجاق لمهارتهم القتالية وحنكتهم العسكرية وقناعتهم فى اشباع حاجياتهم الشخصية . إضافة إلى ذلك ، فإن صلة المصاهرة كانت رابطا قويا فى توثيق العلاقات بين الطرفين فقد تزوج داوود بابنة خان القفجاق المدعو أوتروك OTROK (تسمية المصادر الكرجية (أتاراك شاراجانتين(٧٠) ATARAK - CHARAGANIS - TSE)، كذلك كان الماكر الكرجى يدرك تماما أحوال حلفائه المترديه نتيجة ما يعانونه من ضغوط من قبل روسيا وكييف، إذ كان هدف كل منهما هو إبادة القفجاق وطردهم من الأراضى التى كانوا قد احتلوها فيما مضى(٧٧) .

فى ظل هذه الظروف ، كان من الطبيعى أن يحظى مبعوثو العاهل الكرجى بموافقة القفجاق على عملية التهجير المقترحة، مما شجعه على أن يقوم بنفسه بزيارة باب الأبواب(٧٨) ، ويشرف على عملية تهجير هذه العناصر المتوحشة والمتمرسة على فنون الحرب والقتال إلى بلاده . ولم يكتف داوود بذلك ، بل صالح قبائل الأوسيت OSSETES الواقعة أراضيهم بين بلاد الكزج والقفجاق(٧٩) ، بعد أن احتل كل القلاع الموجودة على طريق عبور القفجاق إلى بلاد الكرج . واتفق أيضا على تجنيد خمسة آلاف من المرتزقة الأوسيت . وقام بتوزيع القفجاق على مختلف مقاطعات بلاده، فأسكن عددا منهم فى خارطلى الداخلية؛ ووطن من تبقى منهم شمال أرمينية وفى مقاطعة إريثى وكلفهم بحراسة الحدود . كذلك أسرع ببناء قلعة حصينة بالقرب من قازبك (٨٠) KAZBEK تتحكم بفضل موقعها الاستراتيجى فى ممرات باب اللان(٨١) PAS DE DARYAL .

على أية حال ، اندمج القفجاق بسرعة بالغة فى بلاد الكرج ، فاعتنقوا المسيحية، وتعلموا لغة وطنهم الجديد، وانصهروا بلا مشقة فى الشعب الكرجى . وكان لهجرة القفجاق ، وإعدادهم ليكونوا جيشا منظما، أثره العظيم فى تقوية الجيش الكرجى وتدعيم مكانته الحربية، فقد بلغ تعداده آنذاك خمسة آلاف فارس من الحرس الملكى وستين ألف مقاتل كرجى إضافة إلى فرق من المرتزقة من الداغستانيين والأكراد وسكان الجبال يتم استدعاؤهم عند الضرورة(٨٢) .

شاءت الأقدار أن أصبح ميزان القوى لصالح العاهل الكرجى عقب وفاة ملكشاه سنة ١٠٩٢م / ٤٨٥هـ . كما سبق أن ذكرنا فأسرع بالانقضاض على كتائب الأتراك السلاجقة المستقرة فى خارطلى KARTLI ، ونجح فى اجلائهم عن البلاد ،

وأعاد إليها سكانها من الكرج وأوصاهم باعادة بناء اقتصاد بلادهم المنهار بفعل الحروب ثم قام بمطاردة القبائل الرعوية السلجوقية التى اعتادت أن تأتى فى شهر اكتوبر من كل عام إلى وادى متكافارى MTKAVARI - وهو الاسم الكرجى لنهر الكر - فى الأراضى الممتدة من مدينة تفليس حتى برذعة، ومنعها من الرعى فى هذه المناطق .

علما بأن هذه القبائل الرعوية كانت تنسحب فى فصل الربيع من وادى نهر الكر لتعود ثانية إلى جبال سمخيت SOMKHETIE وإقليم أرارات ARARAT[٨٣] . ثم أعقب ذلك بالامتناع عن دفع الجزية المقررة عليه للسلاجقة وذلك سنة ١٠٩٧م/ ٤٩٠هـ ، وكان معنى هذا اعلان الحرب على عدو بلاده. وقد أدرك خارطليس تسوخوفريبا KARTLIS TSKHOVREBA مؤرخ الملك داوود وكانب سيرته تمام الادراك الأحوال الجديدة التى أحاطت ببلاد الكرج والتى تمكن العاهل الكرجى بمهارة بالغة الاستفادة منها خير استفادة . فقد ربط هذا المؤرخ الفاحص المدقق فى مصدره «سيرة داوود ملك الملوك» TSKHOREBA MEPHET MEPHISA DAVITISI بين الأوضاع الداخلية فى بلاد الكرج بين الأحوال والمتغيرات العالمية آنذاك . فذكر أن ازدياد قوة عاهله وامتناعه عن دفع الجزية للأتراك السلاجقة تزامن مع الدعوة للحروب الصليبية وتأسيس الامارات الصليبية فى فلسطين وبلاد الشام وركز فى حديثه علي أهمية سقوط كل من انطاكية وبيت المقدس فى أيدى الصليبيين [٨٤].

على أية حال ، بعد هذه الاستعدادات العسكرية الهائلة، استعد داوود لاستخدام آلته العسكرية تحقيقا لمخططاته فى استعادة البلدان الكرجية من الاتراك السلاجقة

وتحقيق وحدة بلاد الكرج. فبعد أن نجح فى اجلاء الاتراك السلاجقة عن خارطلى، استعد لضم كاخيتى KAKHETIE وإريثى ERETHIE [٨٥] ، أى بلاد الكرج الشرقية[٨٦] .

ففى عام ١١٠١م/٤٩٥ هـ تخلص داوود الثانى من نفوذ آل أوربليان ORBELIAN الذين نازعوه السيادة على بلاد الكرج. فقد أسر أمير أوربليان الجسور ليباريت الثالث LIPARIT III ، ثم توفى ابنه وخلفه راتى RATI وذلك فى نفس العام ، فحرم الأوربليون من زعمائهم الشرعيين .

وهكذا ساعد الموت الطبيعى لآخر أمراء آل اوربليان، الزعيم الكرجى داوود، على القضاء على مناوئة أهم رجال الاقطاع الكرج له[٨٧] . ثم جاء الدور على الزعيم الاقطاعى الثانى، ألا وهو الأمير الكرجى كويريكيه الرابع KWIRIKE IV وخلفه أغزر ثان الثانى AGHSARTHAN II الخاضعين لسيادة الأتراك السلاجقة. كان على الملك الكرجى أن يجابه آل كويريكيه بالسلاح، فبدأ عام ١١٠١م / ٤٩٥هـ بالهجوم على كويريكيه الرابع أمير كاخيتى واريثى وهما من أهم معاقل الاتراك السلاجقة؛ وتمكن من الاستيلاء على قلعة زايدارادينى ZEDAZADENI التى تعد أهم قلاعه الحصينة، وتقع بالقرب من مصب نهر ارجفى ARAGVI [٨٨] عند التقائه بنهر الكر، شمال مدينة تفليس . ثم شاءت الأقدار السعيدة أن ثار رجال الاقطاع فى كاخيتى واريثى على أغزرثان الثانى خليفة كويريكيه الرابع بسبب فساد أخلاقه وسوء تدبيره للحكم واعتبروه غير جدير بإعتلاء العرش على حد قول لوند موفسسيان LEWOND MOVSESIAN فى مصدره تاريخ ملوك كويريكيان لورى[٨٩] HISTOIRE DES ROIS

KURIKIAN DE LORI . وانتهى المطاف بأن تحالف كبار رجال الاقطاع فى كاخيتى واريثى وقبضوا على أميرهم وسلموه إلى الملك الكرجى داوود . وبذلك نجح فى ضمهما إلى بلاد الكرج الموحدة، وأسدل الستار نهائيا على أسرة آل كويريكيان(٩٠) .

وهكذا أصبحت الأراضى الكرجية الواقعة تحت سيادة داوود الثانى تمتد من شواطىء البحر الأسود إلى جبال داغستان بعد نجاحه فى ضم بلاد الكرج الشرقية إلى مملكته .

هكذا، نجح داوود الثانى فى افشال مخططات الاتراك السلاجقة وسياستهم الهادفة إلى اضعاف بلاد الكرج حتى تظل خاضعة للسيادة السلجوقية. فقد استن ملكشاة منذ سنة ١٠٨٠م / ٤٧٣ هـ سياسة تقضى باشعال نيران الشقاق والفرقة بين الأسرتين البجراطيتين الحاكمتين فى كل من بلاد الأبخاز وخارطلى من ناحية بين أسرة أغزرثان الحاكمة فى مقاطعتى كاخيتى واريثى من ناحية أخرى(٩١) . لكن بسياسته الحكيمة، قوض داوود سياسة الأتراك السلاجقة ، حين نجح فى ضم بلاد الابخاز إلى مملكة الكرج الموحدة عقب وفاة راتى آخر أمراء أسرة أوربليان - كما سبق أن ذكرنا، ثم استولى على خارطلى وضم كاخيتى واريثى عقب ثورة كبار رجال الاقطاع على أغزرثان الثانى آخر أمراء أسرة كويريكيان وانخراطهم تحت لواء العاهل الكرجى .

وكان من الطبيعى أن تثير هذه التوسعات الإقليمية أفئدة الأتراك السلاجقة الذين أسرعوا بحشد القوى الإسلامية المجاورة لمواجهة الخطر الكرجى المتنامى . ففى ظل هذه الظروف الحرجة تزعم طغرل بن محمد (ت المحرم ٥٢٩ هـ / اكتوبر ١١٣٤م)

أمير كنجة GANDJA [٩٢] والران المعسكر الإسلامى وأعلن الحرب على داوود. ودارت بين المتصارعين معركة ضارية بالقرب من إرتسوخى ERTSOUKHI خرج منها الزعيم الكرجى ظافرا بعد أن تمكن من إلحاق الهزيمة بالتحالف الإسلامى وطرده من كاخيتى واريثى[٩٣] :

عقب هذه الانتصارات التى حققها الجيش الكرجى ، ظلت العاصمة تفليس ورستافى ROUSTAVI والأراضى الواقعة جنوبى خارطلى خاضعة لسيادة السلاجقة . إلا أن داوود لم يركن إلى السكينة، إذ بدأ بتوجيه أولى حملاته على جنوب خارطلى هادفا من وراء ذلك التمهيد للإستيلاء على تفليس حيث تتمركز فيها القوات الأساسية للجيش السلجوقى لكن كان عليه أن يستولى أولا على الأطراف الجنوبية للمدينة . وبالفعل فى سنة ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ نجح الجيش الكرجى فى الاستيلاء على شمشفلدى [٩٤] SAMCHVILDE الحصينة . وكان سقوطها هزيمة ساحقة للاتراك السلاجقة، اضطروا بعدها إلى الانسحاب من الأراضى المتاخمة لها. وفى نفس الوقت، تمكن الكرج من احتلال قلعة دزينا DZENA ، واجلاء السلاجقة عن مقاطعة سمخيت SOMKHETI، والحاق هزيمة بهجوم مضاد قام به السلطان السلجوقى[٩٥] . بعد ذلك واصل الجيش الكرجى زحفه إلى أن وصل إلى بلاد كنجة وضواحيها . ويذكر ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) فى مصدره «ذيل تاريخ دمشق» أن هذه المنطقة عانت الأمرين من عبث وفساد الكرج. وعندما علم بذلك السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه (ت فى ١٤ ذى الحجة ٥١١ هـ / ١١١٨م) حشد لمواجهتهم جيشا وافر العدد، وتمكن من «كفّ أذاهم» ، ونجح فى هزيمتهم وتشريدهم وطردهم خارج البلاد

الإسلامية بعد أن «دوخ بلادهم وأخرب أعمالهم». ثم أمن أهل بلاد كنجة من هجماتهم، وعاد ظافرا غانما إلى بلاده (٩٦).

وعلى الرغم من هذه الهزيمة التى لحقت بالجيش الكرجى، فقد بذل الملك داوود الثانى قصارى جهده لوضع حد للاغارات الموسمية التى كان يشنها الاتراك السلاجقة على الأراضى الواقعة جنوب العاصمة تفليس . ونجح بالفعل فى تحقيق هدفه حين استولى سنة ١١١٥م / ٥٠٩ هـ على قلعة رستافى ROUSTAVI الواقعة جنوب شرق تفليس. وكانت هذه القلعة الحصينة قبل سقوطها فى أيدى الكرج تحمى تحركات الاتراك السلاجقة عبر وادى متكافارى MTKAVARI ويورى (٩٧) YORI.

وفى سنة ١١١٦ م / ٥١٠ هـ تمكن فرسان الكرج أيضا من إجلاء السلاجقة عن قلرجيت(٩٨) KLARDJETH والطاييك(٩٩) TAYQ. ثم واصل العاهل الكرجى توسعاته بأن استولى سنة١١١٨م/٥١٢هـ على أجارانى AGARANI، وتوج انتصاره هذا بانتصار على درجة كبيرة من الأهمية حين استولى على قلعة لورى LORI الواقعة على الطريق المؤدى إلى بردودج BERDOUDJ والتى عبرها كان الاتراك السلاجقة يستطيعون الوصول بسهولة إلى مقاطعة سمخيت(١٠٠).

ويعد ضم مملكة لورى إلى مملكة الكرج الموحدة أحد أهم الانتصارات السياسية والعسكرية التى حققها العاهل الكرجى . فبفضل بسط سيادته على هذه المملكة، أصبح الكرج يسيطرون على الطريق من الجنوب حتى بلاد الكرج الشرقية وتفليس، وبذلك قطعوا على الأتراك السلاجقة طريق الوصول إلى تفليس ومهدوا السبيل لاسقاطها فى قبضتهم. كذلك نجح بدهائه الحربى فى بسط سيادته على الاطراف

والأراضى الواقعة جنوبى تفليس، وقضى على كتيبة سلجوقية كانت تمضى الشتاء على شواطىء نهر الرس، مما جعل الأتراك السلاجقة فى موقف لا يحسدون عليه، بعد أن نجح الكرج فى ضم جنوب خارطلى إلى مملكة الكرج الموحدة. ومع ذلك، فقد ظلت كل من تفليس ودمانيسى DMANISI فى أيدى الأتراك السلاجقة(١٠١) .

بعد هذه الانتصارات الحربية المتواصلة والمتلاحقة ، خطط الملك الكرجى لمرحلة الهجوم الشامل على خصمه العنيد الذى عمل له ألف حساب . ويذكر كاتب سيرته أن عيون السلاجقة كانت ترصد أولا بأول تحركات الجيش السلجوقى، فى حين كان داوود الثانى أكثر مكرا منهم . ففى تحرك غير محتمل ولا متوقع ولكى يخدع جواسيس السلاجقة، زحف بجيشه إلى بلاد الكرج الغربية وذلك سنة ١١٢٠م/٥١٤هـ . وبينما كان الجيش السلجوقى يجتاح الأراضى الكرجية، انقض عليه الجيش الكرجى كالصاعقة، ولم يفلت إلا القليل من السلاجقة لاذوا بالفرار من ساحة القتال .

عقب ذلك ، تسلل الملك الكرجى إلى شروان CHIRVAN(١٠٢) واستولى على مدينة قبالا KABALA . ثم واصل زحفه إلى خارطلى ، لكنه اضطر إلى الانسحاب ثانية إلى شروان(١٠٣) ربما بسبب مقاومة سكان خارطلى له، ورفضهم الخضوع للسيادة الكرجية .

إلا أن العاهل الكرجى لم يركن إلى السكينة، فمنذ شهر فبراير من عام ١١٢٠م / رمضان ٥١٣ هـ حتى شهر يونيو من عام ١١٢١م / ربيع أول ٥١٦ هـ شن الجيش الكرجى هجوما ضاريا على قرى الاتراك السلاجقة الواقعة على الأطراف الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية فيما وراء جبال القوقاز، واحتل بذلك نقاط ارتكاز

الاتراك السلاجقة. ولم يقنع بما حققه من انتصارات بل ضيق الخناق فى نفس الوقت على العاصمة تفليس ذلك منذ أوائل عام ١١٢٠م / شعبان ٥١٣ هـ ، علما بأن تفليس كانت تعانى منذ ما يزيد على أربعة عقود من حالة فوضى وتدهور سياسى عقب زوال نفوذ أسرة بنى جعفر ، التى تولت حكمها ما يقرب من قرنين من الزمان[١٠٤]. على أية حال، بعد أن تمكن داوود الثانى من الاستيلاء على مدن وقلاع الأتراك السلاجقة التى تحيط بفريسته، أصبحت العاصمة تفليس محاطة بالجيش الكرجى كإحاطة الدائرة بمعصم اليد، خاصة بعد أن فقد السلاجقة نقاط ارتكازهم الواحدة تلو الأخرى .

ثم واصل الجيش الكرجى شن هجماته الشرسة على قبائل السلاجقة التى اعتادت الرعى فى أحراش بلاد الكرج . فما كان من زعماء هذه القبائل أن أرسلوا يستنجدون بالقوى الإسلامية المجاورة ، وانضم إليهم كبار تجار كنجة وتفليس ودمانيسى . ومثل الجميع أمام السلطان السلجوقى محمود بن ملكشاه (ت فى شوال ٥٢٥ هـ / أغسطس ١١٣١م) الذى بدوره - قد انتابه الفزع لإدراكه مدى خطورة بسط السيادة الكرجية على الأراضى الواقعة فيما وراء جبال القوقاز على حساب الوجود السلجوقى هناك. إزاء ذلك، استعد لتلك المجابهة الحاسمة خير استعداد، وأعد هجوما مضادا[١٠٥] .

هذا بينما وسع داوود الثانى من نطاق مصاهراته السياسية بأن زوج ابنته ثمارا THAMAR لشروانشاه ملك شروان المسلم، وأصبح بذلك صديقا حميما ومناصرا قويا له[١٠٦] . كذلك بفضل سياسته الماكرة هذه ، كسب ود الامبراطورية البيزنطية بعد أن زوج ابنته الثانية كاتا KATA بابن القيصر نقفور برينيوس[١٠٧]

. NICEPHORE BRYENNE

هكذا ، توغل اسفين الكرج فى عمق الأراضى السلجوقية، وأحدث تصدعا رهيبا وآثارا مفزعة بين الدويلات الإسلامية الصغيرة المتنافرة .

إزاء هذا الخطر الداهم والساحق والذى كاد يؤدى إلى استئصال الوجود السلجوقى من هذه البقاع، كان لابد من توحيد الصفوف الإسلامية خاصة بعد أن وردت الأخبار سنة ١١٢١م/ ٥١٥ هـ «بظهور الكرج من الدروب، وقصدهم بلاد الملك طغرل» الذى كان باسطا سيادته على الران ونتجوان(١٠٨) حتى نهر الرس(١٠٩) والمتاخم مباشرة لحدود بلاد الكرج(١١٠) .

علاجا لهذا الخطر المستشرى على الوجود الإسلامى، أعلن السلطان السلجوقى محمود بن ملكشاه (ت فى شوال ٥٢٥ هـ / أغسطس ١١٣١ م) الدعوة للجهاد و«تكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا»(١١١) ، فتحالف كل من الأمير نجم الدين إيلغازى بن أرتق(١١٢) صاحب وأمير حلب وماردين ومؤسس دولة بنى أرتق التركمانية ، والأمير سيف الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد الأسدى(١١٣) أمير الحلة وصهر نجم الدين إيلغازى على ابنته كمارختون(١١٤) ، والملك طغرل بن محمد(١١٥) ملك كنجة والران ، وشمس الدين طغان أرسلان الأحدب حاكم أرزن(١١٦) وبدليس(١١٧) ودوين(١١٨). وهكذا «كان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا»(١١٩) .

أما الملك داوود الثانى ، فقد استعد لهذه المعركة الفاصلة أحسن استعداد، إذ حشد حسب قول عز الدين بن شداد (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) «خلقا لا يحصى»(١٢٠). فقد انخرطت فى جيشه جموع من «القفجاق وغيرهم من الأمم المجاورة لهم(١٢١)».

وينفرد المؤرخ الأرمنى متى الرهاوى (ت ١١٤٤م/٥٣٩هـ) MATTHIEU D'EDESSE والمستشار جلتيرى GALTERII بذكر تعداد وأجناس الجيوش المتحالفة مع الجيش الكرجى. إذ جاء فى هذين المصدرين المهمين أن جيش داوود ضم أربعين ألف من أشجع جنود الكرج وخمسة عشر ألفا من أمهر جنود خان القفجاق وخمسة ألاف من الأوسيت وألفين من الصليبيين وعناصر أخرى متحالفة من الداغستانيين والأكراد وسكان الجبال لم يرد ذكر تعدادها . وذكر جلتيرى أن إجمالى الجيش الكرجى بلغ الثمانين ألف مقاتل[١٢٢] .

هذا عن تعداد جيش المعسكرين المتصارعين ، ويتضح من خلاله أن جيش داوود الكرجى بلغ ما يقرب من ثلاثة أضعاف جيش الأتراك السلاجقة وحلفائهم من الأمراء المسلمين المجاورين .

وإذا انتقلنا إلى العاصمة تفليس، فقد بلغ اضطراب انظمة الحكم فيها مداه، مما دفع الفارقى (ت ٦٨٧ هـ/١٢٨٨م) إلى ذكر أنه « كان كل شهر يلى أمرهم منهم واحد بقوا كذلك مدة أربعين سنة»[١٢٣] وذلك عقب زوال نفوذ أسرة بنى جعفر التى حكمت المدينة طوال ما يقرب من قرنين من الزمان كما سبق أن ذكرنا .

على أية حال ، استغل داوود كل هذه الظروف المواتية أحسن استغلال . فبدأ بممارسة ضغطه العسكرى على تفليس. وكان لابد من وحدة الجيوش الإسلامية لمواجهة المد الكرجى، خاصة بعد أن أسرع الجميع لتلبية نداء الجهاد. وسجل ابن القلانسى(ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) الفزع الذى استشرى فى صفوف الجيش الكرجى بسبب كثرة اعداد جيوش المتحالفين المسلمين بقوله«فعاد (الكرج) فرقا[١٢٤]» . فما كان من المسلمين إلا أن تعقبوا فلول الفرق الكرجية المنسحبة ، وضيقوا عليهم

الخناق فى الدروب . لكن الكرج تشجعوا واستداروا لقتال المسلمين ، وتمكنوا من هزيمتهم بعد استشهاد أعداد كبيرة من المجاهدين .

بعد ذلك، قصد الجيش الكُرجى مدينة تفليس حيث تتلوا من فيها [١٢٥]، مما دفع أهالى المدينة – على حد قول الفارقى – إلى إرسال وفد إلى نجم الدين ايلغازى لاستدعائه ليسلموه تفليس ، خاصة بعد أن «ضايقهم(داوود ملك الأبخاز والكرج) مضايقة شديدة» وأصاب مدينتهم الاضمحلال والخراب. كذلك استنجدوا بطغرل ملك كنجة والران ، فأمدهم بجيش مزود بعتاد للدفاع عنهم، لكنه لم ينجح فى إجلاء الجيش الكرجى المحاصر لمدينتهم «وزادت مضايقة الكرج لهم» مما اضطر أهل تفليس بعد طول الحصار المفروض على مدينتهم- إلى أن يتفقوا مع داوود الثانى على «أن يحملوا له فى كل سنة عشرة آلاف دينار، ويكون عندهم شحنة معه عشر (صحتها عشرة) فوارس ، فبقوا على ذلك مدة»[١٢٦] .

إلا أن سكان تفليس خرقوا الاتفاق، إذ أوفدوا سفارة ثانية إلى نجم الدين إيلغازى «يستدعونه ليسلموا إليه تفليس»[١٢٧] . فسار لنجدتهم وبصحبته جيش عظيم، وانضم إليه صهره نور الدولة دبيس بن سيف الدولة صدقة بن مزيد الأسدى ملك العرب صاحب الحلة، وكذلك شمس الدولة طغان أرسلان بن الأحدب صاحب أرزن وبوليس ودوين الذى تسلل إلى تفليس من الشرق مصطحبا معه القاضى علم الدين بن نباتة وولده علم الدين أبو الفتح الكبير والوزير أبو تمام بن عبدون. ووصل المتحالفون المسلمون إلى أرزن الروم[١٢٨] ، وأتخذ الجميع طريق ثرياليت[١٢٩] THRIALETH واتفقوا على أن تجتمع الجيوش الإسلامية على باب تفليس[١٣٠] . أما الملك طغرل ، فقد قدم من ناحية كنجة، وسار طغان أرسلان بن

الأحدب من دوين؛ وزحف لجم الدين ايلغازى بجيشه إلى مشارف العاصمة تفليس على مقربة نصف يوم من تفليس الجبل[١٣١] أي على مقربة من مرتفعات ديدجورى DIDGORI الواقعة جنوب غرب تفليس حيث دارت المعركة الفاصلة .

هذا عن حشود الجيوش الإسلامية وتحركاتها لمواجهة معركة حاسمة تهدد كيانها ليس فقط فى بلاد الكرج بل فى القوقاز عامة .

أما الملك داوود، فلم يكن أقل استعدادا من الجيوش الإسلامية . إذ يذكر ابن الأزرق (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٤م) إنه خرج ومعه ولده وولى عهده ديمترى من الناحية الغربية[١٣٢] «ومعه خلق لا يحصى[١٣٣] »، واتخذ موقعا استراتيجيا إذ كان يحدر عليهم من الجبل وهم فى لحفة»[١٣٤] وقبل وصول جيش الملك طغرل بن محمد ولا شمس الدولة طغان أرسلان بن الأحدب بمن معه، اندلع قتال ضار بين المتصارعين وكانت الجيوش الإسلامية المتقدمة بقيادة نجم الدين إيلغازى وصهره دبيس[١٣٥] . وانفرد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) - وعنه نقلت معظم المصادر الإسلامية - بذكر أسباب هزيمة الأتراك السلاجقة والجيوش الإسلامية المتحالفة معها، إذ ارجع ذلك إلى خدعة ماكرة استنها ملك الكرج، أدت إلى حدوث فوضى واضطراب فى صفوف المعسكر الإسلامى . فبعد أن اصطف الجيشان المتصارعان استعدادا للقتال، خرج من بين صفوف القفجاق حلفاء الكرج ما يربو على المائتى رجل، فظن المسلمون أنهم استسلموا، فلم يحترزوا منهم . وبذلك تمكن القفجاق من اختراق صفوف المسلمين دون أن يلحق بهم أذى، وسرعان ما أمطروهم بوابل من النشاب، فاضطربت صفوفهم وظنوا أن هزيمة ساحقة أصابتهم[١٣٦] ، كان ذلك فى الرابع عشر من أغسطس سنة ١١٢١م[١٣٧]/ ٢٩ جمادى الأولى سنة

٥١٥ هـ فى منجليس MANGLISI غربى تفليس(١٣٨) . «وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ؛ ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم»(١٣٩) . فتعقبهم الجيش الكرجى وأخذ يطاردهم لمسافة عشرة فراسخ(١٤٠) . «وقتل وأسر من المسلمين ما لا يحصى(١٤١)». ويذكر ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) أنالكرج «أسروا أربعة آلاف رجل»(١٤٢) . وأن نجم الدين إيلغازى عاد هزيما فى عشرين فارسا إلى ميافارقين ومعه صهره دبيس، فأقام بها مدة، ثم سار إلى ماردين وأقام بها إلى سنة ست عشرة وخمسائة على حد قول ابن شداد(١٤٣) (ت٦٨٤هـ / ١٢٨٥م). ويذكر ابن الاثير أن حصار تفليس دام إلى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م.(١٤٤) وإنه عندما قارب أهلها على الهلاك، أوفدوا بعثة ضمت قاضى المدينة وخطيبها إلى الكرج طالبين الأمان. «فلم تصغ الكرج إليهما، فأحرقوا بهما (أي أحرقوا القاضى والخطيب) ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه»(١٤٥). ولم يكتف الكرج بهذه الأعمال الوحشية بل «قتلوا عامة أهلها، وسبوا الذرية»(١٤٦) .

هذا عن تفاصيل سقوط تفليس فى المصادر الإسلامية، ومنها نستخلص أن رواية ابن الأثير تعد أكمل هذه الروايات ، وأن معظم المصادر الإسلامية الأخرى إما نقلت عنه نقلا يكاد يكون حرفيا أو اختصرت روايته اختصارا شديدا (١٤٧).

وإذا انتقلنا إلى المصادر الأجنبية، فنلاحظ أنها زودتنا بتفاصيل أدق وأكمل وأكثر إفاضة من المصادر الإسلامية. فقد جاء فيها أن السلطان السلجوقى حشد جيوشا من دمشق وحلب حتى القوقاز وكون اتحادا من الفرس والعرب والأتراك السلاجقة لمواجهة هذا الخطر الداهم، ووضع حد لتفاقمه. وبالغت المصادر الأجنبية مبالغة واضحة فى احصاء تعداد الجيوش الإسلامية المتحالفة. فقد ذكر المستشار

جلتيرى ، مستشار إمارة انطاكية GALTERII CANCELLARII ANTIOCHENIفى حوليته «انطاكية الجميلة» ANTIOCHENA BELLA أن تعداد الجيوش الإسلامية بلغ ستمائة الف (١٤٨)؛ بينما جاء فى كل من الحولية الكرجية التى صنفها « خارطليس تسوخوفريبا » KARTLIS TSKHOVREBA وعنوانها «سيرة الملك داوود ملك الملوك»(١٤٩) وحولية المؤرخ الأرمنى متى الرهاوى CHRONIQUE DE MATTHIEU أنه كان أربعمائة ألف فقط(١٥٠) . ومن المؤكد أن الأرقام الواردة فى المصادر الأجنبية مبالغ فيها مبالغة واضحة، والهدف من هذه المبالغة إكساب الملك الكرجى داوود الثانى مظهر البطل الاسطورى الذى تمكن من كسر شوكة الاتراك السلاجقة والقضاء على الاسطوره القائلة بأنهم قوم لا يقهرون. هذا بينما ذكرت المصادر الإسلامية فى حديثها عن معركة ديدجورى(١٥١) أن عسكر المسلمين بلغ تعداده ثلاثين الف مقاتل فقط كما سبق أن ذكرنا .

على أية حال فى الثانى عشر من أغسطس سنة ١١٢١م / ٢٧ جمادى الأولى سنة ٥١٥ هـ تسلل المسلمون إلى بلاد الكرج عن طريق ثرياليت رمنجليس وديدجورى وتمكنوا من احتلال تفليس والتمركز فوق مرتفعات ديدجورى DIDGORI الواقعة جنوب غرب العاصمة(١٥٢) . فى حين قاد العاهل الكرجى جيشه المكون من تحالف الكرج والقفجاق والاسيت والصليبيين والداغستانيين والأكراد وسكان الجبال(١٥٣)، واختار ضواحى ديدجورى الواقعة داخل مقاطعة خارطلى لتكون ساحة معركته الأولى. لذا سميت هذه المعركة فى المصادر الأجنبية باسم معركة ديدجورى. وفى هذه المعركة ابتدع الماكر الكرجى حيل حربية ماهرة

تقضى ببث الفوضى والاضطراب فى صفوف التحالف الإسلامى المتراص والمنظم أحسن تنظيم. فقد أصدر أوامره إلى الكتائب الكرجية بالانقضاض على جناحى الجيش الإسلامى، فما كان من الجنود المسلمين إلا أن انطلقوا كالوحوش المفترسة لاقتناص المهاجمين الذين سارعوا بدورهم إلى الانسحاب والاختفاء من ساحة القتال. وطبق داوود هذه الخطة فى كافة الجبهات فى أوقات متقاربة. وفى كل هجمة كان الجيش الكرجى يلوذ بالفرار دون مواجهة الجيوش الإسلامية. وبالفعل، كان لهذا التكتيك الحربى الماكر عواقبه الوخيمة على التحالف الإسلامى، إذ تبددت صفوفه المنتظمة ، وأصيب بنوع من البلبلة والاضطراب ، وصاحب كل ذلك الفوضى العارمة . كان هذا أهم ما أسفرت عنه المعركة الأولى من نتائج[١٥٤] . وفى اليوم الرابع عشر من أغسطس سنة ١١٢١ م / ٢٩ جمادى الأولى سنة ٥١٥ هـ اندلعت المعركة الثانية الحاسمة والفاصلة والتى حددت مصير تفليس. ففى هذا اليوم ، أصدر داوود أوامره إلى كتائب الجيش الكرجى ببدأ عملية المناورة، بحيث يتم ذلك بأن تحارب كل كتيبة على حدة كأنها مستقلة تماما عن باقى فصائل الجيش . بينما ترأس بشخصه كتيبة تضم نخبة مختارة من أحسن الفرسان المتمرسين على فنون الحرب والقتال. وانتظر الملك الكرجى الفرصة المواتية لخوض غمار معركته الفاصلة. وبالفعل واته هذه الفرصة حين شعر بتطرق اليأس إلى صفوف الجيوش الإسلامية ولاحظ انهيار معنوياته عقب المناورات والاغارات الكرجية المتواصلة. حينئذ قام بتوحيد كتائبه. ويذكر المستشار جلتيرى أن داوود أقام معسكره بين جبلين مغطين بغابات كثيفة فى وادى ديدجورى . ويرجع فضل اختياره هذا الموضع الاستراتيجى إلى عيونه المندسة فى صفوف الجيش الإسلامى والذين اخبروه أن عدوه سيهاجم هذا

الموضع(١٥٥) . وقبيل اندلاع المعركة المصيرية خطب العاهل الكرجى فى جنوده خطبة حماسية(١٥٦) جاء فيها : «هيا بنا يا جنود المسيح ! فإذا أبلينا بلاء حسنا ، سنضع حدا ليس فقط لأخطار ومصائب هؤلاء الأعداء الأشرار ، لكن أيضا سنتمكن من القضاء عليهم قضاء مبرما . لقد طرأت على ذهنى فكرة أعرضها عليكم، وسيكون من بين نتائجها الحفاظ على كرامتنا وسلامتنا فى آن واحد. فلنرفع أيدينا إلى السماء، متضرعين إلى الله عز وجل الذى نحبه من أعماق قلوبنا، طالبين منه الموت والاستشهاد فى ميدان القتال بدلا من الفرار مخذولين. ولكى نقضى على أى تفكير شيطانى يدفعنا إلى الهرب من ساحة الوغى، اقترح أن نسد بواسطة كتل الأخشاب السميكة الممرات التى دخلنا عن طريقها إلى هذا الوادى (أى وادى ديدجورى) . وهكذا ، دون أن يتطرق الخوف أو الاضطراب إلى قلوبنا، سنخوض بشجاعة منقطعة النظير معركة فاصلة مع عدونا. وستكون المواجهة وجها لوجه وجسداً لجسد حتى لا يتجرأ على مواجهتنا ثانية»(١٥٧) .

والجدير بالملاحظة أن مصنف «انطاكية الجميلة» لجلتيرى انفرد - دون غيره من المصادر - بذكر خطاب داوود السالف الذكر . كذلك يعد أهم المصادر الأجنبية والإسلامية على وجه الإطلاق بصدد تفاصيل معركة ديدجورى وفنون الحرب والقتال فيها .

على أية حال ، حظى خطاب داوود الحماسى والمثير للهمم بقبول الجميع، فأسرع اللعاهل الكرجى بترتيب صفوفه وتنظيمها استعدادا للمواجهة الكبرى التى عمل لها الف حساب . فوضع فى المقدمة مائتين من جنود الفرنج، كانوا قد سبق لهم الانخراط فى خدمته، وأوكل إليهم مهمة القيام بالضربات الأولى. إلا أنه فجأة

وعلى غير موعد، فى الجانب الآخر من مدخل وادى ديدجورى، سمع صياحاً عالياً، وضجيجاً مفزعاً لأسلحة ومعدات حربية ، وصهيل خيول. ورأى الجميع الوية ورايات الأعداء تتقدم مصحوبة بدقات الطبول والكوسات إعلانا عن قدومهم إلى ساحة القتال . وانطلقت هذه الأصوات المفزعة من التلال والوديان المجاورة معلنة الحرب . لكن الملك داوود انتظرهم فى ثبات وخشوع دون أن يتطرق الفزع إلى قلبه وحرص على رفع معنويات جنوده مؤكدا لهم أن باستطاعة جيش صغير العدد أن يحرز انتصارا على جموع غفيرة من الأعداء بفضل الله وحده[١٥٨] . وبمجرد أن أنهى حديثه هذا، انقض عليه جيش المتحالفين المسلمين كالصاعقة مطلقين صيحاتهم المدوية «الله أكبر» وعلى الرغم من هذا الهجوم المباغت تمكن الجيش الكرجى من إحراز نصر على المسلمين الذين انسحبوا فى فوضى عارمة بعد أن تعرض الغالبية العظمى منهم لسيوف جنود الكرج والمتحالفين معهم. واستمرت عملية مطاردة الفارين ثلاثة أيام وتعقبوهم حتى حدود آنى ، وجرح ايلغازى قائد الجيوش الإسلامية فى رأسه ، وفر من ساحة القتال مع قلة قليلة من اتباعه. فقدتمكن من الفرار إلى ماردين سالما بفضل مساعدة صهره دبيس بن صدقة على حد قول جلتيرى[١٥٩] بعد أن نهب لدبيس ثلاثمائة ألف دينار [١٦٠].

هكذا أحرز الجيش الكرجى وحلفاؤه نصرا حاسما على الأتراك السلاجقة وحلفاؤهم فى معركة ديدجورى.وكان لهذا النصر آثاره البعيدة المدى على الشعوب الخاضعة لسيادة السلاجقة، إذ ولد هذا النصر لدى هذه الشعوب الأمل فى إنهاء تبعيتهم لهم. كذلك بدأت تظهر على حلبة السياسة فى الشرق الأدنى الإسلامى آنذاك قوة جديدة يحسب لها ألف حساب ، خاصة بعد أن حققت نصرا حاسما على

السلاجقة. فالبيزنطيون والصليبيون وجدوا حليفا جديدا سيناصرهم ويتحالف معهم فى حروبهم المقبلة ضد الأتراك السلاجقة والمسلمين .

على أية حال، عقب هذا النصر الكبير، أسرع الملك الكرجى داوود بالاستيلاء على إمارة تفليس الإسلامية فأحكم عليها الحصار مدة من الزمن، ثم هدم سورها الغربى. وتمكن فى نهاية المطاف من الاستيلاء عليها سنة ١١٢٢م /٥١٦ هـ «وجعلها ترسانة سلاحه، ومقر إقامة أبنائه» . وأعادها ثانية عاصمة لمملكة الكرج الموحدة، بعد أن ظلت ما يقرب من أربعة قرون خاضعة للسيادة الإسلامية(١٦١). وبالاستيلاء على تفليس ، استكمل العاهل الكرجى عملية إعادة الوحدة إلى ربوع مملكة الكرج. ولم يكتف بذلك.بل طمع فى مواصلة حرب استرداد الأراضى الخاصعة للسلاجقة وجيرانه المسلمين .

ففى سنة ١١٢٣م / ٥١٧ هـ شن الزعيم الكرجى غارة شرسة على دربند شروان(١٦٢)، وشدد عليها الحصار، . فأسرعت جموع غفيرة من أعيان المدينة إلى السلطان السلجوقى طالبين نجدته(١٦٣) «وشكوا إليه ما يلقون منهم (أى من الكرج) وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم(١٦٤) . فعزم العاهل السلجوقى على نجدتهم ووضع حد لإغارات الكرج. هذا بينما كان داوود الثانى قد تمكن من الوصول إلى شماخى(١٦٥) CHEMAKHA . فنزل السلطان ببستان هناك، فأسرع الجيش الكرجى لنزال جيش السلطان الذى انتابه الفزع الشديد. وأشار الوزير السلجوقى شمس الملك عثمان ابن نظام الملك على السلطان بالانسحاب(١٦٦). وعندما علم أهل شروان بذلك قالوا للسلطان «نحن نقاتل ما دمت عندنا وإن تأخرت ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا». فاقتنع السلطان بأقوالهم

و«أقام مكانه»[١٦٧] وقرر عدم الانسحاب. وقد علق ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) على أحوال الفزع المنتشر فى صفوف الجيش السلجوقى أحسن تعليق حين قال: «وبات العسكر على رجل عظيم»[١٦٨] . ثم أورد فى موضع آخر أن الفرج جاء من الله إن «ألقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه مهزومين[١٦٩]» . بعد هذه الهزيمة التى منى بها الجيش الكرجى نتيجة الاقتتال بين الحليفين، تمكن السلطان السلجوقى من فتح شروان والاستيلاء على مدينة شماخى وأسر حاكم شروان . ثم أرسل خطاب تهديد إلى ملك الكرج طالبا فيه رد كل ما سبق أن استولى عليه من السلاجقة . فما كان من داوود إلا أن أسرع بالتسلل إلى شروان، وفرض عليها حصارا شديدا ، مما اضطر السلطان السلجوقى إلى الانسحاب منها خوفا من المجابهة . وأعاد داوود شروان إلى ما كانت عليه قبل الفتح السلجوقى . إلا أنه فى سنة ١١٢٤م/٥١٨ هـ رأى بثاقب بصره وبصيرته ضرورة ضمها إلى رقعة بلاد الكرج ، فعين عليها حامية كرجية مكونة أساسا من الاريشيين والكاخيتيين أقامت فى مدن وقلاع شروان [١٧٠].

وينفرد متى الرهاوى - دون غيره من المصادر - بذكر اندلاع قتال ضار حدث سنة ١١٢٣م / ٥١٧ هـ بين الكرج والاتراك السلاجقة ، لم يحدد موضعه، نتج عنه قتل جموع لا تحصى من الاتراك السلاجقة؛ مما دفع طغرل (ت المحرم ٥٢٩ هـ / اكتوبر ١١٣٤ م) ملك كنجة إلى حشد جيش ضخم للثأر من الكرج . ويروى أن حاكم كنجة أقام جسرا من السفن على نهر الكر ، ليعبر عليه جنوده البالغ عددهم ستين الف مقاتل. وكانت خطته قائمة على اجتياز نهر الكر والانقضاض على بلاد الابخاز . إلا أنه عندما علم العاهل الكرجى بهذه الحشود ، عبأ جيوشه، ونجح فى

تحطيم جسر السفن الذى أقامه السلاجقة، وبذلك تمكن من تمزيق خصمه إربا على حد قول متى الرهاوى . أما ملك كنجة ، فقد لاذ بالفرار إلى مدينة أوزكند OZKEND ومثل أمام عمه السلطان سنجر طالبا نجدته(١٧١) .

ولم يكتف داوود باستعادة بلاد الكرج، بل شجعته انتصاراته المتلاحقة على الاستيلاء على المدن الأرمنية. ففى خلال عام ١١٢٣م/٥١٧هـ تمكن العاهل الكرجى من الاستيلاء على سلسلة من القلاع الأرمنية . ثم بلا تريث ولا تمهل زحف على كولا(١٧٢) KOLA وباسيان (١١٧٣) BASSIANI وتمكن من الحاق الهزيمة بالأتراك السلاجقة الذين كانوا قد بسطوا سيادتهم على هذه الأقاليم الجنوبية من بلاد الكرج(١٧٤).

ثم جاء بعد ذلك دور آنى ANI - عاصمة أرمينية الكبرى - والتى كان قد فتحها من قبل العاهل السلجوقى ألب أرسلان سنة ١٠٦٤ م / ٤٥٦ هـ (١٧٦)، وظلت ستة عقود خاضعة لسيادة الاتراك السلاجقة. وقد لعبت مدينة آنى باعتبارها مركزا اداريا وتجاريا كبيرا، ونقطة استراتيجية مهمة للعهدين البجراطى والسلجوقى، دورا بالغ الأهمية فى تاريخ البلاد السياسى والحربى . وقد غدت آنى خلال تلك الحقبة ميدانا للمصادمات الحربية العديدة بين بلاد الكرج من ناحية والأمراء المسلمين الذين ثبتوا مواطىء أقدامهم فى أرمينية من ناحية أخرى . وتوقف على نتائج الصراع بين هذين الطرفين مصير لا مدينة آنى وحدها وإنما معها أيضا مصير مقاطعة أراجدزوتن(١٧٧) ARAGADSOTN واقليم شيراك CHIRAK (١٧٨) . ولهذا كان استيلاء الكرج على آنى ضربة انزلت لا بأمن وسلامة التجار المسلمين فحسب، وإنما أيضا بالمصالح التجارية للإمارات الإسلامية

فى أرمينية ككل . فبعد أن نجح الملك الكرجى فى الاستيلاء على سبير[١٧٩] SPER المطلة على نهر شوروخ والواقعة فى منتصف الطريق بين ارزن الروم[١٨٠] وطرابيزون[١٨١]، حمل على عاتقه مهمة الاستيلاء على آنى .

وكانت العاصمة الأرمينية - على حد قول أحمد بن لطف الله منجم باشى فى مصدره «باب فى الشدادية من كتاب جامع الدول » (كتبه حوالى سنة ٥٠٠ هـ /١١٠٧م) - قد آلت منذ سنة ١٠٦٥م / ٤٥٧ هـ إلى أبى الأسور[١٨٢] حاكم الران من أسرة بنى شداد الكردية ، إذ تمكن من الاستيلاء على حصن آنى الحدودى وأصلح ما تهدم منه وعمره ورممه، وعين عليه عماله بعد أن «شحنه بالسلاح والذخيرة والميرة والرجال[١٨٣]» .

وحتى الربع الأل من القرن الثانى عشر الميلادى كان الشداديون تابعين لسيادة الأتراك السلاجقة. وكان هؤلاء بدورهم حماة الشدادين ومدافعين عنهم فى مواجهة أطماع كل من بلاد الكرج والإمارات الإسلامية المجاورة. بيد أن الحكام الشداديين لم يعبأوا دوما بمصالح أهالى مدينة آنى وقواعد حياتهم وعاداتهم، مما حدى بأهل هذه المدينة إلى الاستنجاد والاستعانة بملوك الكرج. وينبغى أن نضع فى الاعتبار أيضا أن مملكة الكرج كانت لديها خططها ومصالحها واهتماماتها المرتبطة بمدينة آنى، وهى فى زودها عنها وقفت ضد تحالف الأمراء المسلمين حماة أسرة بنى شداد[١٨٤] .

على أية حال ، يذكر المؤرخ الأرمنى صموئيل الآنى SAMUEL D'ANI فى حوليته CHRONIQUE أنه عقب وفاة الأمير الشدادى مانوتشه[١٨٥] MANDOUTCHE سنة ١١١٠م/٥٠٤ هـ خلفه ابنه أبو الأسور . وتصف

المصادر الأرمنية حاكم آنى الجديد بأنه كان منخور القوى، ضعيف القلب والعزيمة، جبانا لا يقوى على مواجهة الأخطار والاغارات المحدقة بربوع العاصمة الأرمنية والتى نجم عنها تدمير اقليم شيراك GHIRAK عن بكرة أبيه . فبدلا من أن يسعى أبو الأسور بن مانوتشه إلى رد الهجمات عن مدينته، قرر بيعها إلى أمير قرص KARS نظير مبلغ قدره ستون الف دينار . وعندما شاع هذا الخبر بين الأرمن، انتاب الخوف والفزع زعماء وسكان آنى، فأسرعوا بالاستنجاد والاستعانة بالملك الكرجى داوود الثانى، وحثوه على الاستيلاء على مدينتهم وتعهدوا له بمساعدته على تحقيق هذا الهدف(١٨٦) .

إزاء هذا الاستنجاد، حشد الزعيم الكرجى جيشا قوامه ستون ألف فارس، زحف على رأسه إلى العاصمة آنى وقام بحصارها من كافة الجهات حسب قول بروسيه BROSSET فى كتابه «أطلال من آنى» LES RUINES D'ANI . وبفضل مناصرة ومساعدة سكانها من الأرمن وكبار أمراء الاقطاع من آل أوربليان ORBELLIAN وآل ايفانيه IVANE وال زخارى ZAKHARE تمكن العاهل الكرجى من التسلل إلى داخل العاصمة الأرمنية والاستيلاء عليها بعد ثلاثة أيام من حصارها. ولم ينل آنى أية أضرار أو خسائر من الأرواح. كان ذلك فى شهر أغسطس سنة ١١٢٣م /(١٨٨) جمادى الآخره سنة ٥١٧ هـ . وعين حاكما على العاصمة الأرمنية الأمير الكرجى أبا الحيث ABELHETH وابنه ايفانيه، وخصص لها حامية قوية للدفاع عنها، وعاد ثانية إلى عاصمته تفليس وبصحبته أسيره أبو الأسور والبقية الباقية من أسرة بنى شداد الكردية(١٨٩) .

كان لاستيلاء الزعيم الكرجى على العاصمة الأرمنية آنى صداه البعيد المدى؛ إذ

كانت المدينة مركزا للحياة القومية والثقافية لأرمينية والأرمن ، وكانت لها مكانتها التجارية إذ تعد من أغنى مدن الشرق الأدنى آنذاك، إضافة إلى أنها كانت قلعة استراتيجية على درجة كبيرة من الأهمية. واستبشر سكانها خيرا عقب تحريرها. وغمرت الفرحة قلب المؤرخ الأرمنى متى الرهاوى وعبر فى حوليته عن ارتفاع معنويات الشعب الأرمنى عقب إعادة مسجد المدينة إلى كاتدرائية حين قال: «وانتشرت الفرحة البالغة بين أفراد أمتنا خاصة بعد أن رأينا ذلك البناء المقدس يعود ثانية إلى أصحابه الشرعيين» ، ووصف الملك الكرجى بأنه الصديق الوفى للأرمن(١٩٠) .

وأخيرا، انفرد متى الرهاوى دون غيره من المصادر الكرجية والأرمنية والإسلامية على حد سواء بذكر أخبار آخر حلقة من حلقات الصراع الضارى بين الاتراك السلاجقة والكرج فى عهد داوود الثانى. فقد ذكر أخبار حملة تمت قبيل وفاة الملك الكرجى سنة ١١٢٥م/٥١٨ هـ . فقد أورد أن السلطان السلجوقى أعد تحالفا إسلاميا ضم إبراهيم بن سقمان صاحب خلاط، وداوود بن سقمان أمير هنزيط HANTZITH وانضمت إليهما جيوش بعض الأمراء المسلمين المجاورين . احتشدت هذه الجموع الغفيرة وزحفت لاجتياح بلاد الكرج. فأسرع الزعيم الكرجى لقتالهم، ودارت بين الخصمين معركة طاحنة خرج منها داوود الثانى ظافرا بعد أن «طفحت الجبال والوديان بدماء المتحالفين ، وانتشرت روائح جثث القتلى فى كافة ربوع البلاد من أقصاها إلى أقصاها» على حد مبالغة متى الرهاوى. ولم يكتف الجيش الكرجى بذلك بل قام بمطاردة فلول المنسحبين لمدة خمسة أيام(١٩١).

على أية حال، كان للمد الكرجى على حساب الأتراك السلاجقة فى كل من بلاد

الكرج وأرمينية الكبرى صداه المدوى فى ربوع العالم الإسلامى آنذاك، إذ كان لا يقل عن الصدى الذى أحدثته الانتصارات التى حققها الصليبيون فى الشرق الأدنى الإسلامى. إزاء هذا الخطر الكاسح، أسرع وفد من مسلمى القوقاز للمثول أمام الخليفة العباسى فى بغداد ، وتوسلوا إليه لاعلان الدعوة للجهاد ضد الكرج، تماما كما فعل مسلمو بيت المقدس وطرابلس وحلب عندما طلبوا من خليفة بغداد اعلان الجهاد لمواجهة الوجود الصليبى على أراضى المسلمين. إلا أن هذه النداءات لم تأت ثمارها وذهبت سدى[١٩٢] . وهكذا كانت تدور هذه المعارك حامية الوطيس بين الكرج والأتراك السلاجقة وأمير المؤمنين لا يكاد يفعل شيئا، فازداد الكرج قوة وخطرا .

وقبل طى صفحات هذا البحث المتواضع، ينبغى الإشارة إلى أن الملك الكرجى داوود الثانى سبق عصره المتسم بالتعصب الدينى الأعمى حين تسامح تسامحا بالغا فى تعاملاته مع رعاياه من المسلمين والأرمن[١٩٣] المخالفين له فى المذهب الدينى. وعلى هذا، فقد سبق تاريخيا صلاح الدين الأيوبى رائد التسامح الدينى فى عصر الحروب الصليبية .

والملاحظ أن معظم المصادر الإسلامية منها قبل الكرجية أجمعت على أن العاهل الكرجى لم يفرق بين طوائف شعبه من مسلمين ومسيحيين ويهود . فقد أشار إلى ذلك ابن الأزرق الفارقى (ت ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨م) الذى زار مملكة الكرج، وسجل لنا فى تاريخه ما شاهده من نظم وعادات . وتوصل إلى خدمة ملكها ديمترى بن داوود الثانى ، وزار بعض ولايات مملكة الكرج آنذاك مثل آنى والابخاز ودربند فقد ذكر أنه فى سنة ٥٤٩ هـ /١١٥٤م أقام فى تفلبس .والتقى

بأحد المسلمين الأسرى منذ أيام حملة نجم الدين ايلغازى سنة ٥١٥ هـ /١١٢١م ، ودار بينهما حديث أورده الفارقى فى مصنفه أشار فيه الشيخ الطاعن فى السن إلى أن أمير بلاد الكرج، وكل من ولى أمر هذه البلاد من قبل كان يحسن إلى المسلمين، وانهم احتلوا مرتبة سامية فى بلاده ويذكر الفارقى أنه عقب استيلاء داوود على العاصمة تفليس ، حرص على أن يؤمن أهلها، ويطيب قلوبهم، ووعدهم بالمعاملة الحسنة، وأسقط عنهم الأعشار والمؤن والأقساط والخراج. وقبل كل شروط مسلمى تفليس وكان من بينها أن لا يعبر بالمدينة خنزير ولا يذبح بها ولا فى سوقها. كذلك روى أن الزعيم الكرجى لم يمح الهوية الإسلامية للعملة الكرجية؛ فقد ضرب لسكان تفليس دراهم عليها اسم السلطان والخليفة فى الوجه الواحد، وفى الوجه الآخر اسم الله واسم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأخيرا يأتى اسمه على جانب من الدرهم الجديد. وأورد كذلك أن داوود نادى فى البلدان الكرجية أن من ألحق الأذى بمسلم سيهدر دمه «وشرط لهم الآذان والصلاة والقراءة ظاهرا، وأن يخطب يوم الجمعة ويصلى، ويدعى للخليفة والسلطان ولا يدعى لغيرهما على المنبر» . أما حمام اسماعيل بتفليس، فقد منع الكرج والأرمن واليهود من دخوله، وجعله قاصرا على المسلمين فقط. واختتم ابن الأزرق حديثه قائلا أن الملك الكرجى أحسن إلى المسلمين غاية الإحسان، وجعل لأهل العلم والدين والصوفية أحسن المنازل، التى فاقت منازل أقرانهم فى البلدان الإسلامية الأخرى(١٩٤) .

كذلك أشار ابن حوقل الذى زار العاصمة تفليس أن ملك الكرج - رغم كونه مسيحيا - كان يعامل المسلمين بالحسنى ، فيحميهم من كل أذى، ويحافظ على إقامة شعائرهم الدينية ، ويحمى مقدساتهم الإسلامية من كل دنس، ويوقد المسجد

الجامع فى تفليس بالشمع والقناديل ، ويزوده بكل احتياجاته ، والآذان فى جميع مساجدها يجهر» . ولاحظ بعين الفاحص المدقق أن المسلمين والكرج يعيشون فى جو يسوده الحب والسلام والأمان ويظلله التسامح الدينى(١٩٥) .

أما القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣) فقد ذكر فى مصنفه «آثار البلاد وأخبار العباد» نقلا عن بعض التجار، أن حمام تفليس ، الشبيه بحمامات طبرية «يختص بالمسلمين ولا يدخله كافر ألبته». وفى موضع ثان من مصنفه ، أشار القزوينى إلى حرية ممارسة سكان تفليس لشعائرهم الدينية قائلا: «من أحد جانبى الكر يؤذنون ومن الجانب الآخر يضربون بالناقوس»(١٩٦) . مما يؤكد ما ذكره الفارقى وابن حوقل عن التسامح الدينى السائد فى ربوع بلاد الكرج .

كذلك أشار المؤلف المجهول «للبستان الجامع لتواريخ الزمان» فى حديثه عن وفاة داوود الثانى تحت أحداث سنة ٥١٦ هـ (صحتها ٥١٨ هـ) أنه «هو الذى فتح تفليس، وكان له نظر عظيم فى الإسلام، وجرت له مناظرة مع القاضى الكنجى فى الكلمة هل هى مخلوقة أم قديمة(١٩٧)». أما ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٦٨ م) ، فقد ذكر أن الملك الكرجى كان عادلا فى الرعية، وكان يحضر صلاة الجمعه ويسمع الخطبة ويحترم المسلمين(١٩٨) .

هذا عن التسامح الدينى الذى اتصف به داوود الثانى كما أوردته المصادر الإسلامية ، وقد اتفقت معها أيضا المصادر الكرجية. فقد ذكرت أن الملك الكرجى قام بحماية التجار المسلمين ، وصادق الشعراء والفلاسفة، وعاش المسلمون فى مملكته فى أمن وأمان أكثر من المسلمين المقيمين فى البلدان الإسلامية المجاورة واستمر ذلك فى عهد خلفه ديمترى . وقد أيد ذلك القول ابن الأزرق حين قال : «لقد

كنت أرى لاحترامه للمسلمين ما لو أنهم ببغداد ما احترموا تلك الحرمة»[١٩٩] .

كذلك أشارت المصادر الكرجية إلى انه كان ملما بالعقيدة الإسلامية خير إلمام، وأنه شارك فى المناقشات الفقهية مع قاضى كنجة فيما يتعلق بالأحاديث الشريفة والنصوص القرآنية. وإنه كان يحضر صلاة الجمعة بصحبة ابنه وولى عهده ديمترى. إضافة إلى ذلك كان يوزع الأموال والعطايا على رجال الدين الإسلامى. كذلك أقام مبنى مشتركا ضم شعراء المسلمين والصوفية وأغدق عليه الأموال الطائلة حتى يضمن له الاستمرارية والبقاء. ويذكر مؤلف سيرة الملك داوود انه كان شغوفا بمعرفة كافة الثقافات، ومتبحرا فى علم اللاهوت والفقه الإسلامى، دارسا للتاريخ والفلسفة وعلم الفلك، محبا للشعر الكرجى والفارسى والعربى . وانه حرص على أن يصطحب معه مكتبته الخاصة فى تجواله[٢٠٠] .

على أية حال ، ورث ابنه وخليفته على العرش نفس الخصال الحميدة التى تحث على التسامح مع رعاياه من المسلمين. فقد التحق ابن الأزرق بخدمة ديمترى بن داوود ، وبقى عنده مدة من الزمن. وذكر أنه ذات يوم جمعة، ذهب الملك الكرجى إلى المسجد الجامع بتفليس، وجلس على دكة تقابل الخطيب، وسمع خطبة الجمعة. وبعد انتهاء الصلاة «أطلق برسم الجامع مائتى دينار أحمر» ، ولم يكتف بذلك، بل أغدق الأموال على العلماء والوعاظ والأشراف والصوفية وحظى كل هؤلاء بتكريمه واحترامه تماما كما كان يفعل والده من قبل[٢٠١] .

وقد اعترف المؤرخ الأرمنى فريدتجوف نانسن FRIDTJOF NANSEN فى كتابه «أرمينية والشرق الأدنى»- L'ARMENIE ET LE PROCHE ORIENT بفضل المسلمين الكرج والحضارة الإسلامية على ازدهار الثقافة

والحضارة الكرجية فى كافة الميادين حين قال: «على الرغم من الاختلاف فى العقيدة، فقد ساهم مسلمو الكرج مساهمة فعالة فى النهوض بالحضارة والثقافة الكرجية فى العديد من الميادين والمجالات[٢٠٢]» .

وهكذا نجح الزعيم الكرجى داوود الثانى فى أن يجعل بلاد الكرج مملكة متحدة متماسكة الأطراف بعد أن ضم إلى ملكه كل جنوبى القوقاز وبلاد الابخاز حتى بحر الخزر، ووطد الأمور، وطمأن النفوس ، ونشر السكينة بين الناس. ونهض بالمملكة وأحياها ، وجعل منها حكومة قوية قادرة على حفظ كيانها . وتوفى فى الرابع والعشرين من يناير سنة ١١٢٥م/١٧ من ذى الحجة سنة ٥١٨ هـ بعد أن كانت له - عند الشعب الكرجى - المسلم منه قبل المسيحى- مكانة مقدسة . وترك لابنه ديمترى من بعده ملكا عظيما، وحكومة قوية . ونسج ولى عهده على منواله، ووضع نصب عينيه قدسية الوطن، والعمل على تقويته، ووجوب المحافظة عليه وعلى وحدته الوطنية فى ظل التسامح الدينى الموروث عن أبيه .

(١) أصدرت أولى كتاب باللغة العربية على مستوى العالم العربى عن تاريخ بلاد الكرج أى جمهورية جورجيا وكان بعنوان «الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج حتى أواخر القرن الثانى الهجرى / أواخر القرن الثامن الميلادى» - دار النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨٨ .

(٢) Brosset, Histoire de la Georgie, Paris, 1849 - 1858, t. I, p. 15 - 17; Laurent, L'Armenie entre Byzance et L'Islam, Lisbonne , 1980, p. 46 .

(٣) Laurent, p.46 .

(٤) Brosset, Description Geographique de la Georgie, St. Pet. , 1842, p. 53 .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل - القاهرة ١٩٧٧، جـ ٤ ، ص ١٦٢؛ البلاذرى : فتوح البلدان - بيروت ١٩٧٨ - ص ٢٠٤؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى - بيروت - دار صادر بدون تاريخ - جـ ٢ ص ١٦٨؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - بيروت ١٩٦٧ - جـ ٣، ص ٤٤؛ ياقوت : معجم البلدان - بيروت بدون تاريخ - جـ ٢ ، ص ١٢٥؛ يحيى الأنطاكى : تاريخ يحيى - نشر لويس شيخو - بيروت ١٩٠٩، ص١٧٠؛ البغدادى : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق على محمد البجاوى - القاهرة ١٩٥٤ ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ، ٣٢٥ .

(٦) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر - بيروت ١٩٨٢ - جـ١ ، ص ١٧٤. ويسميها المسعودى تارة أخرى «خزران» انظر : جـ١ ، ص١٧٢.

(٧) المسعودى : جـ ١ ، ص ١٧٢ : القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت بدون تاريخ - ص ٤٩٣ .

(٨) اليعقوبى : كتاب البلدان - طبعة ابريل ١٨٩١ - ص ٢٧٢ - ٢٧٣؛ ياقوت: معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٢٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض - بيروت ١٩٧٩ - ص ٢٩٢ ؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨ ص ٢٩٣؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ - ص ١٦٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشاء - القاهرة ١٩١٣-١٩٢٠- جـ٤ ، ص٣٧٢؛ العظيمى : تاريخ العظيمى - تحقيق كلود كاهن فى الجريدة الأسيوية ١٩٣١ - ص ٣٨١ و ٣٩٣؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك - القاهرة ١٩٥٧ - جـ١ ، ق ١ ، ص ١٧ و ٢٦ ؛ الفارقى : تاريخ الفارقى - بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية - القاهرة ١٣٨٧ هـ - جـ ١٢ ، ص ١٨٥؛ النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب - تحقيق سعيد عاشور - القاهرة ١٩٨٥ ، جـ ٢٧ ، ص ٢٣ .

(٩) Theophane, Chronographia , Ed. de Boor, Leipzig, 1883 - 1885, p. 391. Cf. Laurent, p. 61, n. 51 .

أنظر أيضا : فايز نجيب اسكندر : غزو الامبراطورية البيزنطية لأرمينية سنة ١٠٤٥م/٤٣٧ هـ - دار النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨٨ - ص ٣٤ ، حاشية رقم ٣٩ .

(١٠) Strabon, The Geographie of Strabon, London,1931 - 1948 , XI, 3 , 1-6 .

(١١) فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة - الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ١٥٨ ، حاشية رقم ١٠٨.

(١٢) أطلق الأرمن اسم «فرك» Virk على الجزء الشرقي لجمهورية جورجيا الحالية. والمقصود من ذلك «سكان الشمال». انظر Brosset, I , p. 15.

(١٣) Canard, Sur Quelques questions relatives a L'Epopee Byzantine de Digenis Akritas, London, 1974, Fasc., XX A,P. 298 - 299, n. 11 .

(١٤) أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون على اقليمى ما وراء جبال القوقاز Transcaucasie وشرق الأناضول اسم «أرمينية» (انظر : البلاذرى: ص ١٩٧؛ ابن حوقل: ص٢٨٥، ياقوت: جـ١ ، ص٢٢٠) ليشمل هذا الاسم جميع البلدان الواقعة شمال اقليم الجزيرة، (أى العراق الشمالى أو إقليم ما بين النهرين) وغربى إقليم آذربيجان الفارسى، (وهو ميديا الصغرى فى العصور السابقة على الفتوحات الإسلامية لهذه المناطق) وشرقى إقليم الامبراطورية البيزنطية بآسيا الصغرى، (أى الأناضول) وجنوبى جبال القوقاز حيث فى شمالها مملكة الخزر. وقد أطلق المسلمون على كل هذه البلدان اسم «أرمينية»، جريا على عادتهم التى تقضى باطلاق اسم الجزء المعروف لهم، على الكل غير المعروف لهم. وعلى هذا ، درج الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على جعل أرمينية وبلاد الكرج وآذربيجان والران اقليما واحدا.

(١٥) عن تقسيمات أرمينية فى المصادر الإسلامية، وموقعها وجغرافيتها وطبغرافيتها وأثر كل ذلك على تاريخها أنظر: فايز نجيب اسكندر:

الفتوحات العربية لأرمينية - دراسة تاريخية لحملة المسلمين الأولى سنة ١٩هـ - بحث منشور فى مجلة سيرتا - مجلة معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسطنطينة بالجزائر - العدد ٨/٩ سنة ١٩٨٣ ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ، حاشية رقم ١ ؛ وكذلك : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين (١١ - ٤٠ هـ / ٦٣٢ - ٦٦١م) - الاسكندرية ١٩٨٢ - ص ٦٩ - ٧١ ، حاشية رقم ١ ، ص ٩٦، حاشية رقم ١٤٦ ؛ ص ١٢٠ - ١٢١ ، حاشية رقم ٢٧١ .

(١٦) عن أرمينية الثالثة أنظر : فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ١٢ - ١٣ .

(١٧) تقع «بلاد داغستان» غربى بحر قزوين . انظر : زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى - القاهرة ١٩٤٥ - ص ١٧ .

(١٨) كانت «قرص» Kars سوقا تجاريا هاما، إذ تقاسمت مع أرزن وملطية تجارة أرمينية بأكملها . وتقع قرص على الطريق من آنى إلى أرتانوج. وكانت فى أول أمرها قلعة، ونمت تدريجيا مع ازدهار التجارة الدولية فى البحر الأسود، إلى أن أصبحت أحد أهم المراكز التجارية فى أرمينية. وكان لقرص علاقات تجارية وثيقة مع أرتانوج والموانىء الشرقية للبحر الأسود وأردهن Ardahan وبلاد الابخاز وبلاد الكرج .

وعنها قال ياقوت فى مصدره معجم البلدان «قرص مدينة بأرمينية من نواحى تفليس يجلب منها الابريم، خبرنى بذلك رجل من أهلها. بينها وبين تفليس يومان» (انظر : ياقوت: جـ ٤، ص ٣٢٣؛ البغدادى : جـ ٣ ، ص

١٠٧٨). وقرص كانت تسمى قديما «جاروتس» Garouts ، وتطل على نهر أخوريان. وهى مدينة رئيسية ، إذ أنها عاصمة مملكة فاناند Vanand. أسسها الملك موشيج Moucheg . والجدير بالذكر أن سكان قرص عاشوا على اللصوصية وقطع الطرق، واعتبروا عملهم هذا من الأعمال الشريفة. وكانوا من قدامى الشعوب القوقازية . وقد توارث السكان أعمال اللصوصية وقطع الطرق ومارسوها ليس فقط فى الأماكن النائية عن بلادهم، بل أيضا فى داخل عاصمتهم قرص. وأخيرا، نجح الملك عباس (٩٨٤ - ٩٨٩م) خليفة موشيج من تطهير قرص من كل اللصوص، الكبير منهم والصغير.

وقد وردت «قرص» فى ترجمة قسطنطين بورفيرو جنيتس على شكل «Kaps» وترجمت «كورى» بدلا من قرص . انظر Const. Porphyr, . de Adm. Imp Vol. II, Commentary, p. 169.

انظر أيضا: محمود سعيد عمران، إدارة الامبراطورية البيزنطية، حتى ١٦١. علما بأنها وردت فى كافة المصادر الجغرافية الإسلامية على شكل قرص كما أوضحنا . وللتفاصيل الدقيقة عن قرص وأهميتها . انظر: فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى - دار النهضة المصرية ١٩٨٨ - ص ٥٥ - ٥٦ ، وكذلك حاشية رقم ٣٤٧؛ استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية «آنى» سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م - الاسكندرية ١٩٨٧ - ص ٣٧ ، حاشية رقم ٧٢ . انظر أيضا Fayez Naguib Iskandar, Les Richesses de L'Armenie au temps . des Bagratides (885 - 1045), Alexandrie, 1988, p.15.

(١٩) عن بلاد الأبخار أنظر: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة : ص ١٩٥ ، حاشية رقم ٣٤٨ .

(٢٠) Laurent, p. 46; C.M.H. , IV, p. 594.

(٢١) Nansen, L'Armenie et le Proche-Orient, Paris, 1928, p. 89 . ونهر الكر «يبتدىء من بلاد خزران من مملكة جرجين، ويمر ببلاد أبخاز حتى يأتى ثغر تفليس، ويشق فى وسطه، ويجرى فى بلاد السياوردية حتى ينتهى على ثمانية أميال من برذعة ، ويجرى إلى برداج من أعمال برذعة. ثم يصب فيه مما يلى الصنارة نهر الرس، ويظهر من أقاصى بلاد الروم من نحو مدينة طرابزندة حتى يجىء إلى الكر، وقد صار فيه نهر الرس، فيصب فى بحر الخزر» . انظر : المسعودى: ص ١٧٤. وعلى هذا، فالكر والرس نهران تؤمان للكرج والأرمن، وهما أطول أنهار اقليم ما وراء القوقاز، يتجهان شرقا فى جنوب هذا الاقليم ثم يلتقيان معا ويكونان نهرا واحدا يصب فى بحر قزوين .

(٢٢) فى البلاذرى: ص٢٣٨ «طفليس» ؛ وفى الطبرى: جـ ٤ ، ص ١٦٢؛ وياقوت: جـ٢ ، ص ٣٦ «تفليس». وعلى هذا الشكل وردت فى كافة المصادر الجغرافية والتاريخية. وقد أشار ياقوت فى «معجم البلدان» إلى أنه عقب خضوع تفليس للسيادة الإسلامية ، انتشر الإسلام بين سكانها «وأسلم أهلها» . (انظر ياقوت: جـ٢ ؛ص ٣٦) . وذكر ياقوت والقزوينى إلى أن تفليس كانت آخر موضع وصل إليه الإسلام. ففى هذا المعنى أورد «... وهى مدينة لا إسلام وراءها». (انظر: معجم البلدان، جـ٢ ، ص ٣٥؛ آثار

البلاد، ص ٥١٨) . وقد حظيت تفليس عاصمة بلاد الكرج باهتمامات المصادر الإسلامية الجغرافية منها والتاريخية. فقد زارها ابن حوقل (توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى/ القرن العاشر الميلادى) وفصل الحديث عن موقعها وحصانتها وخيراتها وأهميتها وذلك فى مصنفه صورة الأرض (للتفاصيل أنظر ابن حوقل : ص ٢٩٢ - ٢٩٣.) والجدير بالذكر أن الملك فاختانج الأول (٤٦٦ - ٥٠٠م) ملك ايبيريا (جورجيا) بنى مدينة تفليس وذلك سنة ٤٦٩ م .

(٢٣) ينبع نهر شوروخ من جبال سبير Sper ، ويتجه نحو الشمال الشرقى بمحاذاة خاجديك Khagh'dik وكولشيد Colchide ؛ ثم يعبر الوديان المنيعة فى مقاطعة طايبيك، ويستدير فجأة نحو الشمال الغربى، ثم يصب فى البحر الأسود. للتفاصيل انظر:-فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى أرمينية، ص ٥٢، حاشية رقم ٣٢٦ .

(٢٤) تقع أرتانوج عند ملتقى الطريق التجارية بين طرابيزون وأرمينية ومدن القوقاز الشمالية وأباهونيك على مسافة ليست ببعيدة عن مجرى نهر شوروخ. انظر Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen age, Amsterdam, 1967, T. I, p. 44.

(٢٥) تقع «مقاطعة مسختى» فى أعماق جبال القوقاز (انظر Hubschmann, Die Altarmeinischen Ortsnamen, Strasbourg, 1904, p. 212, n. 1 et p. 265; Hewsen, Armenia According to the Asxarhac'oye, dans R.E.A., T. II, Paris, 1965, p.337.

وكانت «مسختى» عاصمة بلاد الكرج. إلا أنه حدث سنة ٤٦٩ م أن أقام الملك فختانج جورجسلان Vakhtang Gourgaslan فى تفليس ، فأصبحت بالتالى عاصمة البلاد، خاصة وأنها أكثر بعدا من وديان القوقاز، وأقل عرضة لهجمات القبائل الجبلية. انظر : Nansen, p. 98. .

(٢٦) أقام اللان شمالى تفليس فى جبال القوقاز، على سفحى الجبل، بين نهر ريونة الذاهب إلى البحر الأسود فيما وراء القوقاز ونهر تيريك Terek الذى يصب فى بحر قزوين . انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٣٦ - ٣٧ . وللتفاصيل الدقيقة انظر المرجع السابق ، ص ٣٦، حاشية رقم ١٦ .

(٢٧) ذكر المسعودى أن مملكة الصنارية تقع بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان . للتفاصيل انظر: مروج الذهب، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢٨) يقع وادى كشياى جنوّب العاصمة تفليس. انظر فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٣٣ .

(٢٩) Laurent, p. 46.

(٣٠) للتفاصيل عن نهر الرس انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لأرمينية فى ضوء كتابات المؤرخ الارمنى چيفوند - الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٩٨، حاشية رقم ١٥٠ ؛ مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - الاسكندرية ١٩٨٠ - ص ب ، حاشية رقم ٣.

(٣١) Brosset, T. I, p. 89 .

(٣٢) أطلق الكرج على الأرمن اسم «سموخيتى» (سمكسى) Somexi وعلى أرمينية اسم «سمخيت»(سمكست) Somxet. انظر: Hubschmann .p. 276

(٣٣) فى حديثه عن «استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمتهم اياهم» بدأ بالقول «كان هؤلاء الكرج أخوة الأرمن» . انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون - بيروت ١٩٧٩ - المجلد الخامس ، ص ١٢٧ .

(٣٤) للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ١٨ - ٢٢ .

(٣٥) وردت فى المصادر الإسلامية على شكل «خاخيط» ، انظر: البلاذرى: ص ٢٣٩. انظر أيضا : Brosset, Description, p. 283 SQQ; Hist. de la Georgie, T. I, p. 41 , 248 .

(٣٦) «نهر أرجفى» Aragvi هو أحد روافد نهر الكر، ويقع شمالى تفليس . انظر .Laurent; p. 575, n. 66 .

(٣٧) عنها انظر : فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص ٢٦ .

(٣٨) Brosset, description, p. 283 SQQ; Histoire de la Georgie, I , p. 41, 248 .

(٣٩) عن هذه الثروات قال ابن حوقل الذى زار هذه الاصقاع النائية : «... وبهذه الجبال والنواحى والمدن والبقاع التى ذكرتها من الرخص والخصب والمراعى والمواشى والسوائم والخيرات والبركات والمشاجر والأنهار والفواكه الرطبة

واليابسة» . انظر : صورة الأرض ، ص ٢٩٨ .

(٤٠) لمزيد من التفاصيل عن مقاطعة كاخيتى أو «خاخيط» فى المصادر الإسلامية انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص٢٢ - ٢٣ .

(٤١) Laurent, p.61, n. 51 .

(٤٢) Laurent, p.568, n. 20 .

(٤٣) Laurent, p.61, n. 51 .

(٤٤) Nansen, p. 90

(٤٥) Laurent, p.49 .

(٤٦) Laurent, p.48 .

(٤٧) Laurent, p.61, n. 51 .

(٤٨) Hubschmann, p. 212, n. 1 et p. 265; Hewsen, p . 337. Nansen, p. 98 .

(٤٩) يسميها المسعودى «مملكة الصمصخية» وعنها قال: «تلى مملكة خزران (يقصد بلاد الكرج) مملكة يقال لها الصمصخية، نصارى، وفيهم جاهلية لا ملك لهم» انظر: مروج الذهب، ص١٧٢. وأيضا Nansen, p. 90. و«سمسخى» باللغة الكرجية تعنى ثلاث قلاع حصينة . وهى مقاطعة فى أعالى بلاد الكرج الشرقية. وكانت قديما تسمى مسخيا Meschia (انظر: (Cont. Porphyrogenete, de Adm., Commentaire, p. 178 وتقع فى أعالى نهر الكر على ضفته اليسرى غرب ثرياليت وشمال

دجواكستى Djawaxet'i انظر Brosset, Description, p. 75; Saint - Martin, Memoires, T. II p. 427; Adontz, Armenia, p. 117, 121, 123.

(٥٠) أشار إلى ذلك ابن حوقل بقوله: «ويجلب منها البغال الجياد الموصوفة بالصمة والجلد والصبر إلى العراق والشام وخراسان. ويكون بها الشهارى الحسنة الموصوفة بالجمال والفراهة وما يقارب شهارى طخارستان، وربما زاد عليها وعلى نتاج الجوزجان» . انظر : صورة الأرض ، ص ٢٩٧ .

(٥١) أشار إلى ذلك ابن حوقل بقوله: « وأهلها قوم فيهم سلامة وقبول للغريب وميل إلى الطارىء عليهم وأنس بمن له أدنى فهم وانتساب إلى شىء من الأدب » . انظر : صورة الأرض ، ص ٢٩٢ .

(٥٢) عبر المسعودى عن ذلك خير تعبير حين قال: «أهلها ذو قوة وبأس شديدين». انظر: مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .

(٥٣) Nansen, p. 90.

(٥٤) للتفاصيل أنظر : فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٤١ - ٦٦ .

(٥٥) عن لقب بطريق انظر: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين ، ص ١٠٣ ، حاشية رقم ١٨٠ .

(٥٦) عنه انظر: فايز نجيب استكندر: المرجع السابق، ص ٩٩، حاشية رقم ١٥٤.

(٥٧) وردت فى بعض المصادر الإسلامية على شكل آران، وعن حدودها قال أحمد بن لطف الله منجم باشى (الف مصنفه حوالى سنة ٥٠٠ هـ) فى

مصدره «باب في الشدادية من كتاب جامع الدول» إن «آران اقليم مشهور يتاخم آذربيجان في جهة الغرب منها، ويحدها من الغرب حدود أرمينية، ومن الشرق والجنوب آذربيجان، ومن الشمال جبال القبق (أي القوقاز) . ومن قواعدها مدينة نشوى » انظر ص ١ .

(٥٨) عنها انظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص ٢٦ .

(٥٩) الدربند مدينة على بحر الخزر تعرف أيضا باسم مدينة باب الأبواب . للتفاصيل انظر: ابن حوقل: ص ٢٩١ - ٢٩٢؛ البغدادي: جـ ١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ؛ القزويني: ص ٥٠٦ - ٥٠٩ ؛ القلقشندي: جـ ٤ ، ص ٣٦٤؛ ياقوت : جـ ٢ ، ص ٤٤٩؛ أبو الفداء: ص ٤٠٥ ؛ الاصطخري: ص١٠٩ - ١١٠؛ وص ١٠٩ ، حاشية رقم ١٠ .

(٦٠) عن تفاصيل ذلك انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٦١) عن ذلك انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ٦٩ - ٧١ ؛ ص٧٣ - ٧٥؛ ص ٧٧ - ٧٩ .

(٦٢) فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٦٣) عن أسرة بجراط الكرجيّة انظر: فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٨٣ - ٨٥ .

(٦٤) عن تفاصيل ذلك انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص٨٥ - ٩٢.

(٦٥) Brosset, Georgie, T. I, p. 80; Nansen, p. 96 .

(٦٦) انظر فايز نجيب اسكندر: الكرج والأتراك السلاجقة فى عهد السلاطين العظام (٤٤٧ - ٤٨٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٩٢م) ، العدد الأول من مجلة كلية الآداب - جامعة بنها . (تحت الطبع) .

(٦٧) للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر؛ مملكة ارمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - الاسكندرية ١٩٨٠ .

(٦٨) Canard, Les Reines de la Georgie dans l'Histoire et la Legende Musulmanes, p. 3 .

(٦٩) Brosset, Georgie, T. I, p.292 - 301; et Additions, p. 179; Schlumberger, Epopee, T. II, p. 176; Allen, History of the Georgian People , p. 84; Minorsky, Tiflis, Enc. de L'Islam, p. 793 - 794; Nansen, p. 100 .

(٧٠) Grousset , L'Empire du levant, Paris, 1946, p. 418; Nansen, p. 100.

(٧١) عن لقب قربلاط انظر: فايز نجيب اسكندر: البيزنطيون والاتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس - الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٣٠ ، حاشية رقم ٣٤ .

(٧٢) للتفاصيل انظر: Salia, p. 165 - 171 .

(٧٣) أطلق على حرسه الشخصى اسم «موناسبا» Mona - Spa. انظر , Salia . p. 171.

(٧٤) Salia , p. 172 .

(٦٦) انظر فايز نجيب اسكندر: الكرج والأتراك السلاجقة فى عهد السلاطين العظام (٤٤٧ - ٤٨٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٩٢م) ، العدد الأول من مجلة كلية الآداب - جامعة بنها . (تحت الطبع) .

(٦٧) للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر؛ مملكة ارمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - الاسكندرية ١٩٨٠ .

(٦٨) Canard, Les Reines de la Georgie dans l'Histoire et la Legende Musulmanes, p. 3 .

(٦٩) Brosset, Georgie, T. I, p.292 - 301; et Additions, p. 179; Schlumberger, Epopee, T. II, p. 176; Allen, History of the Georgian People , p. 84; Minorsky, Tiflis, Enc. de L'Islam, p. 793 - 794; Nansen, p. 100 .

(٧٠) Grousset , L'Empire du levant, Paris, 1946, p. 418; Nansen, p. 100.

(٧١) عن لقب قربلاط انظر: فايز نجيب اسكندر: البيزنطيون والاتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس - الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص٣٠ ، حاشية رقم ٣٤ .

(٧٢) للتفاصيل انظر: Salia, p. 165 - 171 .

(٧٣) أطلق على حرسه الشخصى اسم «موناسبا» Mona - Spa. انظر Salia , p. 171.

(٧٤) Salia , p. 172 .

(٧٥) استقر القفجاق فى شمال بلاد الكرج ، وامتد استيطانهم نحو الشرق، على طول الشاطىء الشمالى لبحر قزوين. عنهم انظر , Matthieu D'Edesse p. 460, n. 2. انظر أيضا : القلقشندى: جـ ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٧٦) Brosset, I, p. 379 .

(٧٧) Salia, p. 173 .

(٧٨) باب الأبواب هو الدربند، دربند شروان. وتطل المدينة على بحر الخزر. انظر: ياقوت : جـ ١ ، ص ٣٠٣؛ البغدادى: جـ ١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٧٩) Grousset, p. 419; Salia, p. 173 .

سكن «الأوسيت» القسم الأوسط من سلسلة جبال القوقاز ، فى مرتفعاته المنيعة وقممه الشاهقة المعروفة بجبال «قازبك» (يرتفع ٥٠٤٤ مترا) و«البرز» (يرتفع ٥٦٣٠ مترا) .

(٨٠) Brosset, I , p. 379 .

(٨١) اهتم المسعودى اهتماما بالغا بذكر مناعة «قلعة باب اللان» فقد ذكر أن قلعة باب اللان على صخرة صماء لا سبيل إلى فتحها والوصول إليها إلا بإذن من فيها. ولهذه القلعة المبينة على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تظهر فى وسطها من أعلى هذه الصخرة. وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة» . ثم أشار فى موضع آخر إلى موقعها الاستراتيجى الهام فى الدفاع عن بلاد اللان قائلا: «ولو كان رجل واحد فى هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكفار أن يجتازوا بهذا الموضع، لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادى» . (انظر : مروج الذهب: جـ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦) والأرمن

يسمون باب اللان باسم «الناك درن» Alanac Durn . أما الكرج فيسمونه «باب تريك» Porte Terek تارة و«خفيس كارى» Khevis Kari أى «باب خيفى» Porte de Khevi تارة ثانية . (انظر : Brosset , I , 154 - 155) . وفى موضع آخر من مصنفه أشار المسعودى إلى اهتمام مسلمة بن عبد الملك بن مروان بحراسة هذا الموضع، إذ قام بإسكان بعض المسلمين لحراسته. وكانت تفليس تزودهم بالرزق والأقوات (انظر: مروج الذهب، جـ ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦) . إلا أن هذا يتعارض مع ما ذكره ابن رسته، إذ أورد فى مصنفه أن قلعة باب اللان يسهر على حراستها الف جندى من اتباع ملك اللان. انظر: الاعلاق النفيسة - ليدن ١٨٩١ - ص ١٤٨ - انظر أيضا : Minorsky, Hudud Al - Alam, p. 446 ; . Marquart, Streifz., p. 165 .

والملاحظ أن ياقوت الحموى نقل الكثير عن المسعودى عند حديثه عن باب اللان. انظر: معجم البلدان، جـ ١ ،ص ٢٤٥ - ٢٤٦ . وقارنه مع : مروج الذهب، جـ ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ . ويرجع سبب ذلك أن ياقوت أدرك بثاقب بصره وبصيرته أن المسعودى أورد فى مصنفه سردا على درجة كبيرة من الأهمية عن مملكة باب اللان، فاق فى غزارته ما ورد فى غيره من المصادر الجغرافية والتاريخية .

(٨٢) Salia, p. 173 - 174 .

(٨٣) Allen, p. 98 . وعن اقليم أرارات Ararat أنظر : فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى، ص ١٢- ١٣ ، وكذلك

ص ١٢ ، حاشية رقم ٢٣ .

(٨٤) Brosset, I , p. 354 et SQ' Grousset, p. 419; Salia, p. 175 - 176 .

(٨٥) تقع إريثى أو هيريثى Heret'i شمالى نهر الكر وشرقى تفليس . أنظر : فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٣٧ .

(٨٦) للتفاصيل عن أحوال كاخيتى فى عهد أسرة كويريكيان وعهد السيادة السلجوقية انظر Movsesian, Histoire des Rois Kurikian de Lori, Paris, 1927, p. 260 - 262.

(٨٧) Brosset, I, p. 354 et SQ.

(٨٨) نهر أرجفى Aragvi هو أحد روافد نهر الكر، ويقع شمالى تفليس . انظر Laurent, p. 575, n. 66.

(٨٩) Movsesian, p. 262 .

(٩٠) Brosset, I ,p. 354 et SQ; Movsesian ,p. 262; Grousset , p. 418 - 419 .

(٩١) Allen, p. 93 - 94 ; Grousset, p. 418 .

(٩٢) كنجة أعظم مدينة بالران (أو بلاد أران)، وهى قصبتها، وتقع بين شروان وآذربيجان، بينها وبين برذعة ستة عشر فرسخا (انظر ياقوت: جـ ٤ ، ص ٤٨٢؛ البغدادى : جـ ١ ، ص ٣٥١) وأهل الأدب يسمونها جنزة (انظر المصدر السابق : جـ ٣ ، ص ١٠٨٠) . وقد أعجب ابن حوقل بخيراتها وعمرانها وأخلاق أهلها الحسنة. ففى هذا المعنى يقول: «وجنزة مدينة حسنة

كثيرة الخير عامرة بعمارة تامة متغصة بالخلق وأهلها ذوو مروءة وأخلاق طيبة مرضية ومجاملة ومحبة للغرباء وأهل العلم » . (انظر: صورة الارض؛ ص ٢٩١) وقد وردت فى المصادر الاجنبية تحت اسم جاندزاك Gandzak (Ganjak) ، وتقع فى اقليم ارتشاك Artsakh (انظر Ạrisdagues, CH. XVII, p. 103, n. 1).

وقد نجح أبو الأسور شاور بن الفضل فى فرض سيادته عليها وذلك سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م (انظر أحمد بن لطف الله، باب الشدادية من كتاب جامع الدول، ص ١٣ وكذلك . Aristakes, CH. XVII, p. 89, n. 2) .

وقد ظلت هذه المدينة ملكا لأسرة بنى شداد والتى ينتمى إليها أبو الأسور حتى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨م حيث استولى عليها بوزان Bouzan ، قائد السلطان ملكشاه . انظر . Brosset , I , p. 344 .

(٩٣) Salia, p. 176 .

(٩٤) تقع شمشفلدى Samchvilde (أو شمشلديه Schamschoulde) على الضفة اليمنى لنهر الكر Brosset, I, p. 467; Laurent, p. 29, n. 3 .

(٩٥) Salia, p. 176 .

(٩٦) ابن القلانسى: حوادث سنة ٥٠٣ هـ ، ص ١٦٨ ؛ الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية - نشر محمد اقبال - لاهور ١٩٣٣ ، ص ٨١ .

(٩٧) Laurent, p. 419; Salia , p. 176

(٩٨) قلرجيت أحد أقاليم بلاد الكرج الغربية وهى عاصمة أرتانوج، وتقع بين بلاد الطاييك Tayk وشوشت . وقد انفرد البلاذرى دون غيره من المصادر

الإسلامية بذكرها حين ذكر أن حبيب بن مسلمة الفهرى صالح أهلها. انظر البلاذرى : ص ٢٣٩ . وللتفاصيل انظر Adontz, p. 117, 121, 123'
Marquart, Strifzuge, p. 393 et AQ; Honigmann, p. 159

(٩٩) Laurent, p. 419; Salia, p. 176 .

(١٠٠) Brosset , I , 359; Allen, p. 98; Laurent, p. 419 - 420; Salia, p. 176 .

(١٠١) Salia, p. 176- 177; Laurent , p. 420 .

و «دمانيسى» أو «تمانيس» Tmanis مدينة أرمنية ، تقع على حدود بلاد الكرج، فى أقصى مقاطعة كوكارك Koukark (أوجوجارك) نحو الشمال الشرقى منها . انظر Matthieu d'Edesse, p. 463, n. 3 .

(١٠٢) «شروان» مدينة من نواحى الباب والأبواب، وقبل ولاية قصبتها شماخى، قرب بحر الخزر . انظر : البغدادى: جـ ٢ ، ص ٧٩٣ . وتقع مقاطعة شروان شمال شرقى أرمينية ، بين نهر الكر وبحر قزوين أطلق عليها أيضا اسم «اجهوانك» Agh'ouank أو «البانى» Albanie. للتفاصيل انظر: Indjidji, l'Armenie Moderne, p.413 - 415 .

(١٠٣) Salia, p. 177 .

(١٠٤) Laurent , p.420 ; Salia, p. 177 .

(١٠٥) Salia, p. 178 .

(١٠٦) Laurent , p. 420 .

(١٠٧) فايز نجيب اسكندر : أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية - دار النهضة المصرية ١٩٨٧ - ص ٣٧ ، حاشية رقم ١٢٨ .

(١٠٨) عن نتجوان انظر : فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية الأرمينية ، ص ٩٧ - ٩٨ ، حاشية رقم ١٤٩ .

(١٠٩) عن نهر الرس انظر : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، حاشية رقم ١٥٠ .

(١١٠) ابن القلانسى : حوادث سنة ٥١٥ هـ ، ص ٢٠٤ ؛ ابن خلدون : حوادث سنة ٥١٦ هـ ، جـ ٥ ، ص ٤٩ .

(١١١) ابن الأثير : حوادث سنة ٥١٤ هـ ، ص ٢٩٣ وعنه نقل العينى نقلا حرفيا (أنظر : عقد الجمان ، القسم الرابع من الجزء العشرين، ورقة ٧٦٦) أما ابن القلانسى فقد ادرج هذه الاحداث تحت سنة ٥١٥ هـ . انظر : ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤ ، والملاحظ أن ابن الأثير اخطأ حين ذكر أن «الكرج هم الخزر» . انظر : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٩٣ . وقد أدرك ابن خلدون خطأ ابن الأثير وصححه حين نقل عنه. انظر: العبر ، جـ ٥ ، ص ٤٩ . ونتيجة النقل بلا تمحيص، انزلق إلى نفس خطأ ابن الأثير كل من ابن العبرى . (أنظر : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١) والذهبى (كتاب دول الإسلام - القاهرة ١٩٧٤ - جـ ٢ ، ص ٤١) .

والملاحظ أن رواية ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ /١٢٣٣م) عن الاحتكاك الحربى بين الأتراك السلاجقة والكرج، كانت فريسة دسمة انقضى عليها بالنقل الحرفى تارة وبالاختصار تارة أخرى كل من ابن العبرى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) ، والنويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م) ، والذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م). وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م) ، وابن خلدون (ت

٨٠٨م/١٤٠٥م) ، والعينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١م) . قارن : ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣١٣ مع المصادر الآتية : ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠١ ، ٢٠٢؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٧ ، ص ٢٣ - ٢٤؛ الذهبى : كتاب دول الاسلام، جـ ٢، ص ٤١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ١٨٥ ، ١٩٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، جـ ٥ ، ص ٤٩ ، ٥٢؛ العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ميكروفيلم ٥٦٥٤ ، القسم الرابع من الجزء العشرين، ورقات ٧٦٦ - ٧٦٨. وهناك مصادر إسلامية أخرى اشارت إشارة عابرة إلى هذا الاحتكاك ومنها : ابن القلانسى (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) : ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ العظيمى (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١م) : تاريخ العظيمى ، ص ٣٨٨ ؛ مؤلف مجهول (عاش فى نهاية القرن السادس الهجرى / نهاية القرن الثانى عشر الميلادى) : البستان الجامع لتواريخ الزمان) ص١١٨ ابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، جـ ٢ ، ص١٩٩؛ عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، القسم الثانى من الجزء الثالث، ص ٤٣٠ - ٤٣١؛ أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : المختصر فى أخبار البشر، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ؛ أبـو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ ٥ ، ص ٢٢٣. والملاحظ أن محقق ابن القلانسى زودنا برواية ابن الازرق فى تاريخه عن أحداث سنة ٥١٥ هـ ، وهى رواية على درجة كبيرة من الأهمية. انظر ابن القلانسى:

حاشية رقم ١ عن ما ذكره ابن الآزرق فى تاريخه عن أحداث سنة ٥١٥ هـ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، على أية حال، أغفلت كافة المصادر الإسلامية ذكر معركة ديدجورى Didgori الفاصلة . إلا أن المصادر الكرجية واللاتينية والأرمنية سدت هذا النقص، إذ زودتنا بتفاصيلها الدقيقة .

(١١٢) فى ابن القلانسى «نجم الدين ايل غازى بن أرتق صاحب حلب» . انظر: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤ ، وعنه قال أبو المحاسن : «كان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكن منه، أقام أياما مخمورا لا يفيق لتدبيره ولا يستأمر فى أموره . (انظر: النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨) . وتوفى ايلغازى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢م بمدينة ميافارقين ، فكانت وفاته يوم الخميس سابع عشر رمضان (٢١ نوفمبر ١١٢٢م) فى قرية تعرف بالفحول. انظر: العينى: ورقة ٨٠٦أ ؛ النجوم: جـ ٥ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤؛ أبو الفداء: جـ ٢ ، ص ٢٣٦ . وقد وصفه متى الرهاوى بأنه «كان محبا لسفك الدماء» أنظر . Matthieu d'Edesse , p. 303 .

(١١٣) سيف الدولة دبيس بن صدقة «أصله من بني أسد وقيل من بنى خفاجة. كان شر أهل بيته، يرتكب الكبائر ويفعل العظائم، ولقى منه الخليفة والمسلمون شرورا كثيرة، وأبطل الحج ، وأباح الخروج فى شهر رمضان .... قتله السلطان مسعود السلجوقى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان قتله بالمراغة. انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ ٥ ، ص ٢٥٦ . انظر أيضا . Matthieu d'Edesse, p. 459, n. 2 .

(١١٤) فى وفيات الأعيان، الترجمة رقم ٢٢٦، ترجمة دبيس بن صدقة،

«كهارخاتون» وليس«كمارختون» . انظر ص ٢٦٥ . وفى متى الرهاوى «كهارخاتون» Kohar - Khathoun . انظر, Matthieu d'Edesse
. p. 297

(١١٥) هو الملك طغرل بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقى، شقيق السلطان محمود، توفى فى المحرم سنة ٥٢٩هـ.(انظر: ابن الأثير؛ جـ ٨، ص٣٤٥)، بينما اختلف أبو الفداء فى تحديد تاريخ وفاته عن ابن الأثير، إذ أورد: «توفى فى المحرم سنة ٥٢٩ هـ ، وقيل أن وفاته كانت فى أول سنة ٥٢٨ هـ وهو الأصح فى ظنى » . انظر : المختصر ، جـ ٣ ، ص ٨ . وقد اجمعت المصادر الإسلامية على صحة رأى ابن الأثير. والجدير بالذكر أن يسميه المؤرخ الارمنى متى الرهاوى «ملك، سلطان كنتزاك» أى الملك طغرل حاكم كنجة. إذ جاء فى حديثه عن معركة ديدجورى (يسميها تيجور Tegor) أنه عبأ جيشا قوامه أربعمائة الف فارس، وتسلل إلى بلاد الكرج :« En meme temps, Melik, sultan de Kantzag, a la tete de 400,000 cavaliers Aguerris, penetra en Georgie»
انظر:. Matthieu d' Edesse, p. 304 .

(١١٦) للتفاصيل عن«أرزن» انظر: فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى، ص ٥٤ ، حاشية رقم ٣٣٨ .

(١١٧) تقع «بدليس» شمال بحيرة وان. للتفاصيل انظر: ابن حوقل ، ص ٢٧٨.
Laurent , p. 389 .

(١١٨) للتفاصيل عن «دوين» انظر: فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص١٧،

حاشية رقم ٤٩ .

(١١٩) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ الذهبي: جـ ٢ ، ص ٤١؛ ابن خلدون: جـ ٥ ، ص ٤٩؛ العيني: ورقة ٧٦٦. انظر أيضا : Matthieu d'Edesse, Chronique, Trad., Ed. Dulauriee, Paris, 1858, CH . CCXXXI , p. 303 .

(١٢٠) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، القسم الثانى من الجزء الثالث ، ص ٤٣٠.

(١٢١) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠١؛ ابن كثير: جـ ١٢ ، ص ١٨٥ ؛ العيني: ورقة ٧٦٦ .

(١٢٢) Matthieu d'Edesse , p. 304; Galterii Cancellarii Antiocheni, Bella Antiochena, 1121, dans R.H.C., Auteurs Occidentaux, Paris , 1895, T. V, 131 وللتفاصيل عن متى الرهاوى وحوليته (٩٥٢ - ١١٤٤م / ٣٤١ - ٥٣٩ هـ) انظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، ص ١٣٩ ، حاشية رقم ١٩ .

(١٢٣) ابن الأزرق الفارقي : أحداث ٥١٥ هـ ، ص ٢٠٥ .

(١٢٤) ابن القلانسي : ص ٢٠٥ .

(١٢٥) ابن القلانسي : ص ٢٠٥ ؛ ابن العديم : جـ ٢ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(١٢٦) الفارقي: ص ٢٠٥ . وقد اختلفت رواية ابن العديم عن رواية الفارقي، إذ ذكر أن الملك طغرل استنجد بايلغازى وملكهم داود، «فسار اليه فى عالم عظيم ومعه دبيسى بن صدقة» .

انظر : ابن العديم : ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(١٢٧) عز الدين بن شداد: ص ٤٣٠ ؛ الفارقى : ص ٢٠٥ .

والملاحظ أن الحسينى أشاد بحصانة تفليس ومناعة أسوارها . إذ أورد فى مصنفه: «وطول سور تفليس أربعون ذراعا فى عرض يطابقه» . أنظر: أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٤٥ .

(١٢٨) «أرزن الروم» مدينة مشهورة من مدن أرمينية قرب خلاط . انظر القزوينى: ص ٤٩٤، ياقوت: جـ ١، ص ١٥٠؛ البغدادى: جـ ١، ص٥٥؛ أبو الفداء : ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(١٢٩) «ثرياليت» منطقة جبلية تقع بين نهر الكر وبحيرة بانافارى P'anavari .

انظر : Brosset, Description, p. 157 et SQ; Adontz , p. 117; Hubschmann, p. 354; Honigmann, p. 163, 168 .

وقد انفرد البلاذرى وابن الأزرق الفارقى دون غيرهما من المصادر بذكرها. انظر : فتوح البلدان ، ص ٢٣٩؛ تاريخ الفارقى ، ص ٢٠٥، حيث وردت فى هذا المصدر الأخير على شكل «ترياليث» .

(١٣٠) ابن الأزرق الفارقى : ص ٢٠٥ ؛ ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ ابن خلدون : جـ ٥ ، ص ٤٩ ؛ العينى: ورقة ٧٦٦؛ ابن شداد : ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

(١٣١) الفارقى : ص ٢٠٥ .

(١٣٢) الفارقى : ص ٢٠٥ ؛ ابن شداد : ص ٤٣١ .

(١٣٣) ابن شداد : ص ٤٣١ .

(١٣٤) الفارقى : ص ٢٠٥ .

(١٣٥) الفارقى: ص ٢٠٥؛ الذهبى: ص ٤١؛ أبو المحاسن: جـ ٥، ص٢٢٣.

(١٣٦) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٢٩٣ وعنه نقل ابن العبرى: ص ٢٠٢؛ ابن كثير: جـ ١٢، ص ١٨٥؛ ابن خلدون: جـ ٥ ، ص ٤٩؛ العينى: ورقة ٧٦٦ .

(١٣٧) Grousset, p. 420 .

(١٣٨) فى ياقوت (جـ ٢ ، ص ٣٦) «رستاق منجليس» ويقع غربى تفليس (Adontz, Armenia,p.117,123) ويقابله عند الكرج Mangleac'p'or أى «وادى منجليس» . انظر: Toumanoff, Studies, p. 402, 407, n. 2 ; Hewsen, Armenia, p. 338; Hubschmann, p. 355.

(١٣٩) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٦ - ٧٦٧ . وواضح أن كل من ابن العبرى والعينى نقلا الاقتباس عن ابن الأثير نقلا حرفيا .

(١٤٠) ابن الأثير: جـ ٨، ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص٢٠٢؛ العينى: ورقة ٧٦٧؛ ابن خلدون : جـ٥ ، ص ٤٩ .

(١٤١) ابن شداد : ص ٤٣١ ؛ ابن العديم : ص ١٩٩ .

(١٤٢) ابن الأثير: جـ ٨، ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠٢؛ الذهبى: جـ ٢، ص٤١؛ ابن كثير: جـ ١٢، ص ١٨٥ ؛ العينى : ورقة ٧٦٧ .

(١٤٣) ابن شداد: ص ٤٣١. والجدير بالتسجيل هنا أن ابن العبرى فى مصدره الثانى (تاريخ الزمان، بيروت ١٩٨٦، ص ١٣٩) جنح إلى الاختصار

الشديد فى ذكر أخبار المواجهة الكرجية السلجوقية، إذ اكتفى بالقول: «وفى سنة ١٤٣٣ لليونان (١١٢٢م) وجه السلطان محمود جيشا ضخما من الأتراك إلى بلد الكرج ، فأرصد الملك الثغور وفتك بالكثيرين منهم» . هذا بينما زودنا بتفاصيل أكثر فى مصدره الأول (تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ - ٢٠٢) نقلا عن ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣١٣ و«ميافارقين» قاعدة ديار بكر، وتقع بين الجزيرة الفراتية وأرمينية وهى بالقرب من آمد. (انظر : فايز نجيب اسكندر: مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين والمماليك - رسالة دكتوراه لم تطبع بعد - ص ١٠٤ ، حاشية رقم ١) . أما «ماردين» فهى قلعة مشهورة بديار ربيعة من الجزيرة الفراتية، مشرفة على دينسر، ودارا ، ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدامها ربض عظيم. وهى معقل أمراء بنى حمدان. أنظر : فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص ١٣٥ ، حاشية رقم ٣ .

(١٤٤) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٢٩٣. أما الذهبى فقد ذكر أن الكرج حاصروا تفليس لمدة سنتين ثم أخذوها بالسيف. انظر: كتاب دول الإسلام ، جـ ٢ ، ص٤١ .

(١٤٥) ابن الأثير: ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠٢؛ ابن كثير: جـ ١٢ ، ص ١٨٥. وفى ابن الأزرق: ص ٢٠٥ «وغنم الكفار منهم غنيمة عظيمة» .

(١٤٦) ابن كثير: جـ ١٢ ، ص ١٨٥ .

(١٤٧) عن تحليل مختلف روايات المصادر الإسلامية انظر حاشية رقم ١١١ .

(١٤٨) جاء فى Galterii Cancellarii Bella Antiochena الآتى : "Ipsi

vero cum superbia equitanti ira dei obstitit : eo namque die, quo soldanus et ipse Algazi cum Sexcentis Millibus Terram Regis Bellaturi intraverunt, ipse idem Rex David, ..."

وترجمة النص: «بينما كان (الأمير ايلغازى) يتقدم بغطرسة على رأس جيشه، انصب عليه غضب الله وقلب رأسا على عقب كل مخططاته، ففى نفس يوم دخوله بلاد الملك داوود حيث ترأس جيشا قوامه ستمائة الف مقاتل ... »

انظر: Galterii, dans R.H.C.H. Occid, T. V, p. 130.

هذا بينما ذكر جلتيرى أن تعداد جيش داوود بلغ ثمانية الف مقاتل فالنص اللاتينى التالى أوضح ذلك، إذ جاء فيه: Signo Sanctae Crucis Praemunitus, Habens intra Medos et Christianos QUATER VIGINTI MILIA PUGNATORUM..."

وترجمة النص أن «(الملك داوود) تقوى بشارة الصليب وحشد ثمانية الف مقاتل من الميديين والمسيحيين ... »

انظر R.H.C., H. Occid., T. V, p. 130 .

(١٤٩) Kartlis Tskhovreba, T. I, p. 365 .

(١٥٠) جاء فى متى الرهاوى Ch. CCXXXII "En meme temps, Melik, Sultan de Kantzag, a la tete de 400,000 Cavaliers Aguerris, penetra en Georgie du cote de la ville de Deph'khis (Tiflis), par la montagne de Tegor"

انظر: Matthieu d'Edesse : P. 304. وترجمة النص: «فى نفس

الوقت، تسلل ملك (يقصد طغرل)، سلطان كنجة على رأس جيش قوامه أربعمائة ألف من الفرسان المدربين على فنون الحرب والقتال، تسلل هذا الجيش الجرار على بلاد الكرج عبر مدينة تفليس عن طريق جبل تيجور (ديدجورى Didgori فى خارطليس تسخوفريبر Kartlis I Tskhovreba).

(١٥١) لم يرد ذكر اسم جبل ديدجورى Didgori فى كافة المصادر الإسلامية، ولا ذكر لتفاصيل هذه المعركة الحاسمة والتى كان من أهم نتائجها سقوط العاصمة تفليس فى قبضة الملك الكرجي داوود الثانى البناء ، على أية حال ذكر ابن الأثير ومن نقلوا عنه أن هذه المعركة دارت بالقرب من تفليس .انظر: الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٩٣؛ ابن العبرى: ص ٢٠٢؛ ابن كثير: جـ ١٢ ص ١٨٥؛ العينى: ورقة ٧٦٦) هذا بينما ذكر ابن الأزرق أن نجم الدين ايلغازى «وصل إلى أن بقى بينه وبين تفليس الجبل (يقصد جبل ديدجورى الواقع جنوب غربى تفليس) مقدار نصف يوم» حيث دارت المعركة الطاحنة . انظر : تاريخ الفارقى : ص ٢٠٥ .

(١٥٢) Matthieu d'Edesse, p. 460, n. 1 .

(١٥٣) Matthieu d'Edesse, p. 304 - 305 .

(١٥٤) Brosset, I , p. 365 - 367; Et Additions, I , p. 230, 236 - 241 . CF. Salia, p. 178 .

(١٥٥) جاء النص اللاتينى على هذا النحو "Factis Agminibus , INTER DUOS MONTES, Densissimis Nemoribus insitos, in

valle restitit, Qua , Ut Fama Retulit, super Eum Hostes ingredi praesumebant. "

انظر Galterii , p. 130 .

وتعد رواية جلتيرى أهم المصادر التى فصلت الحديث عن معركة ديدجورى .

(١٥٦) انفرد جلتيرى دون غيره من المصادر بذكر النص الكامل لخطبة الملك الكرجى داوود الثانى . انظر . Galterii, p. 130 - 131

(١٥٧) Galterii , p. 130 - 131 .

(١٥٨) اقتبس هذا القول عن القرآن الكريم، إذ ورد فى سورة البقرة الآية ٢٤٩ : بسم الله الرحمن الرحيم «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين» صدق الله العظيم . ويعد هذا دليلا واضحا على إلمام العاهل الكرجى بالعقيدة الإسلامية .

(١٥٩) Galterii , p. 131 - 132 .

(١٦٠) ابن العديم: جـ ٢ ، ص ١٩٩. والملاحظ أن العينى انفرد بذكر هذا الحدث دون غيره من المصادر .

(١٦١) Brosset, I, p. 365 - 367; Et Additions , I , 236 - 241 .

(١٦٢) «دربند شروان» وتسمى أيضا «الدربند» أو «الباب» أو «باب الأبواب» وهى مدينة قرب بحر الخزر ، وقيل ولاية قصبتها شماخى. سميت الباب لأنها بناها شروان، فنسبت إليه. انظر: ياقوت: جـ ٣ ، ص ٣٩٩؛ البغدادى: جـ٢، ص ٧٩٣ ؛ النويرى: جـ ٢٧ ، ص ٢٤، حاشية رقم ١ . فى ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٣١٣ «أهل دوبند» وصحتها «دربند» . وتقع شروان

شمال شرق أرمينية ، بين نهر الكر وبحر قزوين ، وقد وردت فى المصادر الأرمنية تحت اسم «أجهوانك» 'Agh'ouank تارة و«البانى» Albanie تارة أخرى . انظر Indjidji, l"Armenie Moderne, p. 413 - 415.

(١٦٣) ابن الأثير: جـ ٨ ص ٣١٣ ؛ النويرى: جـ ٢٧ ، ص ٢٤؛ ابن خلدون: جـ٥ ص ٥٢؛ العينى : ورقة ٧٦٧ .

(١٦٤) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٣١٣ .

(١٦٥) «شماخى» قصبة بلاد شروان ، فى طرف الران. وتعد من أعمال الباب والأبواب . انظر: ياقوت : جـ ٣، ص ٣٦١ ؛ البغدادى : جـ ٢ ، ص ٨١.

(١٦٦) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٣١٣ ؛ النويرى: جـ ٢٧ ، ص ٢٤ (والملاحظ أن النويرى نقل نقلا حرفيا عن ابن الأثير) ؛ ابن خلدون: جـ ٥، ص ٥٢ (جنح ابن خلدون إلى تلخيص رواية ابن الأثير أحداث شروان فى أربعة أسطر)؛ العينى: ورقة ٧٦٧ (بعد أن كان العينى ينقل حرفيا عن ابن الأثير، جنح إلى ايجاز رواية ابن الأثير ايجازا شديدا) .

(١٦٧) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٣١٣؛ النويرى: جـ ٢٧، ص٢٤؛ ابن خلدون: جـ٥ ، ص ٥٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٧ .

(١٦٨) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٣١٣؛ النويرى: جـ ٢٧، ص٢٤؛ ابن خلدون: جـ٥، ص ٥٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٧ . انظر أيضا : . Salia , p. 181 .

(١٦٩) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٣١٣؛ النويرى: جـ ٢٧، ص٢٤؛ ابن خلدون: جـ٥، ص ٥٢ ؛ العينى: ورقة ٧٦٧ .

(١٧٠) Salia, p. 181 .

(١٧١) Matthieu d'Edesse, Ch. CCXXXIX, p. 310 .

(١٧٢) تقع «كولا» جنوب نهر الرس، فى مقاطعة أرارات (انظر Laurent, p. 86 n. 56) وكان جنوب كولا من المناطق الارمنية الشهيرة بانتاج القمح منذ القدم (انظر Moise de Khorene , p. 145) وقد بلغ من غزارة انتاج الحبوب بها انها كانت تصدر القمح إلى بغداد (انظر Sirarpie der Nersessian, Etudes Byzantines et Armeniennes, p. 304) إذ أورد الطبرى أن المؤن كانت تصل بسهولة إلى بغداد من الجزيرة وأرمينية. انظر: تاريخ الأمم والملوك - المطبعة الحسينية المصرية - جـ ٣ ، ص ٢٧٢، ٢٧٥ .

(١٧٣) «باسيان» الاقليم الرابع فى مقاطعة أرارات فى أعلى نهر الرس (Aristakes, p. 12, n. 1) . ويقع شرق كارين . (Arisdagues, p. 22, n. 1) ويتفق ما ذكره موييز الخورينى فى مصدره عن تاريخ الأرمن وما جاء فى معجم ياقوت الحموى الذى ذكر أنه يوجد باسين العليا وباسين السفلى . ويقول انهما كورتان قصبتهما أرزن الروم . انظر : ياقوت : معجم البلدان، طبعة بيروت - جـ ١ ، ص ٣٢٢ ؛ البغدادى : جـ ١ ، ص ١٥٣ وأيضا : Moise de Khorene, II , CH. VI , p. 135 - 136 et 135 , n. 8 .

(١٧٤) Salia, p. 182 .

(١٧٥) تقع آنى على الشاطىء الأيمن من نهر أخوريان ، على بعد عشرين ميلا، عند ملتقى هذا النهر بنهر الرس . للتفاصيل انظر: فايز نجيب اسكندر:

استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى ، ص ٨ - ٩ .

(١٧٦) تناولنا فى بحثنا السابق تفاصيل هذه الاحداث فى ضوء الدراسة التحليلية النقدية المقارنة لمختلف المصادر . انظر : فايز نجيب اسكندر: استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى- الاسكندرية ١٩٨٧ - ص ٩ - ٤٢.

(١٧٧) تقع «مقاطعة أراجدزوتن» شرق نهر أخوريان ، الرافد الأيسر لنهر الرس . انظر . Laurent , p. 42 .

(١٧٨) تقع «شيراك» فى اقليم أرارات ، وتعد من أهم المدن الأرمينية. وقد اتخذ آشوط الثالث مدينة آنى، الواقعة فى اقليم شيراك، عاصمة لأسرة بجراط، وذلك سنة ٩٦١م / ٣٥٠ هـ ، وبذلك ازدادت أهمية اقليم شيراك . (انظر Aristakes, p. 49, n. 3; Asolik, II , p. 16, n. 1 . CF. Ghazarian, Arabischen, p. 72) . والجدير بالذكر أن الجغرافيين المسلمين يسمونها «سراج طير» ، ويقول البغدادى نقلا عن ياقوت الحموى إنها «كورة فى أرمينية الثالثة وقيل الثانية» . انظر : مراصد الاطلاع، جـ٢، ص ٧٠٢؛ ياقوت: معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ .

(١٧٩) «سبير» Sper أو «اسبير» Ispir ، اقليم فى أرمينية العليا، شمال شرق أرزن الروم، مشهور بمناجم الذهب، كان منذ قديم الزمان من الأملاك الموروثة لأسرة بجراط (انظر Moise de Khorene, II, CH, XXXVI, p.179, n. 8. CF. Saint- Martin, I , p. 69 - 70; Indjidji, l'Armenie Ancienne, p. 52 - 62) ولا يزال بهذا الاقليم مناجم تحتوى على مختلف أنواع المعادن ، خاصة الذهب والفضة المتواجد بكثرة فى

وادى شورروخ ، ضواحى سبير . انظر : Arisdagues, IX, p. 73, n.1 ; Aristakes, IX, p. 59, n. 2. CF. Manandian, p. 151; David Lang, p. 192; Der Nersessian, p. 304 .

(١٨٠) «أرزن الروم» مدينة مشهورة من مدن أرمينية قرب خلاط . انظر: القزوينى: ص ٤٩٤؛ ياقوت: جـ ١، ص ١٥٠؛ البغدادى: جـ ١ ، ص ٥٥؛ أبو الفداء : ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(١٨١) عن «طرابيزون» انظر: فايز نجيب اسكندر : امبراطورية طرابيزون والبندقية . الاسكندرية ١٩٨٣ - ص ٩ وما بعدها .

(١٨٢) «أبو الأسوار» هو أحد أمراء بنى شداد الكردية. حكم دوين فى الفترة من ١٠٢٢ إلى ١٠٤٩ م / ٤١٣ - ٤٤١ هـ . ونجح أيضا فى فرض سيادته على كنجة وذلك سنة ١٠٤٩ / ٤٤١ هـ . وظلت هذه المدينة ملكا لأسرة بنى شداد والتى ينتهى إليها أبو الاسور حتى سنة ١٠٨٨ م / ٤٨١ هـ ، حيث استولى عليها بوزان قائد السلطان ملكشاه . للتفاصيل انظر : Arisdagues,X, p. 69, n. 1; Aristakes, X, p. 52 - 53 , n. 2; 89, n. 2; Brosset, I , p. 344 .

(١٨٣) أحمد بن لطف الله منجم باشى : ص ١٥ .

(١٨٤) Matthieu d'Edesse, p. 465 , n. 2 .

(١٨٥) عنه انظر Matthieu d'Edesse , p. 465, n. 1; Brosset, Ruines d'Ani, p. 126, n. 2 .

(١٨٦) Matthieu d'Edesse, p. 465, n. 2; Salia, p. 182;

Brosset , Ruines d'Ani, p. 128 .

(١٨٧) Brosset, Ani, p. 128; Salia, p. 182 .

(١٨٨) Brosset, Georgie, I, P. 359; Additions, p. 280 , 282; Ani , p. 128; Matthieu d'Edesse, p. 313 - 314 .

وهكذا صارت آني بعد إخراج بنى شداد منها نهائيا جزءا من مملكة الكرج الموحدة، ولكنها بقيت فى حوزة الزخارية يدفعون عنها الجزية. وامتدت أسوار المدينة فى أيامهم حتى بلغت شواطىء نهر اربتشاى المنحدرة. وتدل الابنية الدينية لذلك العصر على أن حكام الكرج كأسلافهم البيزنطيين كانوا يميلون إلى المذهب الخلقدونى ، مما أدى إلى انتشاره بين الأرمن على حساب مذهبهم المونوفيزيتى .

(١٨٩) Matthieu d'Edesse, p. 313 - 314. CF. Brosset, Ani, p. 129; Salia , p. 182 .

(١٩٠) Matthieu d'Edesse, p. 313 - 314.

(١٩١) Matthieu d'Edesse, p. 318. و «هنزيط» بالكسر، ثم السكون، وزاى، ثم ياء ، وطاء مهملة: من ثغور الروم. انظر : البغدادى : جـ ٣ ، ص ١٤٦٦ .

(١٩٢) ابن الأثير: جـ ٨ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(١٩٣) عبر عن ذلك متى الرهاوى بقوله "Il Prodigua a notre nation toute sorte de consolations et de bienfaits. "

انظر . Matthieu d'Edesse , p. 311

(١٩٤) الفارقى: ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ انظر أيضا : تاريخ الفارقى - تحقيق بدوى عبداللطيف - بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤١ - ٤٥ . ومن المؤكد أن «حمام اسماعيل» هو نفس الحمام الذى ذكره الحسينى فى حديثه عن سقوط تفليس فى قبضة السلطان الب ارسلان، إذ جاء فى روايته «فوجد فيها حماما بناه سليمان بن داود صلوات الله عليهما على عين حمئة سخنة بماءها الحار من غير أن تجاوره النار وهو أول حمام بنى فى الدنيا » . انظر : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٤٥ .

(١٩٥) ابن حوقل : ص ٢٩٢ .

(١٩٦) القزوينى : ص ٥١٨ ، ياقوت : جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(١٩٧) مؤلف مجهول : البستان الجامع لتواريخ الزمان ، ص ١١٨ - ١١٩ . والجدير بالذكر أن ياقوت أشار أنه ينسب إلى تفليس جماعة من أهل العلم منهم التفليسى والبهيقى والهاقولى (انظر : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٧)؛ هذا بينما اكتفى أبو الفداء بالقول «وخرج منها علماء» . انظر: تقويم البلدان ، ص ٥١٠ .

(١٩٨) شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٥٨ .

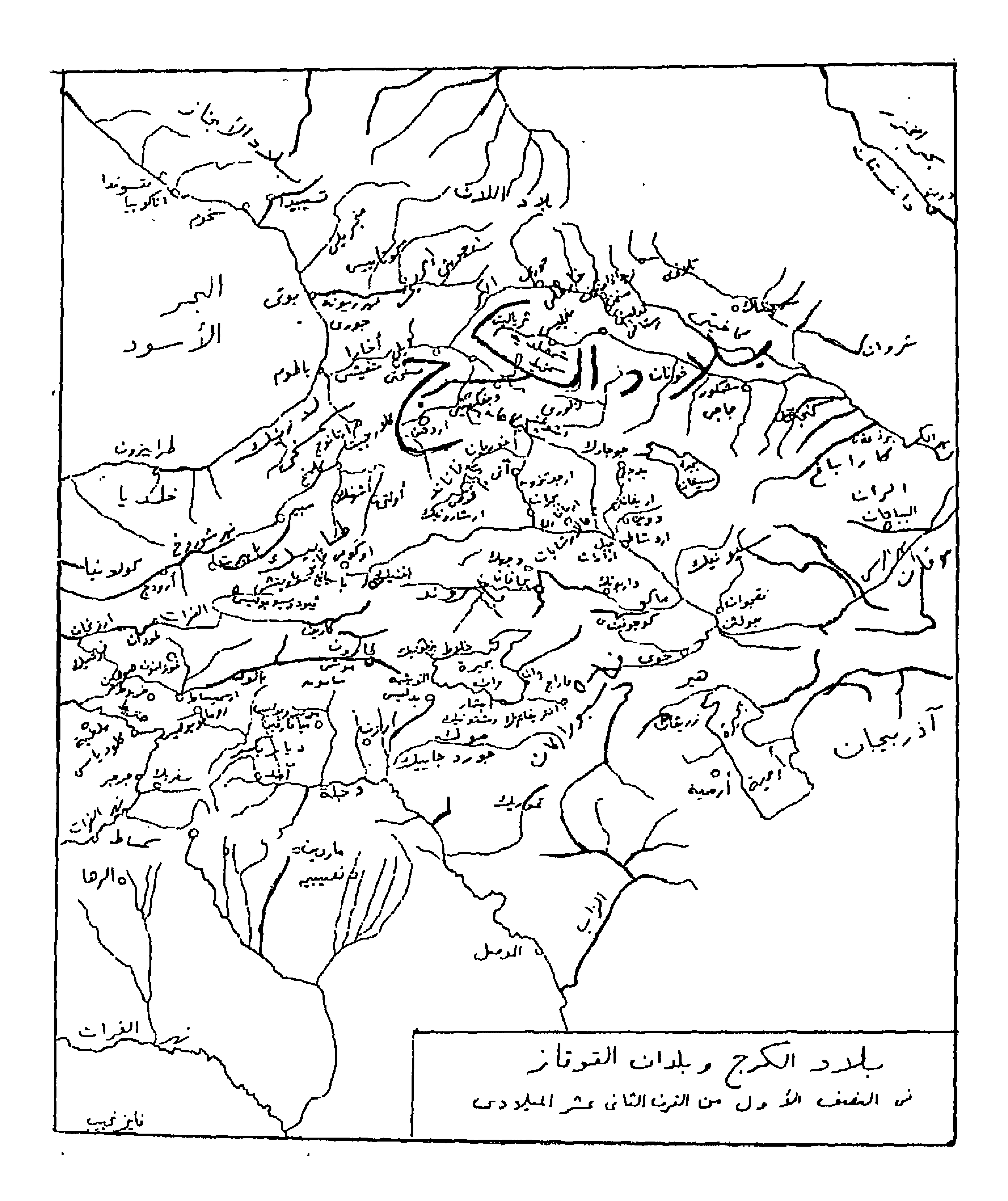
(١٩٩) ابن الأزرق : ص ٢٠٦.

(٢٠٠) Salia , 182 - 183 .

(٢٠١) ابن الأزرق : ص ٢٠٦ .

(٢٠٢) Nansen, p. 100 .

(٢٠٣) Matthieu d'Edesse , p. 318 .


بلاد الكرج وبلدان القوقاز
في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي
البحر الأسود
بلاد الكرج
آذربيجان
بلاد اللان
شروان
دجلة
الرها
نهر الفرات
الزاب
أرمية
نايف غيث

تقرير
عن اجتماع الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين العرب التى عقدت بالقاهرة (٧ - ٩ ديسمبر ١٩٩١) .

أولا : جدول الأعمال .

ثانيا : كلمة الافتتاح

ثالثا : النظام الأساسى لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .

رابعا : البيان الختامى والتوصيات

جدول الأعمال

اليوم الأول السبت ١٩٩١/١٢/٧ م

٩ - ١٠ التسجيل

١٠ - ١١ الافتتاح

كلمة الافتتاح

* أ . د. سعيد عبد الفتاح عاشور .
- رئيس اللجنة المؤقته للإتحاد .
* معالى أ . د. سليمان سعدون البدر
- وزير التربية بالكويت .
* أ . د. عبد الله بن يوسف الشبل
- وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
* د. محمد العيدروس
- كلية الآداب - جامعة الإمارات العربية المتحدة

١١ - ١١,٣٠ استراحة

١١,٣٠-١,٣٠ الجلسة الأولى

كلمة ممثلى الجامعات العربية المشاركة فى المؤتمر

١,٣٠ - ٤ غذاء وراحة

٤ - ٦ الجلسة الثانية

بقية كلمات ممثلى الجامعات العربية المشاركة فى المؤتمر

٧,٣٠ - التوجه من الفندق لحضور برنامج الصوت والضوء بالسيارة .

اليوم الثانى الأحد ٨ / ١٢ / ١٩٩١ م

١٠ - ١١ الجلسة الثالثة

عرض مشروع اللائحة الأساسية الدائمة لإتحاد المؤرخين العرب

يقدمه أ. د. حسنين محمد ربيع

١١ - ٣٠ر١١ استراحة

٣٠ر١١-٣٠ر١ الجلسة الرابعة

مناقشة مشروع اللائحة الأساسية الدائمة لإتحاد المؤرخين العرب

المقرر: رئيس اللجنة المؤقته لإتحاد المؤرخين العرب .

٣٠ر١ - ٤ غذاء وراحة

٤ - ٦ الجلسة الخامسة

تكملة مناقشة مشروع اللائحة الأساسية لإتحاد المؤرخين العرب .

٣٠ر٦ - التوجه من الفندق لإحدى البواخر السياحية

لتناول العشاء علي صفحة نهر النيل .

اليوم الثالث الإثنين ١٩٩١/١٢/٩

١٠ - ١١	الجلسة السادسة
	إقرار اللائحة الأساسية للإتحاد
١١ - ١١,٣٠	إستراحة
١١,٣٠ - ١,٣٠	الجلسة السابعة
	إنتخابات أمين عام الإتحاد
	ومحلس إدارة الإتحاد للدورة ١٩٩١ -١٩٩٤ م
١,٣٠ - ٣	غذاء
٣ - ٤,٣٠	الجلسة الختامية - توصيات
٤,٣٠ -	جولة حرة

كلمة الإفتتاح التى ألقاها

الأستاذ الدكتور/ سعيد عبدالفتاح عاشور
رئيس اللجنة المؤقتة لإتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
فى إجتماع الجمعية العمومية ٧ ديسمبر ١٩٩١م

حضرات الإخوة والأخوات ... حضرات الزملاء والزميلات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عندما تجتمع اليوم تحت شعار إتحاد المؤرخين العرب، فإنما نجتمع فى حقيقة الأمر ليس لخدمة قضية معينة أو شريحة محددة من شرائح مجتمعنا العربى، وإنما لخدمة العروبة وتاريخها وتراثها وحاضرها ومستقبلها كبناء واحد متكامل. إنه (اتحاد) المؤرخين العرب، ولعل فى هذه التسمية ما يكفى للتعبير عن أننا نجتمع لنوحد لا لنفرق، ولنشيد ونبنى لا لنهدم ونمزق، لنقوم لا لنعوج .

حضرات الإخوات ، الزملاء والزميلات

إن لهذا الإجتماع قصة لابد من إحاطة حضراتكم علما بها. ذلك ن الإتحاد السابق للمؤرخين العرب - الذى اتخذ من بغداد مركزا له - نهج نهجا سياسيا معينا، الكل يعرفه، ولا نريد الخوض فيه حرصا على رأب الصدع وتجنبا لإستفحال الشرخ. ولكن يكفى أن نشير إلى أن ذلك الإتحاد لم يلتزم بروح النظام الأساسى الذى أعلنه دستورا لنشاطه، فجاءت الفجرة واسعة بين الشعارات البراقة التى نص عليها ذلك النظام، وبين السلوك والأهداف التى سعى إليها، وتحايل على تنفيذها إرضاء لنزوة حاكم بعينه .

وهكذا سخر التاريخ لخدمة السياسة، وما أدراك ما السياسة اليوم بمتاهاتها ومنحنياتها الفكرية والعقائدية والمذهبية وغيرها. وبإستعراض نشاط ذلك الإتحاد، نجد أنه لم ير فى تاريخ هذه الأمة إلا الشعوبية، محاولا تطبيق مقاييس الماضى على الحاضر، والعودة بنا إلى الوراء، متناسيا أنه من سنن التاريخ تبدل الأوضاع وأن للتاريخ دورة، عبر عنها الله عز وجل بقوله «وتلك الأيام نداولها بين الناس» . وبدلا من جميع الشمل إزداد الخرق إتساعا حتى كانت الكارثة التى حلت بالعالم العربى فى العام الماضى عندما غزا العراق دولة الكويت، وأحدث بها ما أحدث من دمار وخراب ، مما عاد بخسارة فادحة على حاضر الأمة العربية ومستقبلها .

وفى تلك الظروف الصعبة، نفذ إتحاد المؤرخين العرب فى بغداد الخطة التى رسمت له، والتى كان يعد لها فى إجتماعاته وندواته وفقا لأهداف مرسومة لم يفطن إليها معظم من شاركوا فى تلك الإجتماعات من الزملاء والزميلات بنوايا حسنة وعن طيب خاطر . وما كاد يبدأ العدوان العراقى على الكويت، حتى إستباح أمين عام الإتحاد فى بغداد لنفسه أن يصدر بيانا بإسم المؤرخين العرب يؤيد العدوان، ويبارك ما قام به حاكم العراق ورجاله من أعمال، بل لقد حاول أمين عام إتحاد المؤرخين العرب فى بغداد أن يختلق لذلك العدوان مبررات تاريخية لا وجود لها فى التاريخ ولا أساس لها من الصحة .

وكان أن اجتمع فريق من أساتذة التاريخ العرب فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٩٠، واتصلوا بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وهى الجمعية التى لم تربط نفسها مطلقا بإتحاد المؤرخين العرب فى بغداد ، وإنما ظلت دائما تتشكك فيه وفى سياسته المشبوهة.وفى اللقاء الذى تم بين أعضاء مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات

التاريخية فى مقرها بالقاهرة من ناحية، وبين الإخوة المؤرخين العرب وكانوا ينتمون إلى ما لا يقل عن خمس دول عربية من ناحية أخرى، طلب الطرف الأخير إدانة إتحاد المؤرخين العرب فى بغداد وتنحية أمينه العام عن مركزه، ونقل مقر الإتحاد إلى القاهرة .

وفى يومى ١٨ ، ١٩ نوفمبر ١٩٩٠ إجتمع جمع من المؤرخين العرب بالقاهرة، وإتخذوا القرارات الآتية، على أن تكون ذات صفة مؤقته لحين إجتماع الجمعية العمومية الموسعة الممثلة فى حضراتكم . أما القرارات فهى :

أولا : نقل مقر إتحاد المؤرخين العرب فورا من بغداد إلى القاهرة .

ثانيا : تنحية الدكتور مصطفى النجار عن أمانة إتحاد المؤرخين العرب وسحب الثقة منه .

ثالثا: إنتخاب لجنة مؤقته تتولى مهام الدعوة لعقد الجمعية العمومية لإتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة . وقدتم إختيار أعضاء هذه اللجنة على الوجه التالى :

١ - الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور .
الأستاذ بكلية الآدابجامعة القاهرة - رئيسا .
٢ - سعادة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن يوسف الشبل .
وكيل جامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية بالرياض - وكيلا .
٣ - الأستاذ الدكتور / يونان لبيب رزق
رئيس قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس - أمينا للصندوق

٤ - الأستاذ الدكتور / سليمان العسكرى

أستاذ التاريخ بجامعة الكويت - عضوا .

٥ - الأستاذ الدكتور / مصطفى عقيل

أستاذ التاريخ بجامعة قطر - عضوا

٦ - الأستاذ الدكتور / عبد العزيز نوار

أستاذ التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس - عضوا

٧ - الأستاذ الدكتور / محمد العيدروس

أستاذ التاريخ بجامعة العين بدولة الإمارات العربية - عضوا

٨ - الأستاذ الدكتور / حسنين محمد ربيع

عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة - عضوا

٩ - الأستاذ الدكتور / عبد العزيز الهلابى

أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود - عضوا

وهكذا ألقيت على كاهلنا مهمة الإعداد لهذا الإجتماع فى ظروف صعبة، تطلبت منا الكثير من الجهد والوقت، مما يجعلنى أنتهز هذه الفرصة لأرجو حضراتكم إعفائى من رئاسة هذه اللجنتقاما بعد أن تقوموا حضراتكم بإنتخاب اللجنة الجديدة الدائمة لإتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، وذلك وفقا للبرنامج المحدد فى هذا اللقاء .

حضرات الإخوة الزملاء والزميلات

لا أخفى على حضراتكم أنه واجهتنا فى الأشهر الأخيرة صعوبات ضخمة من أجل تنظيم هذا الإجتماع والإعداد له . ومن هذه الصعوبات العثور على قوائم بأسماء أسرة التاريخ فى كل بلد عربى داخل الجامعات وخارجها. هناك أسماء

نعرفها جيدا ولكن لم نستدل على عناوين المراسلات معها مما أدى إلى إرتداد عدد كبير من الرسائل التى أرسلناها إلى شتى أنحاء العالم العربى. ونرجو عن طريق حضراتكم وبمساعدتكم أن تنوبوا عنا فى تقديم الإعتذار إلى من لم تصله الدعوة لحضور هذا الإجتماع من الإخوة المؤرخين العرب، كما نرجو حضراتكم إمداد الأمانة العامة للإتحاد بكل ما يتوافر لديكم من أسماء وعناوين خاصة بالأخوة المشتغلين بالدراسات التاريخية، ليجتمع الشمل وتقوى الروابط .

على أن الصعوبة الكبرى التى واجهتنا عند الإعداد لهذا الإجتماع كانت بلا شك عملية التمويل. ويبدو أن حالة الإضطراب النفسى نتيجة للصدمة التى تعرضت لها الأمة العربية جعلت الحصول على دعم من الحكومات العربية القادرة أمرا صعبا. وهكذا حتى إستجابت لنا جهتان لابد من التنويه بهما وتقديم الشكر باسمى وأسمكم لهما. أما الجهة الأولى، فهى المملكة العربية السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، وقد تجاوبت معنا عن طريق وساطة جامعة الإمام محمد بن سعود ومديرها معالى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركى ووكيلها سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل. قام هذا الجانب بتحمل نفقات الإنتقال بالطائرة ذهابا وإيابا لكافة الأعضاء المشاركين فى هذا الإجتماع والمقيمين خارج مصر . فلهم منا ومنكم وافر الشكر والتقدير .

وإما الجهة الثانية فتتمثل فى شخص سمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمى أمير الشارقة، وهو الحاكم المؤرخ، الفخور بانتمائه إلى أسرة المؤرخين العرب. والذى يشكل تاريخ العرب والعروبة جزءا من فكره ووجدانه . وقد تكفل سموه بكافة

نفقات هذا اللقاء الذى يضمنا اليوم . فله منا ومنكم وافر الشكر والتقدير .

حضرات الإخوة الزملاء والزميلات

إن إتحاد المؤرخين العرب فى وضعه الجديد الذى تساهمون فى إرساء قواعده الآن لا يربطه بالإتحاد السابق فى بغداد إلا الإسم ، بمعنى أنه ليس إمتدادا له بقدر ما هو وليد جديد ، يحمل وعيا جديدا، وفكرا جديدا، وفهما جديدا، ونظرة جديدة إلى الأمور .

وبعبارة أخرى فإننا نرجو أن نبدأ من نقطة إنطلاق جديدة لا أن تستأنف مسيرة سابقة نحو أهداف مشبوهة مستترة. إن المرض الخطير الذى يعانى منه علم التاريخ فى عالمنا العربى اليوم هو محاولة إخضاعه لأهواء السياسة وتطلعات رجال السياسة، بمعنى تفسير التاريخ ومحاولة تشكيله وفق أهواء بعض الحكام وآرائهم وتطلعاتهم، حتى ولو أدى ذلك إلى تشويه الحقيقة التاريخية وإفسادها .

حضرات الإخوة الزملاء والزميلات

إن تاريخ الأمة العربية يحتل والحمد لله صفحة مشرقة فى سجل تاريخ الإنسانية، فعلينا أن نكشف عن جوانب هذا التاريخ بأمانة وموضوعية وحياد. وإذا صادفنا بعض ثغرات، فعلينا أن ندرك أن الآباء والأجداد كانوا بشرا، والبشر معرض للصواب والخطأ. فلنذكر الحسنات وما أكثرها ولا نتغاضى عن الزلات لنأخذ منها عظة وعبرة فليس عيبا أن يخطىء الإنسان ولكن العيب هو ألا يستفيد الإنسان من خطئه .

وبعد ، أيها الإخوة الزملاء والزميلات، فإننى أكرر ما بدأت بالإشارة إليه من أن

الهدف الأساسى من إجتماعنا هذا هو البناء ووضع خطة عمل لإتحاد جديد للمؤرخين العرب، تستهدف إلقاء الأضواء على أمجاد الماضى وكشف الغمة عن حاضر مضطرب وفتح باب الأمل أمام مستقبل مشرق إن شاء الله .

وفقكم الله ومكننا جميعا من الوفاء بعهد كان مسئولا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام الأساسى
لاتحاد المؤرخين العرب

جمادى الآخر ١٤١٢ هـ - ديسمبر ١٩٩١ م

الباب الأول
التعريف بالإتحاد
أهدافه ونشاطه ومقره

مادة (١)

إتحاد المؤرخين العرب هيئة علمية مهنية تضم المشتغلين بالدراسات التاريخية من أبناء الأمة العربية .

مادة (٢)

يسعى إتحاد المؤرخين العرب لتحقيق الأهداف الرئيسية الآتية :

أ - دراسة تاريخ الأمة العربية وفق منهج علمي موضوعي، وإبراز العناصر التى أسهم بها العرب والمسلمون فى بناء صرح الحضارة البشرية .

ب - تشجيع الدراسات التاريخية التى تساهم فى دعم أواصر الوحدة العربية وتحقيق الترابط بين الدول العربية .

جـ - التصدى بالأدلة العلمية التاريخية للدفاع عن القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين .

د - الدفاع عن الحقيقة التاريخية من أن تقع تحت أى تأثير سياسى أو مذهبى أو عقائدى .

هـ - تنقية التاريخ العربى مما لحق به من شوائب على مر العصور .

و - تحديث الدراسات التاريخية باستخدام وسائل التقنية الحديثة .

ز - الدفاع عن حقوق المؤرخ العربى وإنتاجه العلمى . .

ح - العناية بالتراث التاريخى للأمة العربية .

ط - تنمية المعرفة التاريخية لدى المواطن العربى .

ى - الدفاع عن المؤسسات والمنجزات التاريخية والأثرية والسعى للحفاظ عليها بالوسائل المشروعة .

مادة(٣)

يأتى فى مقدمة نشاط إتحاد المؤرخين العرب ما يلى :

أ - إقامة الندوات والمؤتمرات التاريخية وعقد اللقاءات والإجتماعات بصفة مستمرة لدراسة التاريخ العربى من كافة جوانبه وصلته بمسيرة التاريخ الإنسانى .

ب - جمع التراث التاريخى العربى والإسلامى الحفاظ عليه وتشجيع نشر ما لم ينشر منه، وتحقيقه وشرحه .

جـ - نشر البحوث التاريخية والآثرية التى تتصف بالأصالة والجدة والموضوعية، وذلك بعد تحكيمها بكافة وسائل النشر المتاحة للإتحاد وفى مقدمتها مجلة علمية .

د - العمل على توثيق عرى التعاون مع الجمعيات والهيئات والمؤسسات العلمية والتاريخية فى الوطن العربي وخارجه .

مادة (٤)

يكون مقر إتحاد المؤرخين العرب الدائم بمدينة القاهرة، ويجوز لمجلس الأمناء دعوة الجمعية العمومية للإنعقاد فى أى قطر عربى، كما يراعى فى اللقاءات العلمية والندوات أن تتنوع أماكن إنعقادها داخل محيط الوطن العربى أو خارجه .

الباب الثانى
تكوين إتحاد المؤرخين العرب
مادة (٥)

يتكون إتحاد المؤرخين العرب من :

أ - أعضاء هيئات تدريس التاريخ والآثار بالجامعات العربية وكذلك أعضاء المؤسسات العلمية المتخصصة الأخرى من المشتغلين فى الدراسات التاريخية مثل مراكز تحقيق التراث التاريخى ، ومراكز البحوث والوثائق .

ب - الباحثين المشتغلين في حقل الدراسات التاريخية والأثرية وبخاصة التاريخ العربى فى مختلف عصوره، من أبناء الأمة العربية داخل الوطن العربى وخارجه .

جـ - الهيئات والجمعيات التاريخية أو ذات الإهتمامات بالدراسات التاريخية داخل الوطن العربى، وتكون مشاركة هذه الهيئات والجمعيات فى إتحاد المؤرخين العرب إما بصفتها الإعتبارية أو بأعضائها والمساهمين فيها .

د - الشخصيات الغربية التى لها عناية بتاريخ الأمة العربية ممن لهم إسهام علمى بالبحث والتأليف في مجال التاريخ والآثار .

هـ - يجوز للجمعية العمومية بناء على ترشيخ من مجلس الأمناء منح عضوية الشرف وتكون العضوية فخرية فى هذه الحال .

و - يشترط فى جميع الحالات أن يكن العضو مشهودا له بحسن السمعة، وأن يكون ملتزما بالنظام الأساسى للإتحاد، وتزول صفة العضوية عن العضو إذا أتى عملا يسىء إلى الإتحاد وأهدافه أو ارتكب عملا مخلا بالأمانة العلمية، ويكون هذا الإجراء بقرار مسوغ من مجلس الأمناء .

الباب الثالث

سلطات الإتحاد وإختصاصاته

مادة (٦)

أ - الجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين هى السلطة العليا للإتحاد، والتى تتألف من جميع أعضاء الإتحاد العاملين. وتنعقد هذه الجمعية العمومية مرة كل ثلاث سنوات بناء على دعوة من رئيس الإتحاد. ويمكن دعوة الجمعية العممية لإجتماع غير عادى كلما رأى مجلس الأمناء ذلك، أو بناء على طلب مكتوب يقدم لرئيس الإتحاد من ثلث الأعضاء على الأقل .

ب - يكون إنعقاد الجمعية العمومية قانونيا إذا حضر الإجتماع ثلث الأعضاء، فإذا لم يتكامل هذا العدد فى الميعاد المحدد تؤجل الجمعية لمدة ساعة، ويكون الإجتماع عندئذ صحيحا مهما كان عدد الحاضرين .

جـ - تناقش الجمعية العمومية للإتحاد التقارير العلمية والإدارية والمالية التى يقدمها رئيس مجلس الأمناء عن نشاط الإتحاد فى الدورة المنصرمة .

د - تقوم الجمعية العمومية بإنتخاب رئبيس الإتحاد وأعضاء مجلس الأمناء.

هـ - يتألف مجلس الأمناء الذى تنتخبه الجمعية العمومية لإتحاد المؤرخين العرب من ثلاثة عشر عضوا تبعا للتوزيع الجغرافى (المغرب ٣ - مصر والسودان وجيبوتى والصومال ٣ - الجزيرة العربية - ٣ - الشام والعراق ٣ - إضافة إلى رئيس الإتحاد من دولة المقر . ومدة العضوية فى مجلس الأمناء ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط .

و - يقوم مجلس الإدارة بإنتخاب ثلاثة نواب للرئيس من أقاليم: المغرب - الجزيرة العربية - الشام والعراق كما يقوم مجلس الأمناء بانتخاب أمين المجلس، وأمين الصندوق .

ز - يقوم رئيس الإتحاد بدعوة الجمعية العمومية للإجتماع ووضع جدول الأعمال بالنسبة لهذا الإجتماع وتحديد مكانه .

ح - يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على النشاط العلمى والإشراف على الشئون الإدارية والمالية والفنية بالنسبة للإتحاد وكذلك تعيين الموظفين العاملين بالإتحاد ومساءلة من يخل منهم بواجباته . وعلى مجلس الأمناء إعداد الحساب الختامى بالنسبة للسنة المنتهية .

ط - تصدر قرارات الإتحاد بأغلبية أصوات الحاضرين ، وعند التساوى يرجح جانب الرئيس .

ى - يقوم رئيس مجلس الإدارة أو نائبه برئاسة مجلس الأمناء وتمثيل الإتحاد أمام الجهات العلمية والإدارية والقضائية، وإقرار جدول أعمال جلسات مجلس الإدارة ومراقبة تنفيذ قراراته، والتوقيع على كافة العقود والاتفاقات التى يقرها مجلس الأمناء، كذلك تكون له صلاحية البت فى المسائل العاجلة التى لا تحتمل التأجيل ، على أن يعرض ذلك على المجلس والجمعية فى أقرب إجتماع.

د - مدة الرئاسة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط .

هـ - يقوم نواب رئيس الإتحاد بمساعدة الرئيس فى مهامه، كما ينوب عنه أكبرهم سنا فى حال غيابه أو خلو منصبه .

و - يختص أمين مجلس الإتحاد بتنفيذ قرارات مجلس الأمناء والإشراف على الإتصالات والمراسلات كما يقوم بتوجيه الدعوة للأعضاء والقيام بأعمال أمانة مجلس الأمناء والجمعية العمومية، والإشراف على سجلات الاتحاد الخاصة بأسماء أعضائه وقرارات مجالسه وتبليغ قرارات مجالسه وغير ذلك من الأعمال الإدارية، وإعداد التقرير السنوى عن نشاط الإتحاد .

ن - يكون أمين الصندوق مسئولا عن الشئون المالية الخاصة بالاتحاد سواء ما يتعلق منها بالإيرادات و بالمصروفات، وتسجيل ذلك فى دفاتر الإتحاد. وعليه تنفيذ قرارات مجلس الأمناء، فيما يتصل بالمعاملات المالية. ويوقع على الشيكات وأذونات الصرف بالإشتراك مع رئيس الإتحاد أو أحد نوابه. كذلك يقوم أمين الصندوق بعرض الحساب الختامى والميزانية السنوية وتقرير مراقب الحسابات على مجلس الأمناء ثم على الجمعية العمومية .

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الختامى والتوصيات

إجتمعت الجمعية العمومية لإتحاد المؤرخين العرب فى مدينة القاهرة فى الفترة من يوم السبت ١ جمادى الآخر ١٤١٢ هـ الموافق ٧ ديسمبر ١٩٩١م إلى يوم الاثنين ٣ جمادى الآخر ١٤١٢ هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٩٩١ م .

وناقشت مشروع النظام الأساسى للإتحاد والذى كان قد وضعته اللجنة المؤقته للإتحاد المشكلة فى ١٩ نوفمبر ١٩٩٠م وبعد أن اشترك أعضاء الجمعية فى مناقشة المشروع بأبوابه الخمسة مناقشة مستفيضة تم إعداد النظام فى شكله النهائى بعد تنفيذ مقترحات أعضاء الجمعية وتوصياتهم. وأقرته الجمعية العمومية فى جلستها المنعقدة صباح يوم الاثنين ٣ جمادى الآخر ١٤١٢ هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٩٩١م وأوصت بطبعه وتوزيعه على أعضاء الإتحاد وتنفيذ ما ورد فيه إعتبارا من تاريخ إقراره .

ثم قامت الجمعية العمومية بانتخاب الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور رئيسا للإتحاد بإجماع الأصوات لمدة ثلاث سنوات .

ثم قامت بانتخاب أعضاء مجلس الأمناء وأسفرت نتيجة الإنتخاب عن فوز السادة التالية أسماؤهم :

١ - أ. د. محمد رزوق (المغرب)

٢ - أ.د. حسنين محمد ربيع (مصر والسودان)

٣ - أ.د. يونان لبيب رزق (مصر والسودان)

٤ - أ.د. محمد محمد مرسى الشيخ (مصر والسودان)

٥ - أ.د. عبد الله بن يوسف الشبل (الجزيرة العربية)

٦ - أ.د. سليمان إبراهيم العسكرى (الجزيرة العربية)

٧ - د. محمد العيدروس (الجزيرة العربية)

٨ - أ.د. سهيل زكار (الشام والعراق)

٩ - أ.د. إبراهيم محمود زعرور (الشام والعراق)

وتركت ثلاثة مقاعد خالية لشغلها وفقا للنظام الأساسى إثنان للمغرب وواحد للعراق والشام على أن تشغل هذه المقاعد فيما بعد . ووافقت الجمعية العمومية على تفويض مجلس الأمناء فى شغل هذه المقاعد للأشخاص المناسبين وفى الوقت المناسب .

وقامت لجنة الأمناء بانتخاب كل من :

١ - أ.د. عبد الله بن يوسف الشبل نائبا للرئيس

٢ - أ.د. سهيل زكار نائبا للرئيس

٣ - أ.د. حسنين محمد ربيع أمينا للمجلس

٤ - أ.د. يونان لبيب رزق أمينا للصندوق

كما رأت لجنة الأمناء إتخاذ جامعة القاهرة مقرا مؤقتا للإتحاد لحين تدبير مقر دائم .

وأوصت الجمعية العمومية بالتوصيات التالية :

أولا : إتحاد المؤرخين العرب فى مدينة القاهرة هو الإتحاد الشرعى الوحيد الذى يمثل وجدان وشعور المؤرخين العرب فى كل مكان وهو هيئة علمية مهنية تضم المشتغلين بالدراسات التاريخية والأثرية من أبناء الأمة العربية .

ثانيا : يسعى الإتحاد إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التى وردت فى الباب الأول من النظام الأساسى المادة (٢) والتى تهدف إلى خدمة تاريخ العرب والمسلمين والارتفاع بمستوى الدراسات التاريخية للوطن العربى والعناية بالتراث التاريخى والدفاع عن حقوق المؤرخين العرب.

ثالثا: توصى الجمعية العمومية الحكومات العربية والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية فى الوطن العربى بتقديم كل عون ومساعدة مادية ومعنوية حتى يتمكن الإتحاد من تحقيق أهدافه المشار إليها .

رابعا: تهيب الجمعية العمومية بالمؤرخين العرب فى مختلف البلدان العربية أن يبادروا بالإنضمام إلى الإتحاد حتى يتمكن من النهوض

بالأمانة الكبرى الملقاه على عاتقه لخدمة الدراسات التاريخية والمؤرخين .

خامسا : تناشد الجمعية العمومية سائر الجمعيات التاريخية فى الوطن العربى أن تتعاون مع الإتحاد بإعتباره الممثل الحقيقى الشرعى لكافة المؤرخين العرب .

سادسا : توصى الجمعية العمومية بإرسال برقيات شكر وتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية على عقد الجمعية العمومية بالقاهرة مقر الإتحاد وبرقية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وسمو الشيخ الدكتور سلطان محمد القاسمى أمير الشارقة وعضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة لقيامهما بدعم عقد الجمعية العمومية للإتحاد بالقاهرة وتوجيه الشكر إلى الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والأستاذ الدكتور مأمون محمد سلامة رئيس جامعة القاهرة لتعضيدهما لإنعقاد المؤتمر والتسهيلات التى قدماها له .

والله من وراء القصد .

Bulletin
of
The Arab Historians Society

Academic Bulletin Concerned with
Historical studies

Vol. 1 - No. 1 . March, 1993 Cairo - Egypt